وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
كلية التربية للبنات
قسم اللغة العربية

أثر أفعال الجوارح في تطوير المنهج الدلالي للعربية

رسالة تقدمت بها
مريم عبد الحسين مجبل التميمي

الى مجلس كلية التربية للبنات
جامعة الكوفة

وهي جزء من متطلبات درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

باشراف
الاستاذ الدكتور علي كاظم مشري

شوال ١٤٢٧ هـ   تشرين الثاني٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١)وَوَضَعْنَا عَنكَ
وِزْرَكَ (٢)الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣)وَرَفَعْنَا
لَكَ ذِكْرَكَ (٤)فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥)إِنَّ مَعَ
الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧)وَإِلَى
رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)

صدق الله العلي العظيم
الانشراح ١ ـ ٨

-

الاهداء

الى من لولا تضحياتها ، وتعبها لم أصل الى نهاية المشوار ...

امي الحبيبة ....

أطال الله بقاءها ......

الى من لولا صبره وتحمله وجهوده .....

لم اكمل ما بدأته ابداً ....

زوجي الحبيب ....

الى الذين قصرت في حقهم كثيراً وفضلت البحث عليهم دائماً ...

صغاري ....

رقية ...

علي ...

بتول ...

فاطمة ...

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمداً لا يحصيه إلا هو ولا يحده إلا علمه ولا يبلغه إلا عباده المصطفون، وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله الطيبين الأخيار.

وبعد. .

فان الدراسات اللغوية قد استأثرت باهتمام العرب منذ وقت مبكر فقاموا بدراسة اللغة العربية وآدابها وتبيين مدلولات ألفاظها والحديث عن خصائصها ومزاياها ، ويعد القرآن الكريم الدافع الأساس الذي قامت لأجله أكثر الدراسات عن اللغة العربية ، فقام علماء العربية الأوائل بمحاولات جادة وأصيلة وعميقة لبيان ألفاظه ومقاصده ومعانيه وشرحوا غريبه وفسروا ألفاظه مما جعل هذه الدراسات نواة أساس في وضع المعجم العربي والدراسات اللغوية والدراسات الدلالية اللاحقة.

ثم توالت الدراسات الدلالية المستقلة التي تناولت القضايا اللغوية المختلفة للغة العربية. تلك الدراسات التي لطالما استهوتني وتمنيت الكتابة في واحد من موضوعاتها الى ان تم قبولي في قسم الدكتوراه فعقدت العزم على ان اكتب في احد الموضوعات الدلالية ولاسيما موضوعات التطور الدلالي ، فوفقني الله سبحانه لاختيار موضوع "اثر افعال الجوارح في تطوير المنهج الدلالي للعربية "التي شغلتني بعض مصاديقه قبل اختياره موضوعا للدراسة مثل :"وضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا" . و"سكت عن موسى الغضب" و"انبتها ربها نباتا حسنا". وغيرها من الايات التي تحمل في طياتها نكات دلالية جديرة بالاهتمام والدرس.

لقد اقتضت طبيعة الموضوع ان تقسم الرسالة على بابين يتقدمهما تمهيد.

تضمن التمهيد الحديث عن معنى افعال الجوارح واصلها اللغوي وتسميتها الاصطلاحية عند علماء البلاغة ونسبة افعال الجوارح الى الذات الالهية ، وافعال الجوارح في غير اللغة العربية ، تم تطرق التمهيد الى افعال الجوارح والدلالة العربية موضحا اثرها في تلك الدلالة ومتطرقا الى نماذج موحية ومؤثرة منها في تلك الدلالة.

تضمن الباب الاول اربعة فصول :
تحدث اولها عن الدلالة العربية من حيث التعريف اللغوي والاصطلاحي ، محاولين بذلك تسليط الضوء على تلك التعاريف وربطها بما توصل اليه علماء الدلالة المحدثين ، ثم تطرق الى لفظ (دل) وما اشتق منه في القرآن الكريم ، ودرس بعده موضوع علم الدلالة عند العرب ، ثم موضوع التطور الدلالي واهم عوامله ومظاهره التي تحدثنا عنها بايجاز تاركين الكلام عنها الى الفصول الباقية التي تضمنت الحديث بالتفصيل عن تلك المظاهر وعلاقتها بافعال الجوارح.
وتناول الفصل الثاني : موضوع تضييق الدلالة في افعال الجوارح فتم الحديث عن معنى تضييق الدلالة وتعريفه ، واستشهدنا على ذلك بامثلة تتضمن جميعها افعال جوارح قد ضاقت دلالتها.
فيما درس الفصل الثالث : موضوع توسيع الدلالة في افعال الجوارح فعرف (التوسيع) ثم وضحنا معناه ، ثم اوردنا على ذلك امثلة ونصوص تحوي على افعال الجوارح وقد توسعت فيها دلالة تلك الافعال.

وتطرق الفصل الرابع : للانتقال الدلالي بما يتضمنه من الحقيقة والمجاز فعرفن
ا الحقيقة والمجاز ثم مثلنا بامثلة متضمنة لافعال الجوارح التي حدث فيها انتقال دلالي.

اما الباب الثاني فتضمن اربعة فصول ايضاً.

تناول الفصل الاول : النظرية السياقية في الدلالة العربية فعرفنا النظرية اولاً ، وبينا اهم مفاصلها ثم استشهدنا عليها بآيات كريمة متضمنة افعال جوارح وقد حدد معناها السياق.

ودرس الفصل الثاني : نظرية الحقول الدلالية من حيث مفهومها واهم مبادئها واهم انواعها ثم جئنا بامثلة قرآنية توضح الامتزاج والتداخل بين تلك الحقول ، واثره الدلالي ، اذ تركز اهتمامنا على الامثلة التي تحوي ذلك التداخل والدمج وحاولنا تبيان اثره على المعنى ودلالة الافعال مدار البحث.

اما الفصل الثالث : فقد كان متحدثاً عن ظاهرة التراكم الدلالي ، تلك الظاهرة التي لم يكتب عنها الا قليلاً ولكننا وجدناها واضحة ومتجسدة في القرآن الكريم ويعد الدكتور مجيد طارش اول من قدم دراسة متكاملة لهذه الظاهرة ولهذا فاننا اعتمدنا رسالته للدكتوراه مصدراً اساسياً نهتدي به ونحن نكتب في الجانب النظري من هذه الظاهرة من حيث التعريف والتحديد والاغراض وما الى ذلك ، وبعد ذلك جئنا بامثلة موضحة وتحوي على افعال جوارح وقد تراكمت دلالتها.

واختص الفصل الرابع : بالحديث عن ظاهرة التوسع في المعنى ، وقمنا بتعريف التوسع لغة واصطلاحاً وبينا جهود العلماء الاوائل في ذلك وصولاً الى المحدثين وجئنا عليه بامثلة تحوي على افعال جوارح وقد حدث اتساع في معناها مبيينين كيف حدث ذلك الاتساع فيها.

لقد اقتضت طبيعة منهج البحث ان لا يكون البحث احصائياً ، وانما كان المنهج كاشفاً عن طبيعة الموضوع وبيان المحاور الرئيسة له ، لان القيام بالمسح الاحصائي لافعال الجوارح في اللغة العربية امر لا ينهض به شخص ولا يقدر عليه افراد ، وذلك لسعة اللغة وامتدادها الواسع ولانتشار افعال الجوارح في فنون اللغة المختلفة ولاعتماد اغلب اساليب الكلام العربي عليها سواء أكان استعمالها حقيقياً ام مجازياً.

مع التأكيد اننا اعتمدنا القرآن الكريم مادة تطبيقية اساساً في بحثنا لجملة من الاسباب اهمها :

اولاً : ما يتمتع به النص القرآني من فصاحة وبلاغة وايجاز هي الغاية القصوى التي تختزنها اللغة العربية.
ثانياً : ان آيات القرآن الكريم هي النصوص الموثوقة عند اهل العلم بالعربية وهي محط اتفاق عند دارسي اللغة جميعاً.
ثالثاً : لان الموضوع يدرس لاول مرة ولكون شواهده موجودة ومنتشرة في القرآن والشعر العربي والنصوص النثرية ، فقد آثرنا دراسته بالآيات القرآنية الكريمة في اول تناول للموضوع وذلك لمكانة القرآن الكريم في نفوس المسلمين ولعلو بلاغة نصوصه فضلاً عن انها تغطي كل مجالات الاستشهاد للبحث وزيادة.
وبعد ، فلسوف يلحظ ان هناك تركيزاً واضحاً على الجانب البلاغي في هذا البحث ، نعم فقد تحدثنا هنا عن البلاغة قبل الدلالة لاننا على قناعة بان اساس التبدلات الدلالية في الالفاظ راجع الى عمقها البلاغي ولاننا على يقين ومن خلال البحث العلمي ان هناك ترابطاً وثيقاً بين البلاغة والدلالة بحيث لا يمكن الفصل بينهما ولا يمكن دراسة احداهما منفصلة عن الاخرى ، وان الدلالة معتمدة بشكل او بآخر على اساسيات علم البلاغة ، وانها تأخذ اهم ظواهرها من التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز.
مع التأكيد اننا آثرنا الاختصار على الاطالة والايجاز على الاطناب حتى لا نثقل البحث بالشواهد والنصوص التي تخرجه عن اطاره الاكاديمي الى متاهات النصوص النظرية البعيدة عن الدقة والاختصاص.

هذا وقد اعتمد البحث على مصادر متنوعة استقى منها مادته العلمية وهي موزعة بين كتب اللغة والبلاغة والتفسير والمعجمات ، وتم الرجوع في ذلك كله الى قديم المصادر وحديثها لكي نحقق الدقة في الاخذ والالمام بجوانب الموضوع كافة.
وفي هذا الصدد لابد من الإشارة إلى اهم المصادر التي اعتمد عليها البحث وقد أغنته كثيراً ففضلاً عن التفاسير وكتب اللغة وكتب الدلالة اعتمدنا كثيراً على كتاب "تلخيص البيان في مجازات القرآن" للشريف الرضي، فقد كان الكتاب المعتمد عند تشخيص الايات التي شكلت العمود الفقري للبحث فيما بعد. أما من الكتب البلاغية فقد اعتمدنا وبشكل كبير

على كتاب "مجاز القرآن – خصائصه الفنية وبلاغته العربية" للعلامة الاستاذ الكبير المتمرس الأول الدكتور محمد حسين الصغير، الذي كان أول من تناول الظواهر البلاغية بالدرس والتحليل والاستنتاج مع المزاوجة بين البحث اللغوي والبلاغي والدلالي، من كل ذلك استفاد البحث فائدة جلية ومؤثرة من حيث التحليل والعرض والاستنتاج.
وقد اختتم البحث بخاتمة تضمنت اهم نتائج البحث والتوصيات التي خرج بها بعد التقصي والتتبع والدراسة.
واخيراً نتقدم بوافر الشكر والتقدير والامتنان لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور (علي كاظم مشري) وذلك لجهوده الحثيثة وتوجيهاته المستمرة طيلة مدة البحث .
كما ويدعوني الواجب لأن اتقدم بالشكر والامتنان الى السادة رئيس واعضاء لجنة المناقشة لقبولهم قراءة ومناقشة وتقويم بحثي هذا ، رغم انشغالهم ورغم المسؤوليات الادارية والعلمية المكلفين بها ، ولابدائهم التوجيهات التي ستغني البحث وتصل به الى مصاف البحوث الاكاديمية الجديرة بالاهتمام .
والحمد لله رب العالمين.

المحتويات

التمهيد

افعال الجوارح وأثرها في الدلالة العربية

افعال الجوارح :

الجوارح لغة :

جرح : الجرْح : الفعل جرحه يجرحه جُرحاً : أثر فيه بالسلاح ، وجَرَّحه . أكثر ذلك فيه[١]، ((وجُرح به جُرْح وجروح وجراح وجراحة وجراحات وجرائح وهو جريح وهم جرحى وجاءوا مجرحين مكلمين))[٢].

الجرح : ((اثر دامٍ في الجلد ، يقال جرحه جرحاً فهو جريح ومجروح))[٣] .

"ومن المجاز : جرحه بلسانه : سبه ، وجرحوه بأنياب وأضراس إذا شتموه وعابوه"[٤] ((وجرح الشيء واجترحه : كسبه))[٥]، ((واجترح عملاً ، أي اكتسب))[٦].

"والاجتراح : الاكتساب"[٧]، ومنهم من قيده ((باكتساب الإثم))[٨].

والجوارح : الصائدة من الكلاب والفهود والطيور ومفردها جارحة ، وسميت جوارح لانها تجرح لاهلها اي : تكسب لهم ، ولأنها كواسب أنفسها من قولك جرح واجترح[٩].

((وجوارح الانسان : عوامل جسده من يديه ورجليه الواحدة جارحة))[١٠].

وقيل إن ((جوارح الإنسان أعضاؤه))[١١].

ومن العلماء من فصّل ، فقال : جوارح الانسان : ((أعضاؤه التي يكتسب بها كيديه ورجليه))[١٢] وسميت الاعضاء الكاسبة للانسان جوارح لاحد سببين : اما لانها تجرح او لانها تكسب[١٣].

وقد وردت مادة جرح في القرآن الكريم باربعة صيغ هي :

---

(1) ينظر : كتاب العين ، ٧٧/٣ . وينظر : لسان العرب ، جرح .
(2) أساس البلاغة ، جَرَحَ .
(3) المفردات في غريب القرآن ، ١٩١-١٩٢.
(4) أساس البلاغة ، جرح .
(5) كتاب العين ، ٧٣/٣ .
(6) لسان العرب ، جرح .
(7) مجمع البحرين ، جرح ، وينظر : البصائر والذخائر ، ٨٥ .
(8) المفردات ، ١٩١ .
(9) ينظر : المفردات، ١٩٢، ولسان العرب، جرح، ومجمع البحرين، جرح.
(10) كتاب العين : ٧٧/٣ .
(11) لسان العرب ، جرح .
(12) مجمع البحرين ، جرح .
(13) ينظر : المفردات ، ١٩١ .

- (جرحتم) في قوله تعالى : ((وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ..." الانعام (٦٠) .

وتعني هنا على ما قال الزمخشري : ((ما اكتسبتم من الاثم))[١٤].

وقيل : ((ويعلم ما كسبتم من الاعمال بالنهار))[١٥] .

- (الجروح) في قوله تعالى : ((وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ..." المائدة (٤٥) . وتعني هنا جمع جرح وهو ((أي اثر فيه الجسم من ضربة او طعنة والجرح فعل الجارح))[١٦]. وقيل : الجرح : اثر دامٍ في الجلد[١٧].

- (الجوارح) في قوله تعالى : ((يسأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ" المائدة (٥) ، وتعني هنا : ((الكلاب الضواري والفهود والصقور واشباهها))[١٨].

- (اجترحوا) : في قوله تعالى : ((أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ" (الجاثية ٢١) ، وقيل في معناها : ((الاجتراح : الاكتساب ، واجترح السيئة اجتراحاً ، أي اكتسبها من الجراح ، لان له تأثيراً كتأثير الجراح ، ومثله الاقتراف وهو مشتق من قرف القرحة))[١٩].

والمعنى الاصطلاحي للجوارح وافعالها ليس ببعيد عن معناها اللغوي ، فالاجتراح عند العرب هو ((عمل الرجل بيده او رجله او فمه او سمعه او بصره وهي الجوارح عندهم (جوارح البدن) ، فيما ذكر عنهم))[٢٠]، وقيل : الجرح هو ((العمل بالجارحة والمراد به الكسب))[٢١]. ويقال لكل مكتسب عملاً جارح ، لاستعمال العرب ذلك في هذه الجوارح ، ثم كثر ذلك في الكلام ، ((حتى قيل لكل مكتسب كسباً ، باي اعضاء جسمه اكتسب : مجترح))[٢٢] .

---

(14) الكشاف ، ٢٥/٢ .
(15) المعجم في فقه لغة القرآن ، ٢٧٨/٩ .
(16) التحرير والتنوير ، ٣٨٠/٤ ، وينظر : المعجم في فقه لغة القرآن ، ٢٧١/٩ و ٢٧٣ .
(17) التعاريف ، ٢٣٨ .
(18) مجمع البيان في تفسير القرآن ، ١٢٣/٣ .
(19) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب الغدير ، ٣٧٦/٢ .
(20) مجمع البيان في تفسير القرآن ، ١٧٣/٧ .
(21) الميزان في تفسير القرآن ، ١٧٠/١٨ .
(22) التبيان في تفسير القرآن ، ٣٠٠/٢ .

وجوارح الانسان يجترحن له الخير أو الشر ، أي يكتسب بهن ، نحو اليدين والرجلين والعينين والاذنين ، واجترحوا : اكتسبوا ، ((وانما سمّي ذلك اجتراحاً ، لانه عمل بالجوارح ، وهي الاعضاء الكواسب من قولهم : اجترح ، اذا عمل وكسب))[٢٣] .

وقد ادخل بعض العلماء الفؤاد – الذي هو مناط التكليف وموضع التفكير من الانسان أي ما يقابل العقل وكل قوى الادراك ضمن الجوارح ، بل نسبوا اليه الآثام : ((ونسبة الاثم الى القلب ، لانه هو الذي يعي الوقائع ويدركها ويشهد بها ، فهو آلة الشعور والعقل ، والاثم كما يكون بعمل الجوارح الظاهرة وحركات الاعضاء يكون بعمل القلب واللب ، كما يرشد الى ذلك قوله تعالى : ((**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**" الاسراء (٣٦)[٢٤] ((أي يسئل عما يفعل بهذه الجوارح من الاستماع لما لا يحل ، والابصار لما لا يجوز والارادة لما يقبح))[٢٥] .

وقد صاغ بعض العلماء محاورة يوضح فيها تفاضل الجوارح فيما بينها فقال : ((كتاب تقارعت الجوارح عليه فكادت تتساهم ، فقالت اليد : انا اولى به ، شددت على مولاه ومولاي عقد خنصري ، ورفعت اسمه فوق منبري ، وقبضت عليه قبضتي ، وبسطت في بسط راحته وقت الدعاء راحتي ، وقالت العين : انا اولى به ، انا وعاء شخصه ، والي يرجع القلب تمثيله ونصه ، وانا سهرت بعد رحليه وحشة ، وانا اذا ذكر هجير القلب عللته رشة بعد رشة ، فقال القلب : طمعتما في حقي لاني غائب ، وهل انت لي يد الا خادم ؟ وهل انت لي يا عين الا صاحب ؟ انا مستقرة ومستودعة ومرتعة ومشرعة))[٢٦] ".

وقد درس العلماء موضوع (افعال الجوارح) تحت اكثر من تسمية ، فقد اطلق قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) مصطلح (تمثيل المعاني) عليها ، فعند كلامه عن موضوع فكان احسن البلاغة الترصيع والسجع واتساق البناء و......وتمثيل المعاني ، يقول : ((والتمثيل : ان يراد الاشارة الى معنى فتوضع الفاظ تدل على معنى آخر وذلك المعنى وتلك الالفاظ مثال للمعنى الذي قصد بالاشارة اليه والعبارة عنه ، كما كتب يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد حين تلكأ عن بيعته : اما بعد فاني اراك تقدم رجلاً وتؤخر اخرى ، فاذا اتاك كتابي هذا فاعتمد على ايتهما شئت والسلام فلهذا التمثيل من الموقع ما ليس له لو قصد للمعنى بلفظه الخاص : حتى لو انه قال مثلاً : بلغني تلكؤك عن بيعتي فاذا اتاك كتابي هذا فبايع او لا ، لم يكن لهذا اللفظ من العمل في المعنى بالتمثيل حالاً لما قدمه))[٢٧] .

---

(23) المعجم في فقه لغة القرآن ، ٢٧٢/٩ .١

(24) ينظر : اوائل المقالات ، ١٢٥ .

(25) التبيان في تفسير القرآن ، ٤٧٧/٦ .

(26) نهاية الارب في فنون الادب ، ١٩١/٢ .

(27) جواهر الالفاظ ، ٧-٨ .

فيما اسماه بعض العلماء (استعارة) ومنهم ابن فارس (ت٣٩٥هـ) ، فيقول : ((اما الاستعارة فهي عنده كقول بعضهم ، ونقل قول ابن المعتز في وصف القلم ، يقول : "هو يخدم الارادة ، ولا يمل الزيادة ، يسكت واقفاً ، وينطق سائراً ، على ارض بياضها مظلم وسوادها مضيء"))[٢٨].

وايده في ذلك الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) حين قال : ((ان ما تضمنه القرآن من ذكر ذلك انما هو على الاستعارة دون الحقيقة ، كما قال الله تعالى : "ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض أتيا طوعاً او كرهاً قالتا اتينا طائعين" (فصلت:١١) ولم يكن منها نطق على التحقيق))[٢٩].

نسبة أفعال الجوارح إلى الذات الإلهية :

اتفقت اغلب المذاهب الإسلامية على تنزيه الخالق (جل وعلا) عن مشابهة المخلوقين والاتصاف بصفاتهم البدنية ولوازم الجسمية ، ويعد ذلك ركيزة أساسية في أصل التوحيد عندهم فقد ((أجمعوا على إن الله واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وليس : بجسم ، ولا شبح ، ولا جثة ، ولا صورة ، ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عَرَض ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسة ولا بذي حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا طول ولا عُرض ولا عُمق ولا اجتماع ولا افتراق ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض وليس بذي أبعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء ....))[٣٠].

ويتأكد هذا المعنى من خلال فهم الآيات التي تتحدث عن ما يوهم باتصاف الذات الإلهية بأية صفات جسمية ومنها المجيء والإتيان ، فيقدرون محذوف في مثل قوله تعالى : "**فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ**" النحل (٢٦) ، وقوله : "**فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا**" الحشر (٢) ، اذ يتأول قوله تعالى انه :((اتاهم بعذابه وامره ، ليس انه اتاهم بنفسه زائلاً ، وكان في مكان فكان عنه منتقلاً ، ولذلك يقول القائل للرجل اذا جاء بامر عجيب : لقد اتيت بامر عظيم))[٣١]

وكذلك نَفي الاستواء عنه تعالى وهو من افعال الجوارح التي تثبت الجسمية لمن يتصف بها حيث تبين القوانين اللغوية التوجيه الصحيح لقوله تعالى : "**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء** " البقرة (٢٩) .

---

(28) الصاحبي في فقه اللغة ، ٥ .
(29) اوائل المقالات ، ١٢٥ .
(30) مقالات الاسلاميين ٢١٦/١ .
(31) المختصر ١٠٨ ، ١٠٩ .

فالاستواء هنا يعني القصد ، فيكون معنى الآية : ثم قصد لخلق السماء ، واراد ذلك ، ولذلك عداه بـ (الى) ولا يكاد يعدى بـ(الى) ذلك اذا اريد به الاستواء على المكان))[٣٢].

وكذلك اضافة الصعود اليه تعالى في قوله : **"إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ"** فاطر (١٠) فالمراد به هنا انفراده تعالى بالحاكمية فمعناها (انه أي العمل) يرتفع الى حيث لا حكام سواه ، كما يقال في الحادثة ارتفع امرها الى الامير ، اذا صار لا يحكم فيها سواه[٣٣].

ونختتم هذه النماذج من افعال الجوارح المضافة الى الله سبحانه بقوله تعالى:

"وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" الزمر (٣٧) . اذ يؤول معنى الآية على انه جاء على سبيل التمدح والمبالغة فلا يصح تعلق المشبهة بالآية ان له تعالى يميناً ولا كفاً ((لان المتعارف عليه في اللغة ان التمدح بما يجري هذا المجرى انما يريد به المُلك والاقتدار ليصح فيه التمدح .... وانما ارادوا بذلك المبالغة في كونه مالكاً لان حظ اليمين في هذا الوجه اقوى منه في حظ الشمال .... وكذلك فانما يراد بان الشيء في قبضة فلان ، انه يصرفه كيف اراد ، وانه مستجيب له فيما شاء ، فلما كانت الارض هذه حالها مع الله تعالى وكذلك السموات ، جاز ان يتمدح بانها في قبضته وان السموات بيمينه))[٣٤].

---

(32) ينظر : متشابهة القرآن ، ٧٤/١ .
(33) ينظر : المختصر ، ١٨٧ ، وينظر : منهج المتكلمين في فهم النص القرآني ، ٣١٠ .
(34) متشابهة القرآن ، ٥٩٨/٢ .

افعال الجوارح في بعض اللغات الاجنبية :

((ان المجاز والاستعارة والكناية من الوسائل التي امدت العربية باساليب كثيرة افادت منها العربية فائدة عظيمة ، حيث لم نستطع الآن ان نحصي هذه الاساليب او ان نتبينها ، وذلك لان جزءاً كبيراً من هذه المجازات مثلاً صار متلبساً بالحقيقة او كأنه استعمال حقيقي لشيوعه وذيوعه ، ولان الاستعمال الحقيقي بالاصالة صار منسياً ، فانمحى اثره ولم يعد مستعملاً ابداً))(٣٥) .

على ان هذه الوسائل لم تكن مقتصرة على العربية فهي في كل اللغات ، واللغات مختلفة فيها ، ((فقد تجد استعمالاً مجازياً في لغة مؤدياً معنى من المعاني ، يختلف عن مجازٍ آخر في لغة اخرى مؤدٍ للمعنى نفسه))(٣٦).

وقد دخلت الكثير من هذه الاساليب اللغة العربية وافدة إليها من اللغات التي احتكت بها وترجمت الى العربية فأخذت عنها الشيء الكثير كالانكليزية والفرنسية* مثل : ذر الرماد في العيون ، وهو في الفرنسية :

Il jetle de la poudre aux yeux

وفي الانكليزية To Throw dust in the eye

وهو اعطى صوته وهو في الفرنسية Il a donn'e sa voix

وفي الانكليزية To give one's vote to

وهو يكسب بعرق جبينه والتعبير في الفرنسية

Il gagane a' la sueur de son front

وهو يلعب بالنار والتعبير بالفرنسية Il joue avec le feu

وفي الانكليزية To play with Five

وجرح شعوره وهو بالفرنسية Il a blesse' son amouv

وفي الانكليزية He woanded his Felling

وهو يصطاد في الماء العكر

وهو في الفرنسية Il pech en eau trouble

وفي الانكليزية To fish in troubled water

ويضحك على الذقون

في الفرنسية Il vit dans sa barbe

افعال الجوارح والدلالة العربية :

لقد تردد في كلام الدارسين اليوم ان ((اللغة ظاهرة اجتماعية ، والظواهر الاجتماعية ليست ثابتة بل تتعرض للتغيير باستمرار ... والتغير يصيب انظمة اللغة المختلفة ، وان كان تأثيره في المجال الدلالي اكبر ...))(٣٧).

---

(35) دراسات في اللغة ، ٢٤٠ .

(36) المصدر نفسه ، ٢٤١ .

* نقل الدكتور ابراهيم السامرائي تعابير كثيرة اخترنا بعضها للتمثيل وذلك في كتابه دراسات في اللغة ص٢٤١ وما بعدها .

والعربية لغة عريقة قديمة خضعت لسنة طبيعية من التطور والتغيير ، شملت اصواتها ، وحروفها والفاظها ودلالاتها ولاشك في ان قسماً من هذه التغييرات لم يرصد ويسجل ، ولكن الدارس يقتنع بان هذه اللغة ربما تكون ((بدأت احادية وتطورت الى الثنائية والثلاثية والرباعية ... ومضت في ذلك على مذهب خاص))[38]. كما أنه يقتنع بان الإحساس هو الممون الكبير للمعاني التجريدية الذهنية التي تأصلت وتعمقت وتركت اثراً ظاهراً في اللغة بعد تصور او تخيل واسعين فنحن حين نحس بالشيء نستطيع ان نتصوره او نتذوقه ونتمثله ، واما المعاني التي لا يمتد اليها الحس فلا يمكن للذهن ان يأخذ صورة عنها مستقلاً عن الحواس ولا نريد ان نتابع هذه الفكرة او نستقصى نتائجها ولكن الذي يهمنا فيها ان العربية انتفعت منها انتفاعاً كبيراً لانها ((وجهت هذا التطور وصبغته بالوان خاصة متنوعة . فان التصورات الاولية هي الاساس للتصور الذهني وهي تتولد من الاحساس بمعانيها مباشرة وتتشكل من هذه التصورات القاعدة الاولية للادراك ، فتبدأ بذلك مرحلة الابتكار والانشاء وهو الذي نصطلح عليه بلفظ الانتزاع فيدرك الذهن مفاهيم جديدة من تلك التصورات الاولية وهذه المفاهيم خارجة عن طاقة الحس ، وان كانت مستخرجة من التصورات التي يقدمها الحس الى الذهن...))[39].

وفي ضوء هذه الفكرة نستطيع ان نفهم كيف انبثقت مفاهيم هذا التطور حين نريد ان نعد اسبابه ومقوماته . فنحن حين نتأمل ظواهر هذه العربية ونمو مفرداتها ، ونقف على نظامها واشتقاقها واسرارها نجد ان لافعال الجوارح واستعمالها المتشعب والمتنوع مساراً واضحاً في هذا السبيل من التغيير والتجدد . ولاشك في ان ((لكل لغة خصائصها وسماتها بحسب ظروف تكوينها واصواتها التي انحدرت منها ...))[40] والنتيجة التي ينتهي اليها الباحث المنصف مهما يكن تمسكه بمبادئ الدرس اللغوي العلمي الحديث وعدم تطرفه في الميل الى العربية انها لغة مبينة ودقيقة امتزج فيها المستوى العقلي بالمستوى الجمالي فصاغ منها قالباً بديعاً ، ومظهراً رائعاً لأعلى ما يمكن ان تبلغه لغة اقول هذا وان كان العلم اللغوي

لا يشجع على اعلان هذا الحكم ولا يريد ان يمتدح الانسان لغته فهي لغة تهيأت لها من عوامل النمو ووسائل التوليد والاشتقاق ما اخذ بها الى الارتقاء والسمو وسهل امام تطورها مجالات الاكتمال والتجدد .

لقد ساحت على المعنى ، فملأت كل جوانبه واجزائه ووهبته لفظاً معبراً دقيقاً ، ورتبت هذه المعاني فجاءت متسلسلة في حقول دلالية منظمة . كل خلية لفظية تدور حول معنى من المعاني نلحظ انها ممتلئة غنية . تمكن اللفظ من الاحاطة بأسرار المعنى حتى احتواه ودار حوله ونقله في ابهى صورة وادق عبارة ليس هذا فحسب بل تناول

---

(37) مدخل الى علم اللغة ، ١٨/١٧ .
(38) من هدي القرآن ، ٩٩ .
(39) الخلاصة الفلسفية ، ٨٤-٨٥ .
(40) مباحث في علم اللغة واللسانيات : ٣٥ .

المسمى من اسبابه وجوانبه فصوره ونقله في كل حالة فهو البيت ، والمنزل ، والدار . وهو ((الاعذار للختان ، والنقيعة للقدوم من سفر وكذلك السفرة طعام يتخذ لقدوم المسافر والوكيرة والحترة عند البناء تقول وكّر توكيداً وصبَّر والعقيقة اول ما يؤخذ من شعر الوليد ، والوضيمة طعام المآتم ، وقد دعا النقرى اذا خص ودعا الجفلى اذا عم ، قال طرفة :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى　　　لا ترى الآدب فينا ينتقر))[٤١]

وانك واجد هذه المستويات والحقول التي تعتمد الترتيب والتدرج في كل جذر لغوي تجمعت حوله الالفاظ للدلالة على المفاهيم والافكار والمعاني : ولك ان تكشف ذلك في الفاظ النظر والاكل والشرب والحب وغير ذلك ولعلنا نجد في هذا التبويب والسخاء اللفظي امراً مدهشاً فريداً فلقد تكرر في كتب اللغة (باب في وصف اليد اذا باشرت ما يعلق بها جاء فيه ((اليد من اللحم غمِرْة ، ومن الشحم زَهِمة ، ومن السمن نَسِمة ومن الزبد وَضِرَة ، ومن الجبن نَشِمة ، ومن اللبن مَذِقة ومن البيض زَهِلة ، ومن السمك ضَمِرة ، ومن الزيت فتحة ومن الخمر عَتِكة ، ومن الخل خَمِطة ، ومن العسل ونحوه لَزِجة ، ومن الطيب عَطِرة ، ومن الغالية عَبِقة ، ومن الزعفران رَدِعة ...الخ))[٤٢] هذه الثروة اللفظية تجمعت بفعل اسباب وعوامل نشأت مع اللغة ورافقتها في مسيرتها الطويلة وقد كان لفعل الجارحة ابلغ الاثر في هذا النحو من التراكم الدلالي المثمر الخصب .

ولقد كان من مظاهر هذا المعنى استخدام الافعال التي تولدها الجوارح ثم تكون خاصة بحدث معين ومعنى لا تخرج عنه فمن ذلك مثلاً : شام فاصل الشيم النظر الى البرق ومن شأنه انه كما يخفق يخفى من غير تلبث ((ولا يشام الا خافقاً او خافياً فشبه بهما السَّل والاغماد ...))[٤٣] والحذف والقذف الحذف يستعمل في الضرب والرمي معاً ، ((ويقال هم بين حاذف وقاذف الحاذف بالعصا والقاذف بالحجر ...))[٤٤] ((واستلم الحجر الاسود تناوله باليد وبالقبلة ومسحه بالكف))[٤٥] قال في الصحاح : ((واستلم الحجر لمسه اما بالقبلة او باليد ، ولا يهمز لانه مأخوذ من السلام وهو الحجر ...))[٤٦] ولاشك في امتزاج الاثر البلاغي بهذا المسلك الدلالي اذ تتعدد الوجوه المجازية ، فتعمل على تغيير وتفصيل هذه المجالات المادية الحسية ، وتسلك بها سبلاً طويلة رحبة وتتطور الالفاظ وتتشابك المعاني ، وتتعدد المنافذ لتحقيق معان يصعب تتبعها وتقصيها ولله در الجرجاني حين يقول بعد عرض امثلة من هذه الوجوه البلاغية والفنون البيانية .

---

(41) كتاب مبادئ اللغة ، ٢٧١ وينظر : ديوان طرفة، ٥٥.
(42) مبادئ اللغة ، ٨٢ والحق انه باب كبير لم اذكره كله .
(43) لسان العرب ، (شيم) ٢٢٣/١٥ .
(44) نفسه ، ٣٨١/١٠ .
(45) نفسه ، (سلم) ١٩٠/١٥ .
(46) الصحاح ، سلم ، ١٩٥٢/٥-١٩٥٣ .

((اعلم اني ذكرت لك في تمثيل هذه الاصول الواضح الظاهر ، والقريب المتناول الكائن من قبيل المتعارف في كل لسان ، وما تجد اعترافاً به ، وموافقة عليه من كل انسان او ما يشابه هذا الحد ويشاكله ويداخل هذا الضرب ويشاركه ، ولم اذكر ما يدق ويفحص ، ويلطف ويغرب ، وما هو من الاسرار التي اثارتها الصنعة ، وغاصت عليها فكرة الافراد من ذوي البراعة ...))(٤٧) ويقول واصفاً ذلك في موضع آخر ((وموضع هذا الذي لا يفيد نقله ، حيث يكون اختصاص الاسم بما وضع له من طريق اريد به التوسع في اوضاع اللغة والتنوع في مراعاة دقائق في الفروق في المعاني المدلول عليها ...))(٤٨) ويصور قدرة الحس والمشاهدة على ترسيخ المعنى وتثبيته بقوله: ((فان التمثيل .. وذلك ان الوصف كما يحتاج الى اقامة الحجة على صحة وجوده في نفسه ، وزيادة التثبيت والتقرير في ذاته واصله ، فقد يحتاج الى بيان المقدار فيه ، ووضع قياس من غيره يكشف عن حده ومبلغه من القوة والضعف والزيادة والنقصان .. واذا تقرر هذا الاصل ، فان الاوصاف التي يُرَّدُ السامع فيها بالتمثيل من العقل الى العيان والحس ، وهي في انفسها معروفة مشهورة صحيحة لا تحتاج الى الدلالة على انها هل هي ممكنة موجودة ام لا ، فانها وان غنيت من هذه الجهة عن التمثيل بالمشاهدات والمحسوسات فانها تفتقر اليه من جهة المقدار لان مقاديرها في العقل تختلف وتتفاوت فقد يقال في الفعل انه من حال الفائدة على حدود مختلفة في المبالغة والتوسط فاذا رجعت الى ما تبصر وتحس عرف ذلك بحقيقته))(٤٩). ويؤكد هذا المعنى قائلاً :

((فأول ذلك واظهره أن أنس النفوس موقوف على ان تخرجها من خفي الى جلي ، وتأتيها بصريح بعد مكنّى ، وان تردها في الشيء تعلمها اياه الى شيء آخر هي بشأنه اعلم ، وثقتها به في المعرفة احكم نحو ان تنقلها عن العقل الى الاحساس ، وعما يعلم بالفكر الى ما يعلم بالاضطرار والطبع لان العلم المستفاد من طرق الحواس او المركوز فيها من جهة الطبع ، وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام وبلوغ الثقة فيه غاية التمام كما قالوا : ليس الخبر كالمعاينة ولا الظن كاليقين ... ومعلوم ان العلم الاول اتى النفس اولاً من طريق الحواس والطباع ثم من جهة النظر والرَّوية ...))(٥٠).

لقد تضخمت معجمات العربية ، وكثرت مفردات اللغة وربما تكون بداية كثير من موادها ، مفردة دالة على معنى خاص ، وردت في الاستعمال اللغوي الاول ، وازدحمت الاستعمالات حتى نمت تلك اللفظة الاولى وتعددت كالبذرة الحية في التربة الصالحة ، فربما تكون كلمة (نزع) قد عرفت المعنى الخاص الاول بقولهم ((نزع في القوس ، ينزع نزعاً مد بالوتر ، وقيل ضرب الوتر بالسهم والنَزَعة: الرماة واحدهم نازع ، وفي مثل

---

47) اسرار البلاغة ، ٧٨ .

48) نفسه ، ٣٠ .

49) نفسه ، ١٢٥ .

50) اسرار البلاغة ، ١٢٢ .

عاد السهم الى النزعة أي رجع الحق الى اهله ، وقام باصلاح الامر اهل الاناة ...))[٥١] وهذه مادة كثيرة ، ولغة واسعة ، ومعنى متشعب ومنها ((الفاظ رمى بها الزمن الى زاوية من زوايا النسيان فباتت معطلة ، وباتت جمهرة الكتاب والمتعلمين لا ترى بين يديها عند الاشارة الى معنى من هذه المعاني الا استعمال كلمات عامة ...))[٥٢] .

وحين عقد ابن فارس في الصاحبي بابا سماه (باب القول في ان لغة العرب افضل اللغات واوسعها) اختتمه ببيان قيمة الالفاظ الخاصة والمعاني الفريدة اذ قال:

((وللعرب بعد ذلك كلم يلوح في اثناء كلامهم كالمصابيح في الدجى كقولهم واقتحف الشراب كله ، وتقادعوا تقادع الفراش في النار وله قدم صدق وتفاذقت بنا النوى))[٥٣] ... ولو تقصينا ذلك لجاوزنا الغرض....

وذهب ابن فارس رحمه الله الى ان العربية اتسقت في المجاز ، ((ذلك لو اردت ان تنقل قوله جل ثناؤه ((وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ" الانفال (٥٨) لم تستطع ان تأتي بهذه الالفاظ المؤدية عن المعنى الذي اودعته حتى تبسط مجموعها ، وتصل مقطوعها وتظهر مستورها فنقول : ان كان بينك وبين قوم هدنة .وعهد فخفت منهم خيانة ونقضاً فاعلمهم انك قد نقضت فاشرطته لهم ، وآذنهم بالحرب لتكون انت وهم في العلم بالنقض على استواء ..

قال وكذلك قوله جل ثناؤه ((فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً" الكهف (١١) ان الضرب الذي اداه هذا الفعل الحسي يراد به غلق الاذن ، وسد منافذ السمع بارادة الهية ، ولهذا عقب ابن قتيبة (٢٧٦هـ) بعد ذكره هذه الآية بكلام طويل منه قوله ان اردت ان تنقله بلفظه لم تفهمه المنقول اليه (أي ضربنا) فان قلت انمناهم سنين عدداً لكنت مترجماً للمعنى دون اللفظ[٥٤]

---

51. لسان العرب ، نزع ، ٢٢٨/١٠ .

52. المعجم في بقية الاشياء ، المقدمة ، ٢٢ .

(53) الصاحبي ، ٢٤-٢٥ .

(54) تأويل مشكل القرآن ، ١٦ .

الباب الاول

مظاهر التطور الدلالي

الدلالة لغة :

الصورة المعجمية لأي لفظ في اللغة العربية تمثل المرجعية الأولى لهذا اللفظ في القاموس الخطابي، بالنظر الى دلالته الاولى ((فالحالة المعجمية للالفاظ تمثل الصورة الأساسية لمحيطها الدلالي))"٥٥. يقول ابن منظور في كلامه على معاني لفظ دلٌّ "ودله على الشيء يَدُلُهُ. دلاً ودلالةً فاندَّل : سددهُ اليه، ودللتهُ فاندلَّ ، قال الشاعر :

مالك يا احمقُ لاتندلُّ   وكيف يندلُ امرؤٌعثولُّ

يريد الازهري : سمعتُ اعرابياً يقول لاخر : اما تندل على الطريق؟ ، والدليل ما يستدل به. والدليلُ الدال ، وقد دلهُ على الطريق يدلّهُ دَلالة و دِلالة و دُلولة والفتح اعلى ، وانشد ابو عبيد :

اني امرؤٌ بالطُّرْق ذو دلالات

والدليل والدليلي : الذي يدلكَ٥٦ ان ابن منظور بما جمع من امثلة٥٧ يرسم الاطار المعجمي للفظ (دلّ) محدداً المعنى الحقيقي الذي ينحصر في دلالة الارشاد او العلم بالطريق الذي يدلُ الناس ويهديهم . وهذا التصور للدلالة لا يختلف عن التصور الحديث مما يعني ان المصطلح العلمي للدلالة يستوحي معناه من تلك الصورة المعجمية التي نجدها في اساليب الخطاب اللغوي القديم٥٨.

وإلى المعنى ذاته يشير الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)محدداً الوضع اللغوي للفظ دلَّ فيقول: "......والدالة ما تدلُ به على حميمك ، ودله عليه دلالة ويثلثه، ودلوله فاندل : سدده اليه ، وقد دلت تدل والدال كالهدي"٥٩.

وبهذا الشرح يؤكد الفيروز ابادي ما نص عليه ابن منظور من ان الاصل اللغوي للفظ "دلَّ" يعني هدى وسدد وارشد، وتابعه الجوهري حيث قال في معاني لفظ دلل الدليل ما يستدل به، والدليل الدال، إلى أن قال: الدلُّ قريب المعنى من الهدي ٦٠.

---

55 علم الدلالة العربي، ٤١.
56 لسان العرب، دلَّ .
57 ينظر نفسه ، دلَّ .
58 علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ، ١٤.
59 القاموس المحيط، دلّ .
60 الصحاح ،دلَّ .

إذن فالدلالة في اللغة تتلخص بالهدي والإرشاد والتسديد، وهو الجذر الذي أخذ منه معناها الاصطلاحي وبني عليه ، فالدلالة في الاصطلاح "أهم من الإرشاد والهداية"٦١ ويترتب على هذا التصور المعجمي توفر عناصر الهدي والإرشاد والتسديد أي توفر: مرشِد ومرشَد ووسيلة إرشاد وأمر مرشد إليه، وحين يتحقق الارشاد تحصل الدلالة، وتقابل اللسانيات الحديثة هذا التصور، بتعيين الباث والمتقبل ووسيلة الابلاغ والتواصل وشروطها، ثم المرجع المفهومي الذي تحيل عليه الرسالة الابلاغية٦٢.

اما معناها الاصطلاحي: فيعني:"كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الاول: الدال والثاني هو المدلول"٦٣ وهذا ما اصطلح عليه اهل الميزان والاصول والعربية والمناظرة واستقر عندهم تعريفاً للدلالة٦٤.

ومن خلال المعنى اللغوي والاصطلاحي نقف على ان الدلالة: تمثل السبيل للوصول الى الغاية، وبما ان المعنى هو غاية الكلام، فالدلالة تمثل السبيل الى فهم المعنى من خلال علاقته باللفظ، من هنا صار لفظ المعنى والدلالة مترادفين، والمعنى هو العلاقة المتبادلة بين اللفظ والمدلول، علاقة تمكن كل واحد منهما من استدعاء الآخر٦٥ وان كانت الدلالة هي التي توصل اليه .

ويستنتج من هذا ان الدلالة اللغوية هي: كون الالفاظ مؤتلفة في تركيب يلزم من العلم بمعاني الفاظه وكيفية التركيب الواردة به، العلم بالمعنى المراد به" ولا بد من الاشارة الى خصوصية الدلالة اللغوية على المعنى من عمومية الدلالة، اذ ليست دلالة الكلمة على شيء كدلالة الدخان على النار او السحاب على المطر، فهذه دلالة خارجية ينفصل فيها الدال عن المدلول، اما دلالة الكلمة على الشيء فكامنة فيها مبناها على تصور الانسان للاشياء٦٦ .

اما علم الدلالة: فيعرف على انه"العلم" الذي يبحث في معاني الالفاظ، وانواعها، واصولها، والصلة بين اللفظ والمعنى، والتطور الدلالي ومظاهره واسبابه، والقوانين التي يخضع لها٦٧.

لفظ "دلالة" في القرآن الكريم :

لقد اورد القرآن الكريم صيغة (دلَّ) بمختلف مشتاقاتها في سبعة مواضع تشترك في ابراز الاطار اللغوي المفهومي لهذه الصيغة، وهي تعني الاشارة الى الشيء او الذات

---

61 الكليات،٢:٣٣-٣٢١.
62 علم الدلالة اصوله ومباحثه في التراث العربي، ١٤.
63التعريفات، الجرجاني، ١٣٩.
64 كشاف اصطلاحات الفنون، ٢: ٢٨٤ وينظر : التأويل اللغوي في القرآن الكريم – دراسة دلالية / حسين حامد الصالح ، رسالة دكتوراه ، ١٩٩٥ .
65التصور اللغوي عن الاصوليين ، ١٤٢ .
66 التركيب اللغوي للادب، ٤٧. ودلالات النصوص، ٩-١٠ . و مدخل الى علم الفلسفة (١:٥٦).
67 علم اللغة وفقه اللغة تحديد وتوضيح، ٤٥.

سواءٌ اكان تجريداً ام حساً، ويترتب على ذلك وجود طرفين،طرف دال وطرف مدلول، يقول تعالى في سورة الاعراف حكاية عن غواية الشيطان لآدم وزوجته: **فدلاهما بغرور**٦٨، أي ارشدهما الى الاكل من تلك الشجرة التي نهاهما الله عنها. فاشارة الشيطان دال والمفهوم الذي استقر في ذهن آدم وزوجته وسلكا وفقه هو المدلول او محتوى الاشارة، فبالرمز ومدلوله تمت العملية الابلاغية بين الشيطان من جهة، وآدم وزوجته من جهة ثانية، والى المعنى ذاته يشير قوله تعالى، في سياق قصة موسى (عليه السلام)،"**وحَرَّمنا عليه المراضعَ من قبلُ فقالت هل أدُلَّكُم على اهل بيتٍ يكفُلُونه لكم وهم له ناصحون**"٦٩ كما ورد قوله تعالى في سورة طه"**قال ياآدمُ هل أدلُّك على شجرةِ الخلدِ وملك لا يَبْلى**"٧٠. فهاتان الآيتان تشيران بشكل بارز الى الفعل الدلالي المرتكز على وجود باث يحمل رسالة ذات دلالة، ومتقبل يتلقى الرسالة ويستوعبها وهذا هو جوهر العملية الابلاغية التي تنشدها اللسانيات الحديثة، فاذا تم الاتصال الابلاغي هذا يعني ان القناة التواصلية سليمة بين الباث والمتقبل٧١، وتبرز العلاقة الرمزية بين الدال والمدلول ـ قطبي الفعل الدلالي – في قوله تعالى، من سورة الفرقان:"**الم تر الى ربك كيف مدَّ الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً**"٧٢.

فلولا الشمس ما عرف الظل. فالشمس تدل على وجود الظل فهي شبيهة بعلاقة النار بالدخان الذي يورده علماء الدلالة مثالاً للعلاقة الطبيعية التي تربط الدال بمدلوله، ويمكن تمثيل هذه العلاقة في أي صيغة اخرى٧٣، ولقد دلت الارضة التي اكلت عصا سليمان(عليه السلام) حتى خر على انه ميت في قوله تعالى من سورة سبأ:"**فلما قضينا عليه الموت ما دَلُّهُم على موتِه الا دابةُ الارضِ**

68الآية رقم ٢٢ ، ينظر : الجامع لاحكام القرآن، ١٣: ٣٧.
69سورة القصص الآية ١٢، ينظر تفسير الكشاف،٤: ٢١٧.
70 الآية ١٢٠، ينظر تفسير ابن كثير،٤: ٥٤٢.
71علم الدلالة اصوله ومباحثه في التراث العربي،١٣.
72الآية ٤٥، ينظر : الكشاف، ٤: ١٢٠.
73علم الدلالة اصوله ومباحثه فغي التراث العربي،١٣.

تاكل مِنْسأتَه فلما خرَّ تبينت الجنُّ أن لو كانوا يعلمون الغيبَ ما لَبثوا في العذابِ المهين"٧٤. فتعيين طرفي الفعل الدلالي كما تحدده الآية، ضروري لايضاح المعنى، فالدابة واكلها دال، وهيئة سليمان وهو ميت مدلول، فلولا وجود"الارضة" الدال لما كان هناك سبب معرفة موت سليمان (عليه السلام) وهو دال عليه، وفي السورة السابقة ورد قوله تعالى"وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد"٧٥ فهذه الاية تؤكد على ضرورة وجود اطار للفعل الدلالي، عناصره الدال والمدلول والرسالة الدلالية التي تخضع لقواعد معينة، تشرف على حفظ خط التواصل الدلالي بين المتخاطبين، والى المفهوم الدلالي اللغوي ذانه يشير قوله تعالى على لسان اخت موسى(عليه السلام) ٧٦: "اذ تمشي أُختُك فتقولُ هل أدلُّكُم على مَنْ يكفُلُه فرجعناك الى امك كي تقر عينُها ولا تحزن٧٧".

هذه الايات التي ورد فيها ذكر لفظ "دل" بصيغه المختلفة ، تشترك في تعيين الاصل اللغوي لهذا اللفظ ، وهو لا يختلف كثيرا عن المصطلح العلمي الحديث ودلالته ، فاذا كان معنى اللفظ "دل" و ما صيغ منه في القرآن الكريم يعني الاعلام والارشاد والاشارة والرمز ، "فان المصطلح العلمي للدلالة الحديث لايختلف عن هذه المعاني الا بقدر ما يضيف من تحليل عميق للفعل الدلالي ، كالبحث عن البنية العميقة للتركيب اللغوي بملاحظةبنيته السطحية ، او افتراض وجود قواعد دلالية على مستوى الذهن تكفل التواصل بين اهل اللغة الواحدة ، وهو يفسر توليد المتكلم لجمل جديدة لم يكن تعلّمها من قبل . كما تنص على ذلك القواعد التوليدية التي اشار اليها تشومسكي ضمن نظريته التوليدية،فما يمتاز به متكلم اللغة قدرته على انتاج وفهم جمل لم يسبق له ان انتجها او سمعها من قبل "٧٨.

علم الدلالة عند العرب :

74الآية ١٤، ينظر: الكشاف، ٥: ١٢.
75الآية ٧، ينظر : الجامع لاحكام القرآن ٢ : ١١٨ .
76علم الدلالة اصوله ومباحثه في التراث العربي: ١٤.
77سورة طه الآية ٤٠، ينظر تفسير ابن كثير، ٤: ٥٠٦.
78اللسانيات واللغة العربية ، ٣٧٠.

خصص المفكرون العرب للبحوث اللغوية حيزا واسعا من نتاجهم الفكري الموسوعي الذي يضم الى جانب العلوم النظرية كالفلسفة والمنطق علوما لغوية قد مست كل جوانب الفكر عندهم سواء تعلق الامر بالعلوم الشرعية كالفقه والحديث او علوم العربية كالنحو والصرف والبلاغة ، وغيرها ، بل انهم كانوا يعدون علوم العربية نفسها وتعلمها من المفاتيح الضرورية للتبحر في فهم العلوم الشرعية،"ولذلك تاثرت (العلوم اللغوية) بعلوم الدين وخضعت لتوجيهاتها " ٧٩.

"وقد تفاعلت الدراسات اللغوية مع الدراسات الفقهية، وبنى اللغويون احكامهم على اصول دراسة القرآن و الحديث والقراءات وقالوا في امور اللغة بالسماع والقياس والاجماع والاستصلاح تماماً كما فعل الفقهاء في معالجة موضوع علوم الدين" ٨٠ولما كانت علوم الدين تهدف الى استنباط الاحكام الفقهية ووضع القواعد الاصولية للفقه، اهتم العلماء بدلالة الالفاظ والتراكيب وتوسعوا في فهم معاني نصوص القرآن والحديث، واحتاج ذلك منهم الى وضع اسس نظرية، فيها من مبادئ الفلسفة والمنطق ما يدل على تأثر العرب بالمفاهيم اليونانية، وقد اكد عادل الفاخوري انه "ليس من مبالغة في القول ان الفكر العربي استطاع ان يتوصل في مرحلته المتأخرة الى وضع نظرية مستقلة وشاملة يمكن اعتبارها اكمل النظريات التي سبقت الابحاث المعاصرة" ٨١.

فالابحاث الدلالية في الفكر الدلالي العربي التراثي لا يمكن حصرها في حقل معين من النتاج الفكري، بل هي تتوزع لتشمل مساحة شاسعة من العلوم لانها مجال رحب" للتحاور بين المنطق وعلوم المناظرة واصول الفقه والتفسير والنقد الادبي والبيان" ٨٢.

هذا التلاقح بين هذه العلوم النظرية واللغوية هو الذي انتج ذلك الفكر الدلالي العربي، الذي ارسى قواعد تعد الآن المنطلقات الاساسية لعلم الدلالة وعلم السيمياء وعلى السواء، بل انك لا تجد كبير فرق بين علماء الدلالة في العصر الحديث وبين علماء العرب الذين أسهموا في تأسيس وعي دلالي مهم، يمكن رصده في نتاج الفلاسفة واللغويين وعلماء الاصول والفقهاء والادباء "فالبحوث الدلالية العربية تمتد من القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية الى سائر القرون التالية لها، وهذا التاريخ المبكر انما يعني نضجاً احرزته العربية وأصّله الدارسون في جوانبها" ٨٣.

التطور الدلالي :

اهتم علماء الدلالة الغربيين بمسألة التطور الدلالي، منذ اوائل القرن التاسع عشر، حاولوا خلاله تأطير تغيير المعنى بقواعد وقوانين، فبحثوا في هذا المجال اسباب تغير الدلالة واشكاله وصوره، وقد ادركوا ان التطور الدلالي هو تعديل الالفاظ لمعانيها،

79علم الدلالة اصوله ومباحثه في التراث العربي ، ١٣ .
80فنون التقعيد وعلوم اللغة، ٢٦.
81علم الدلالة عند العرب، ٥.
82 نفسه ، ٥ .
83علم الدلالة العربي،٦.

ذلك ان الالفاظ ترتبط بدلالتها ضمن علاقة متبادلة فيحدث التطور الدلالي كلما حدث تغيير في هذه العلاقة٨٤، ولا يكون التطور في مفهوم علم الدلالة في اتجاه متصاعد دائماً، انما قد يحدث ويضيق المعنى او يخصص، كما يتسع او يعمم، فيكون الانتقال من المعنى الضيق او الخاص الى المعنى الاتساعي او العام، يقول المسدي في ذلك:"ان الحقيقة العلمية التي لا مراء فيها اليوم هي ان كل الالسنة البشرية ما دامت تتداول فانها تتطور ، ومفهوم التطور هنا لا يحمل شحنة معيارية لا ايجاباً ولا سلباً وانما هو مأخوذ في معنى انها تتغير اذ يطرأ على بعض اجزائها تبدل نسبي في الاصوات والتراكيب من جهة ثم في الدلالة على وجه الخصوص، ولكن هذا التغيير هو من البطء بحيث يخفى عن الحس الفردي المباشر"٨٥.

والتطور الدلالي أي كل اضافة جديدة للالفاظ في الدلالة على معانيها ، ظاهرة شائعة في كل اللغات، اكدها الدارسون لتأريخ اللغات الانسانية، ورأوا انها ظاهرة طبيعية دعت اليها الضرورة الاجتماعية٨٦، فالمعنى الاولي للفظ في وضع الواضع لا يتغير ، وقد تضاف اليه معاني اخرى تحمله من الزخم اللغوي الجديد معاني جديدة ، ويشبه هؤلاء اللغة في هذه الناحية بالكائن الحي:"بانها تحيا على السنة المتكلمين بها وهم من الاحياء، وهي لذلك تتطور وتتغير بفعل الزمن كما يتطور الكائن الحي ويتغير، وهي تخضع لما يخضع له الكائن الحي في نشأته ونموه وتطوره، وهي ظاهرة اجتماعية تحيا في احضان المجتمع، وتستمد كيانها منه، ومن عاداته وتقاليده، وسلوك افراده، كما انها تتطور بتطور هذا المجتمع، فترقى برقيه وتنحط بانحطاطه"٨٧. وتغير المعنى ليس الا جانباً من جوانب التطور اللغوي، لان اللغة:"ليست هامدة او ساكنة بحال من الاحوال بالرغم من ان تقدمها قد يبدو بطيئاً في بعض الاحايين، فالاصوات والتراكيب والعناصر النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها معرضة كلها للتغيير والتطور ولكن سرعة الحركة والتغيير فقط هي التي تختلف من مدة زمنية الى اخرى ومن قطاع الى آخر من قطاعات اللغة"٨٨.

ان التطور الدلالي ظاهرة طبيعية، يمكن رصدها بوعي لغوي لحركية النظام اللغوي المرن، اذ تنتقل العلاقة اللغوية من مجال دلالي معين الى مجال دلالي آخر، وهو ما يمكن ان يدرس في مباحث المجاز، وفي حركية اللغة الدائبة قد تختلف الدلالة الاساسية للكلمة فاسحة مكانها للدلالة السياقية او لقيمة تعبيرية او اسلوبية، وبذلك تغدو الكلمة ذات مفهوم اساسي جديد وقد يحدث ان ينزاح هذا المفهوم بدوره ليحل مكانه مفهوم آخر، وهكذا يستمر التطور الدلالي في حركة لا متناهية تتميز بالبطء والخفاء، ويشرح (بيارجيرو) ذلك بقوله:"يتغير المعنى لاننا نعطي اسماً عن عمد لمفهوم ما من اجل غايات ادراكية او تعبيرية، اننا نسمي الاشياء ويتغير المعنى لان

84علم الدلالة، اصوله ومباحثه في التراث العربي،٥٦.
85اللسانيات واسسها المعرفية،٣٨.
86ينظر : علم اللغة ، وافي، ٣١٣و دلالة الالفاظ، ١٢٣.
87التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه،٥.
88دور الكلمة في اللغة،١٥٣.

احدى المشتركات الثانوية(معنى سياقي، قيمة تعبيرية، قيمة اجتماعية) تنزلق تدريجياً الى المعنى الاساسي وتحل محله فيتطور المعنى"٨٩.

ان التغيير الذي يطرأ على بنية اللغة، لا يحدث الا اذا توافرت عوامل موضوعية واخرى ذاتية تدفع العناصر اللغوية الى تغيير دلالاتها، وقد حصر علماء اللغة هذه العوامل الثلاثة بـ: عوامل اجتماعية ثقافية وعوامل نفسية، وعوامل لغوية، وقد توجد غير هذه العوامل تتحكم في التطور الدلالي، يوضح ذلك ستيفن اولمان بقوله:"هذه الانواع الثلاثة مجتمعة تستطيع فيما بينها ان توضح حالات كثيرة من تغير المعنى، ولكنها مع ذلك ليست جامعة بحال من الاحوال"٩٠.

واهم عوامل التطور الدلالي:

١. العامل الاجتماعي الثقافي :

حيث يتم الانتقال من الدلالة الحسية الى الدلالة التجريدية، نتيجة لرقي العقل الانساني ويكون ذلك تدريجياً، ثم قد تندثر الدلالة الحسية فاسحة مجالها للدلالة التجريدية، وقد تضل مستعملة جنباً الى جنب مع الدلالة التجريدية لفترة من الزمن٩١ فالنمو اللغوي لدى الانسان الاول، عرف في بداية تسمية العالم الخارجي الدلالة الحسية فحسب، ومع تطور العقل الانساني انزوت تلك الدلالات الحسية وحلت محلها الدلالات التجريدية.

وقد يحدث ان تضيق الدلالة بعد ان كانت متسعة او عامة، ويمكن تمثل ذلك في الدلالات التي كانت مستعملة قبل الاسلام مثل الصلاة والزكاة والحج[٩٢] ، ثم بعد الاسلام مالت دلالات هذه الصيغ اللغوية نحو التخصيص وهذه سنن لغوية تنسحب على كل عناصر النظام اللغوي. وقد تتسع الدلالة بعد ان كانت ضيقة مثال ذلك يذكر اللغويون الفاظاً مثل الدلو، والقصعة والسفينة وغيرها اذ كانت هذه الكلمات تدل على اشياء مصنوعة من مادة الخشب او الطين ولكن رغم التغيير الذي حصل في شكل ومادة هذه الاشياء في العصر الحديث، الا ان هذه الالفاظ ما زالت دلالاتها القديمة تشملها ضمن مجالها الدلالي٩٣.

٢. العامل النفسي:

قد تعدل اللغة باشراف المجتمع عن استعمال بعض الكلمات لما لها من دلالات مكروهة، او يمجها الذوق الانساني وهو ما يعرف باللامساس، ويخضع ذلك لثقافة المجتمع ونمط تفكيره وحسه التربوي، فيلجا المجتمع اللغوي الى تغيير ذلك اللفظ ذي

89علم الدلالة، ترجمة منذر عياشي،٩٩.

90دور الكلمة في اللغة،١٥٧.

91دلالة الالفاظ،١٦١-١٦٢ .

92 الفاظ القيم الاخلاقية وتطورها الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم ، نوال كريم زرزور ، رسالة ماجستير / ١٩٩٦ .

93علم الدلالة اصوله ومباحثه في التراث العربي،٥٧.

الدلالة المكروهة والممجوجة بلفظ اخر ذي دلالة يستحسنها الذوق، فكأن اللامساس يؤدي الى تحايل في التعبير او ما يسمى بالتلطف، وهو في حقيقته ابدال الكلمة الحادة بالكلمة الاقل حدة، وهذا النزوع نحو التماس التلطف في استعمال الدلالات اللغوية هو السبب في تغير المعنى3.

٣. العامل اللغوي:

قد يحدث في صلب اللغة فجوات معجمية لا تجد معها اللفظ الذي يعبر عن الدلالة الجديدة فيلجأ اللغويون الى سدها عن طريق الاقتراض اللغوي او الاشتقاق، وقد يتجه المجتمع اللغوي نحو المجاز فيتم ابتداع دلالة جديدة او يحصل نقل الدلالة من حقل دلالي الى آخر، وامثلة ذلك كثيرة في اللغة العربية كقولنا:اسنان المشط فدلالة الاسنان تم نقلها من مجال دلالي يخص الكائن الحي بوجه عام الى مجال آخر يبدو بعيداً ويخص المشط، ومثل ذلك قولنا:"ارجل الكرسي" "وظهر السيف" و"كبد السماء" وغيرها من التراكيب اللغوية.

ان الكلمة قد تفترض معنى جديداً ضمن الخطاب اللغوي فتصبح ذات دلالة اضافية متداولة ضمن اطار التداول عند المتخاطبين، يشرح ذلك (بيارجيرو) بقوله:"اني لا ارى بأساً من التكرار فاقول مجدداً اني اعتقد - مع سوسير – بضرورة وجود مفهومين للقيمة البنيوية والمضمون الدلالي، ولا تنفي هاتان القيمتان بعضها بعضاً بل تتكاملان، فالكلمة من جهة اولى منفتحة على امكانيات من العلاقة تعدها بنية النظام اللساني، ولكن من جهة اخرى كلما تحققت العلاقات الافتراضية ضمن الخطاب وعرفها المتكلمون، نجد ان اثر المعنى الناتج عنها يتخزن في الذاكرة وانطلاقاً من هذه اللحظة يتعلق المعنى بالاشارة ويعطيها مضموناً٩٤.

ولعل من أهم عوامل التطور الدلالي اصالة اللغة العربية بحيث انها استوعبت البعد المعنوي للالفاظ ، وتفجرت طاقاتها لقبول المعاني الجديدة بعلاقات قائمة بين الالفاظ المعاني .

وهناك من ارجع عوامل التطور الدلالي الى نوعين من العوامل :

النوع الاول : عوامل مقصودة كقيام المجامع اللغوية والهيئات العلمية بوضع مصطلحات جديدة، اواضفاء دلالات جديدة على الفاظ قديمة لمجاراة التطور في مجالات الحياة المختلفة ٩٥. ولهذا النوع تأثير محدود في اللغات .

والنوع الثاني : العوامل التي تتم بلا تعمد او قصد، ومن اهم هذه العوامل الحاجة الى كلمة جديدة للتعبير عن معنى جديد لم يكن معروفا من قبل3 . وهناك حالات اخرى

---

3 علم الدلالة ، احمد مختار عمر ٥٢ .

94علم الدلالة، ترجمة منذر عياشي ٤٣.

95ينظر : دلالة الالفاظ ، ١٣٤ والتطور اللغوي ، ١١١ . وعلم الدلالة . احمد مختار عمر ٢٤٢ .

3ينظر : دلالة الالفاظ ، ١٣٠ . ودور الكلمة في اللغة ، ١٥٩ وعلم الدلالة العربي ، ٢٦٤ وعلم الدلالة ، ٢٣٧-٢٣٨ .

لا يكون فيها تغير المعنى مرتبطا باية حاجة، انما يرجع الى اسباب لغوية وتاريخية واجتماعية4 .

ومن الدارسين من ارجع اسباب التطور الدلالي الى نوعين من الاسباب، خارجية: مصدرها الأشياء والحياة، وداخلية: مرتبطة باللغة ذاتها وناتجة عن الاستعمال٩٦ وقد وجد علماء اللغة المحدثون في المجاز المرسل وفي الاستعارة نماذج اساسية لتغيير الدلالات ونقلها من مجال الى آخر٩٧ لان الاستخدام المجازي للالفاظ: "يعطينا علاقات جديدة تتجاوز الدلالة المباشرة، فان الكلمة تتغير قيمتها الدلالية عندما تستخدم بصورة مجازية ، وتتحول من مجال الى مجال ، فتكتسب في موقعها الجديد درجة اعلى من الوضوح لانها تسترعي الانتباه في سياقها الجديد"٩٨.

ومن عوامل التطور الدلالي ايضاً التي رصدها المحدثون استعمال بعض الالفاظ الاجنبية، لان اللغات تستعير بعضها من بعض وهذا قانون عام في كل اللغات٩٩يقول الاستاذ محمد المبارك: "ومن اسباب تبديل معاني الالفاظ تأثير اللغات الاجنبية باشراب الكلمة العربية معنى الكلمة الاجنبية المقابلة لها واعطائها معناها١٠٠.

وثمة اسباب وعوامل كثيرة اخرى احصاها الدارسون تؤدي الى تطور دلالة الالفاظ، لكنها في جملتها لا تخرج عن هذه الاسباب المذكورة١٠١.

---

4 ينظر : دور الكلمة في اللغة ، ١٥٤-١٥٦ وعلم الدلالة العربي ، ٢٦٥-٢٦٦ .

96ينظر : علم الدلالة العربي ، ٢٦٦. ودلالة الالفاظ ، ١٣٥. و اللغة لفندريس ، ٢٥٢-٢٥٣.

97ينظر : علم الدلالة العربي ، ٢٦٣ ، ٣٧٩.

98الاسس الدلالية في تحليل النصوص العربية د. محمود فهمي حجازي ٢٢٤.

99ينظر : دلالة الالفاظ ، ١٤٨-١٤٩.

100فقه اللغة وخصائص العربية ٢١٦.

101ينظر : علم اللغة وافي ، ٣١٩-٣٢٢. واللغة لفندريس ، ٢٥٣. والتطور اللغوي ، ١١٢. ودور الكلمة في اللغة ، ١٨٠.

مظاهر التطور الدلالي:

حدد الدارسون المحدثون التغيرات التي تطرأ على المعنى بثلاثة مظاهر رئيسة، وذلك بحسب تقسيم منطقي اتبعوه وتبين لهم ان: "المعنى القديم اما ان يكون اوسع من المعنى الجديد او اضيق منه او مساوياً له...."١٠٢ .

فاهم مظاهر التطور الدلالي هي ثلاثة مظاهر: تخصيص دلالة الكلمة او تعميم دلالتها، او تغيير مجال استعمال الكلمة، أي ان معنى الكلمة اما ان يحدث فيه تضييق او اتساع او انتقال، وفي ذلك يقول فندريس: "ترجع احياناً التغيرات المختلفة التي تصيب الكلمات من حيث المعنى الى ثلاثة انواع التضيق والاتساع والانتقال: فهناك تضيق عند الخروج من معنى عام الى معنى خاص... وهناك اتساع في الحالة العكسية أي عند الخروج من معنى خاص الى معنى عام... وهناك انتقال عندما يتعادل المعنيان او اذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص، كما هي في حالة انتقال الكلمة من المحل الى الحال، او من السبب الى المسبب، او في العلامة الدالة الى الشيء المدلول عليه الخ، او العكس.

ولسنا في حاجة الى القول بان الاتساع والتضييق ينشآن من الانتقال في اغلب الاحيان، وان انتقال المعنى يتضمن طرائق شتى يطلق عليها النحاة اسماء اصطلاحية: الاستعارة... اطلاق البعض على الكل... المجاز المرسل بوجه عام...المجاز المرسل بعلاقة الشبه او غيره عند عدم وجود اسم للشيء المنقول اليه"١٠٣. ولقد نقلت كثيراً من كلام فندريس لتوضيح هذا التداخل الدلالي العميق بين ظواهر اللغة اللغوية والنحوية والبلاغية لدى المحدثين من علماء اللغة ، وان سبقهم علماء العربية في توضيح ذلك .

اذ يتوجب علينا القول ان علماءنا الاوائل قد أشاروا الى هذه الجوانب من مظاهر التطور الدلالي١٠٤.

ومن مظاهر التطور الدلالي التي ذكرها الدارسون المحدثون انتقال دلالة اللفظ من الدلالة الحسية الى الدلالة المجردة وبالعكس، وهم متفقون على ان المعاني والدلالات بدأت حسية ثم تطورت الى المعاني المجردة"١٠٥.

وهناك مظاهر اخرى للتطور الدلالي، وهي ايضاً من ضروب انتقال الدلالة وتتعلق بعوامل نفسية واجتماعية، ومن اهمها: سمو الدلالة وانحطاطها، والالفاظ والمحظور، وحسن التعبير، والتحول نحو المعاني المضادة، والمبالغة، وغير ذلك من مظاهر التطور الدلالي التي فصّل فيها الدارسون١٠٦.

102دور الكلمة في اللغة ١٦٣.
103اللغة ، فندريس ٢٥٦.
104ينظر : الخصائص، ٢/٤٤٤-الصاحبي ، ٧٨-٨٦. فقه اللغة للثعالبي ، ١.
105ينظر : دلالة الالفاظ ، ١٦١-١٦٢. علم الدلالة ، ابراهيم انيس ، ١٨٤.
106ينظر: دور الكلمة في اللغة ١٧٤-١٨٠، علم الدلالة ، ابراهيم انيس ، ١٨٨. علم اللغة للسعران ، ٢٨٠-٢٨٥.

الباب الاول الفصل الثاني

تحقيق الدلاله

تخصيص الدلالة :

((يسمي المناطقة والفلاسفة دلالة الالفاظ بـ (الدلالة العامة) لانها تنطبق على كل فرد من طائفة كبيرة ، ويطلقون عليه لفظ (كلي) مثل كلمة شجرة التي تطلق على كل ما في الكون من ملايين الاشجار ، فاذا تحددت الدلالة ، او ضاق مجالها قيل ان اللفظ اصبح جزئياً ، وقيل ان الدلالة قد تخصصت))(١٠٧) .

((والألفاظ في معظم اللغات البشرية تتذبذب دلالاتها بين اقصى العموم كما في الكليات واقصى الخصوص كما في الاعلام ، فهناك درجات من العموم ، ودرجات من الخصوص وهناك حالات وسطى ، وادراك الدلالة الخاصة او الشبيهة بالخاصة ايسر من ادراك الدلالة الكلية التي يقل التعامل بها في الحياة العامة وبين جمهور الناس))(١٠٨) .

((والناس في حياتهم العامة ينفرون عادة من تلك الكليات التي لا وجود لها الا في الاذهان ، ويؤثرون الدلالات الخاصة التي تعيش معهم فيرونها ويسمعونها ويلمسونها ، ولذا يسهل عليهم تداولها والتعامل بها في حياة اكثر ما فيها ملموس محسوس))(١٠٩) .

((ولا يتردد الافراد في استعمال بعض الدلالات العامة استعمالاً خاصاً فاذا امن اللبس شاع هذا الاستعمال على السنة المتكلمين وذاع بين الناس ، تطورت دلالة اللفظ من العموم الى الخصوص وضاق مجالها ، وهو ما نسميه بتخصيص الدلالة مثل كلمة "الطهارة" تخصصت واصبحت تعني "الختان" وكذلك كلمة "حريم" فبعد ان كانت تطلق على كل محرم لا يُمَس اصبحت تطلق الآن على "النساء"))(١١٠) .

وتعد مرحلة تخصيص دلالة الالفاظ مرحلة متقدمة تسبقها مرحلة من الاستعمال تضيق فيها دلالة اللفظ شيئاً فشيئاً حتى اذا استقر على ذلك اللفظ في تناول الالفاظ له انتقل من معناه العام الى معنى مضيق وبهذا تتخصص دلالته ومعناه .

تخصيص الدلالة في القرآن الكريم :

هو تطور لحق معاني الالفاظ في القرآن الكريم بتخصيصها وذلك بنقلها من معانيها العامة الشاملة الى معان جزئية خاصة ، او تضييق مجالها الدلالي هو ما يسمى ((العام المخصوص ، وهو ما وضع في الاصل عاماً ثم خص في الاستعمال لبعض افراده))(١١١) وهو كثير في التنزيل فاصبح من المصطلحات الاسلامية المستعملة في غير معانيها اللغوية قبل الاسلام ((كلفظ الصلاة والصوم وامثالها فان هذه الالفاظ كانت معلومة لهم ومستعملة عندهم في معانيها المعلومة ومعانيها الشرعية ما كانت معلومة لهم))(١١٢) اذ ((كانت العرب في جاهليتها على ارث من ارث آبائهم ، في لغاتهم وآدابهم – فلما جاء الله – جل ثناؤه – بالاسلام ، حالت احوال ، ونسخت ديانات ، وابطلت امور

---

(107) دلالة الألفاظ، ١٤٤.

(108) نفسه، ١٤٧.

(109)علم اللغة، د. وافي. ٢٠٣.

(110) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ٢٧٣.

(111) **المزهر : ٤٢٧/١ وينظر : علم اللغة د.وافي ، ٣١٤ .**

(112) **الابهاج في شرح المنهاج ، ٢٧٦/١ .**

، ونقلت من اللغة الفاظ من مواضع الى مواضع بزيادات زيدت ، وشرائع شرعت ، وشرائط شرطت ، فعفى الآخر الاول)[113] ومع ان الاسلام كان حدثاً عظيماً في حياة الانسان ، ادى الى تغيير كبير في كثير من مجالات الحياة : الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والروحية ... فانه ، فضلاً عن ذلك ، ادى – بنزول القرآن – الى تغيير كثير في مفاهيم اللغة والالفاظ ((التي عبرت عن مقررات من هذا الدين عقيدة او عملاً ، وكان ذلك اول باب من ابواب التجوز في حق اللغة بعد الاسلام))[114] وذلك ما نلمسه في :

قوله تعالى : "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ". (لقمان : ٦)

شَرَى :((الشراء والبيع يتلازمان فالمشتري دافع الثمن وآخذ المثمن ، والبائع دافع المثمن وآخذ الثمن))[115].

((وهذه استعارة و المراد بالاشتراء هاهنا الاستبدال بالشيء من غيره كذلك البيع للشئ يكون بمعنى استبدال غيره منه فكأن المذموم بهذا الكلام استبدال لهو الحديث من سماع القران والتأدب بآدابه الاعتلاق بأسبابه ، ويدخل تحت لهو الحديث سماع الغناء و الحداء و الإفاضة في الهزل و الفحشاء و ما يجري هذا المجرى.))[116]

وقيل معنى قوله يشتري :((إما من الشراء على ما روي عن النضر من شراء كتب الأعاجم أو من شراء القيان ، واما من قوله : " اشتروا الكفر بالإيمان" (آل عمران : ١٧٧) أي : استبدلوه منه ، واختاروه عليه .وعن قتادة : أشتراؤه :استحبابه ،يختار حديث الباطل على حديث الحق))[117].

((فالشراء هنا مجازي ، ولا يراد به اجراء العقد في انجاز صفقات البيع))[118]

وقيل أن ألاشتراء : ((كناية عن العناية بالشي والاغتباط به وليس هنا استعارة بخلاف قوله تعالى "أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ" البقرة (١٦) . فالاشتراء هنا مستعمل في صريحة وكنايته : فالصريح تشويه لاقتناء النضر بن الحارث قصص رستم واسفنديار

---

(113) الصاحبي ، ٧٨ .
(114) دراسات في القرآن ، ٣٦ .
(115) المفردات ،٢٦٧ .
(116) تلخيص البيان ،١٨٥ .
(117) الكشاف ،٢١ /٨٣٥.
(118) مجاز القرآن ، خصائصه الفنية وبلاغته العربية ، ١٢٠ .

وبهرام ، والكناية :تقبيح للذين التفوا حوله وتلقوا اخباره ، أي: من الناس من يشغله لهو الحديث و الولع به عن الاهتداء بآيات الكتاب الحكيم))[(١١٩)].

فالشراء هنا هو : احد افعال الجوارح التي تنبأ عن مطلق استبدال شي بغيره أو بعوض ،ولكن القران خص به هنا والله اعلم أحد امرين : اما شراء الكتب التي تحوي من القصص ما يلهي الناس عن الاستماع الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو من افعال الجوارح الصريحة واما الاقبال على كل ما يخالف الاسلام و تعاليم القرآن وهو من افعال الجوارح التي تتضمن معنى تعمد الانشغال عن الاسلام وتعاليمه ، أي ان الاستعمال القرآني ضيق دلالة الفعل (اشترى) وخصه بهذا المعنى الديني وهو الانشغال عن التوجه الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و الاستماع الى تعاليم الاسلام.

قوله تعالى : "أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ" (الرعد : ٤١) .

نقص:النقص : ((الخسران في الحظ ، وانتقصه ، ونقصَّه : أخذ منه قليلا قليلاً ، والنقصان المصدر ونقصته فهو منقوص[(١٢٠)] .

((الأرض:أرض الكفر .

ننقصها من إطرافها :بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار السلام وذلك من آيات النصرة و الغلبة))[(١٢١)]. و الرؤية يجب إن تكون بصرية . و المراد :رؤية آثار ذلك النقص ،ويجوز أن تكون علمية ، أي الم يعلموا ما حل بأراضي الأمم السابقة من النقص ، وتعريف (الأرض) تعريف الجنس ،أي نأتي أية أرض من أراضي الأمم . وأطلقت الأرض هنا على أهلها مجازاً ،كما في قوله تعالى "اسأل القرية" يوسف:٨٣ بقرينة تعلق النقص بها ،لان النقص لايكون في ذات الأرض ولا يرى النقص فيها ولكنه يقع في من عليها .وهذا من باب قوله تعالى : "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا" محمد:١٠.

وقيل أن المراد بـ (الأرض) أرض الكافرين من قريش فيكون التعريف للعهد ،وتكون الرؤية بصرية ، ويكون ذلك أيقاظا لهم لما غلب عليه المسلمون من ارض العدو فخرجت من سلطانه فتنقص الأرض التي كانت تحت تصرفهم وتزيد الأرض الخاضعة لأهل الإسلام[(١٢٢)].

---

(119) التحرير و التنوير،٢١/ ٩٠ .
(120) لسان العرب ، نقص ،٤٠٠٣ ،وينظر: المفردات ،٥٢٥.
(121) الكشاف ،١٣ /٥٤٣ .
(122) ينظر:التحرير و التنوير،١٢ / ٢٠٨

وقيل ((إن الاطراف توحي بنظرة شمولية لشكل الارض "ننقصها" توحي بفكرة آلية عن طبيعة انتقاص الاطراف وهاتان حقيقتان علميتان بنظرية دحو القطبين وحركتهما))[١٢٣]

وقيل إن هذه استعارة وقد اختلف الناس في المراد بها ، فقال قوم :معنى ذلك نقصان أرض المشركين بفتحها على المسلمين ، وقال آخرون : المراد بنقصها موت أهلها ، وقيل موت علمائها ،و قيل :موت كرامها وتكون الإطراف ههنا جمع طِرف لاجمع طرَف و الِطرف هو الشيء الكريم ، ومنه سمي الفرس طِرفاً اذا كان كريما.[١٢٤]

فنقص و(ننقص) من افعال الجوارح التي تدل عبر معناها اللغوي على الاخذ من الشيء قليلاً قليلاً ، او هو العمل على جعل الشيء قليلاً بعد ان كان كثيراً ، الفعل ننقص هنا هو من افعال الجوارح التي تتضمن معنى القصد الى اضعاف المشركين باية وسيلة كانت سواء بفتح اراضيهم على المسلمين ام بموت كرامهم او علمائهم ، وبهذا فقد حدث تضييق لدلالة الفعل بعد ان كان يطلق على عموم الانقاص من أي شيء حتى وان كان معنوياً (بالاشارة الى احد معاني النقص وهو الخسران في الحظ) .

قوله تعالى : "وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ" (السجدة : ٢٠) .

((فَسَقَ : تفْسق ويَفْسُقُ فِسْقاً وفُسُوقاً ،وفَسُقَ:فَجرَ،وسميت الفأرة فُوَيسَقة ؛ لخروجها من جحرها على الناس))[١٢٥].

((وقد فسقت الرُّطَبَة ،إذا خرجت من قشرها))[١٢٦]. وقال ابن الأعرابي :((لم يسمع قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم فاسق))[١٢٧] . ((انما تكلمت به العرب بعد نزول القرآن))[١٢٨].

((جاء في الشرع بأن الفسق :الافحاش في الخروج عن طاعة الله . وعن طريق الحق والطاعة ، والميل الى المعصية و التجاوز على الحدود و الحكام))[١٢٩].

((وقد فسر الفسق على ستة أوجه تدور حول المعصية لله تعالى في الكفر بالنبي (صلى الله علية وآله وسلم) وفي ترك التوحيد وهو الشرك ، الكذب ،وعمل السيئات))[١٣٠].

---

(123) تطور البحث الدلالي دراسة في النقد البلاغي واللغوي ، ٧٢ .
(124) ينظر:تلخيص البيان ،٩١
(125) لسان العرب ،فسق .
(126) الزاهر ، ٢١٧/١ .
(127) لسان العرب ، فسق .
(128) الزينة في الكلمات الإسلامية ،١٨٩.
(129) المزهر،٢٩٥/١٢.
(130) القيم الخلقية و الاجتماعية في الشعر العربي في عصر صدر الاسلام ، ٣٥٩.

وقيل : ((فَسَق فلان خرج عن حَجِر الشرع وذلك من قولهم فَسَق الرُطبُ،إذا خرج عن قشره وهو اعم من الكَفْر))[١٣١].

((و الفِسْقُ يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير منها .لكن تعورف فما كان كثيراً ،واكثر ما يقال الفاسق لمنن التزم حكم الشرْع وأقر به ثم أخل بجميع إحكامه أو ببعضها ، وإذا قيل للكافر الاصلي فاسق ،فلأنه أخل بحكم ما ألزمَه العقل واقتضته الفطرة))[١٣٢] .

والفاسق هنا :هو:من ليس بمومن بقرينة قوله تعالى "**وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون**" (السجدة : ٢٠) فالمراد :

الفسق عن الايمان ، ((الذي هو الشرك وهو اطلاق كثير في القران))[١٣٣].

فسَقَ في اللغة هو الخروج عن امر الى آخر او من مكان الى آخر اما في المصطلح الشرعي فهو فعل من افعال الجوارح التي يترتب عليها حكم فقهي فهو الخروج عن امر الله ودينه وشرعه الذي امر به وبهذا يسمى الخارج عن الايمان بالله فاسق أي انه وبتعبير آخر قد اصبح مشركاً لان الخارج عن امر الله لم يحسن استخدام اهم جارمة لديه وهي عقله وبهذا فقد ضيق القرآن دلالة الفعل فسق من الخروج المطلق وقصرها على الخروج عن الايمان سواء أكان أصلياً أم بعد اعتناق الاسلام الى الكفر وحصر هذه الصفة بالكفار والمشركين .

وقوله تعالى : "**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**" (المؤمنون : ١) .

((الفَلَح والفلاح :الفوز والنجاة والبقاء في النعيم والخير ؛ وقد أفلح المؤمنون أي اصيروا الى الفلاح ،جاء في اللسان عن الازهري (ت ٣٧٠) :

وإنما قيل لأهل الجنة مفلحون لفوزهم ببقاء الأبد))[١٣٤].

والفلاح : ((الظفر بالمطلوب من عمل العامل ،ونيط الفلاح بوصف الإيمان للإشارة الى أنه السبب الاعظم في الفلاح ،فإن الايمان وصف جامع للكمال لتفرع جميع الكمالات عليه))[١٣٥].

و الفلاح أيضاً : الفوز و صلاح الحال ، فيكون في احوال الدنيا واحوال الاخرة ،و المراد به في اصطلاح الدين:

---

(131) الالفاظ الاسلامية وتطور دلالتها الى نهاية القرن الثالث الهجري ، يعرب مجيد مطشر ، رسالة ماجستير ، بغداد ١٩٩٣ ، ١٧٩-١٨٠.

(132) المفردات ،٣٩٤.

(133) التحرير و التنوير،١٦٣/٢١.

(134) لسان العرب ، فلح .

(135) التحرير و التنوير ،١٨/ ٨ .

الفوز بالنجاة من العذاب في الاخرة ،والفعل منه أفلح ،أي :صار ذا فلاح ، وانما اشتق منه الفعل بوساطة الهمزة الدالة على الصيرورة ،لانه لايقع حدثاً قائماً بالذات بل هو جنس تحف افراده بمن قدرت له.(١٣٦)

وقيل إن ((الفلاح :الظفر و إدراك بُغيَةٍ ، وذلك ضربان :دُنيوي وأخرويُ ، فالدنيوي : الظفر بالسعادات التي تطيب بها حياة الدنيا وهو البقاء والغنى و العز ،وفلاح أخرويُ :وذلك بأربعة أشياء :بقاء بلا فناء ، وغنى بلا فقر ،وعز بلا ذل ،وعلم بلا جهل))(١٣٧) .

وقد ((أفلح :اختيار بثبات الفلاح لهم .الفلاح : الظفر بالمراد ، وقيل :البقاء في الخير ،و(أفلح) دخل في الفلاح كأبشر :دخل في البشارة ويقال :افلحه :أصاره إلى الفلاح))(١٣٨) .

وفلح في القرآن بمعنيين سعد ، وفاز.(١٣٩)

أما في الإسلام : ((فالفلاح هو الظفر و النجاح و الفوز)).(١٤٠)

و المفلحون : ((المكتوب لهم الخير و النصر و السعادة و التوفيق والمتاع الطيب في الأرض و المكتوب لهم الفوز والنجاة و الثواب و الرضوان في الآخرة)).(١٤١)

مما تقدم نجد ان الفعل أفلح يتضمن معنى ظفر الانسان بمراده وبه يتحصل الانسان على ما يرغب به وذلك بجهد يبذله لتحصيل ذلك الامر . ومن الطبيعي ان يكون تحصيل رضا الله سبحانه متأتٍ عن عمل يقوم به الانسان بجوارحه ، فيتعبد بامتثال الاوامر الالهية ، ويتقرب باجتناب ما نهى عنه الشارع المقدس ، وبهذا يكون معنى الفلاح قد ضيق وتحول من مطلق الظفر الى معنى خاص وهو الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة من خلال طاعة الخالق والعمل بما جاء به الاسلام ، وتقيد معناه بهذا الاطار الديني .

وقوله تعالى : "اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ" (الروم : ٤٨).

ثَوَرَ :ثار الغبارُ و السَحَابُ ونحوُهُما يَثور ثوْراً وثوراناً :انتشر ساطعاً ،وقد أثرته نشرته(١٤٢). ((والإثارة :تحريك القار تحريكاً يضطرب به عن موضعه .وإثارة السحب

---

(136) ينظر : نفسه ،٢٤٣/١-٢٤٤ .

(137) المفردات ،٣٩٩.

(138) الكشاف ،٧٠٢/١٧ .

(139) ينظر:الأشباه و النظائر ،٣١٧-٣١٨ ، والوجوه و النظائر ،٣٥٩ .

(140) الألفاظ الإسلامية وتطور دلالتها إلى نهاية القرن الثالث الهجري ،١٨٢.

(141) في ظلال القرآن ،٨/٦-٩.

إنشاؤهُ بما تُحْدثه االرياح في الأجواء من رطوبة تحصل من تفاعل الحرارة و البرودة.))(١٤٣)

((وهذه استعارة ،والمراد بإثارتها السحاب ،إنها تلفق قطعة وتوصل منقطعةً وتستخرجه من غيوبه و تظهره بعد غيوضه تشبيهاً بالقانص أي ينهضه من مجاثمه ويبرزه عن مكانه لتراه عينه فيتأتى لقنصه ويتمكن من فرصه.))(١٤٤)

يعد الفعل أثار واحد من افعال الجوارح التي يقوم الانسان بوساطته بتحريك الاشياء تحريكا يغير موضعها بنقلها من مكان الى آخر سواء أكان ذلك التحريك باليد ام بأي شيء آخر ، اما الاستعمال القرآني للفعل فقد ضيق ومن خلال نص الآية دلالته فأقتصرت على سوق السحاب ونشره في السماء بمشيئة الله وإرادته أي أن دلالته اقتصرت هنا على تحريك محدد (السحاب) وليس مطلق التحريك لان اثارة السحاب هنا هي عبارة عن تحريكه مضطرباً ، فالاثارة تعني التحريك بقوة لوجود الرياح لا مجرد التحريك الاعتيادي .

وقوله تعالى :"**لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ**" (آل عمران : ١٢٧) .

((قطعَ :القَطْعُ :إبانه بعض أجزاء الِجْرْمِ من بعضٍ فصلاً . قطعة يقطعه قطعاً وقطيعة و قطوعاً.))(١٤٥)

وقيل قطع : ((القطع :فصل الشيء مدركاً كان بالبصر كالأجسام أو مدركاً بالبصيرة كالأشياء المعقوله ، وقوله (ليقطع طرفاً) أي ليهلك جماعة منهم .))(١٤٦)

وقيل :أي: ((ينقص عدداً من إعدادهم ويوهي عضداً من اعضادهم وهذا من محض الاستعارة،وليهلك طائفة منهم بالقتل و الأسر ،وهو ما كان (يوم بدر) من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم.))(١٤٧)

وقيل أن قوله تعالى :(("لِيَقْطَعَ طَرَفاً" متعلق بـ (النصر) باعتبار أنه علة لبعض أحوال النصر ،أي ليقطع يوم بدر طرفاً من المشركين .

والطرَفُ بالتحريك – يجوز أن يكون بمعنى الناحية ، ويخص بالناحية التي هي منتهى المكان ،فيكون إستعارة لطائفة من المشركين ، ويجوز أن يكون بمعنى الجزء المتطرف من الجسد كاليدين و الرجلين و الرأس فيكون مستعار هنا لاشراف المشركين ، أي :ليقطع من جسم الشرك أهم أعضائه ،أي ليستأصل صناديد الذين كفروا .وتنكير (طرفاً) للتفخيم ، ويقال : :هو من أطراف العرب ، أي من أشرافها وأهل بيوتاتها .(١٤٨)

---

(142) ينظر : المفردات ، ٨٩-٨١.
(143) التحرير و التنوير،٧٣/٢١.
(144) تلخيص البيان ،١٨٤ .
(145) لسان العرب ،قطع .
(146) المفردات، ٤٢٣.
(147) الكشاف ،١٩٤/٤.
(148) التحرير و التنوير ،٢١٢/٣

وهكذا فمن الواضح الانتقال الحاصل في معنى الفعل (قطع) الذي هو مطلق الفصل بين الاشياء من الفصل بين الامور سواء أكانت مادية أم معنوية الى الفعل المادي والمعنوي بين المشركين .

فالفصل المعنوي يكون حين يقل عدد المشركين بتفريق صفوفهم بالقتل والاسر فتنثني عزائمهم وتتشتت صفوفهم وتضعف همتهم ؛ فتسهل السيطرة عليهم .

اما الفصل المادي فيكون باهلاك كبرائهم واشرافهم وسادتهم فيستأصلهم بالموت . وهنا نجد إن المعنى العام للفعل (قطع) هو فصل الاشياء المادية و المعنوية . اما الاستعمال القرآني له في هذه الآية قد ضيق معناه واطلقه على اهلاك قسم من المشركين أو اهلاك اشرافهم و سادتهم.

وقوله تعالى : "وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ" (الانعام : ١١٣) .

((صغا إليه يصغى و يصغو صغواً وصغا :مال وكذلك صغي ، وقوله تعالى (وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ) .أي تميل .))[149]

وصغا : ((الصغو : الميل ، يقال ،صغت النجوم و الشمس صَغواَ مالت للغروب.وصَيَغتُ الإناء وأصغيته وأصغيت الى فلان مِلتُ بمسمعي نحوه .وصاغية الرجل الذين يميلون إليه.))[150]

ومعنى تصغى : ((تميل ،يقال :صَغَىَ – يصغى –صَغْياً ،ويَصْغوَ صَغواً –بالياء والواو و وردت الاية على إعتباره – بالياء لانه رُسِم في المصحف بصورة الياء ،وحقيقته الميل الحسي ، يقال :صغى :أي مال ، وأصغى أمال .وفي حديث الهرة أنه أصغى اليها الإناء ،ومنه أطلق :أصغى بمعنى أستمع ، لان أصله أمال بسمعه أو أذُنِه ،ثم حذفوا المفعول لكثرة الاستعمال . وهو هنا مجاز في الاتباع و قبول القول.))[151]

وقيل إن معناها في الاية :أي : ((ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين.))[152]

والملاحظ هنا ان معنى صغى هو مال والذي يفهم من معناه الاولي (اللغوي) هو الميل الحسي ، ولكن وكما هو حال الظواهر الدلالية الكثيرة فقد انتقل هذا الاستعمال ليطلق على الميل القلبي (المعنوي) ، فصغى هو فعل من افعال الجوارح تطورت دلالته فأطلق على ميل القلوب (الافئدة) الى ما يخالف آوامر الله سبحانه وتعالى من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين.

---

(149) لسان العرب ، صغا.
(150) المفردات ، ٢٨٩ .
(151) التحرير والتنوير ، ٩/٧-١٠ .
(152) الكشاف ، ٣٤٢/٨

وقوله تعالى : "وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً" (الاحزاب ٧١) .

((فوز : الفوز : النجاء والظفر بالامنية والخير ، فاز به فوزاً ومفازاً ومفازة وقيل : الفوز : الظفر بالخير والنجاة من الشر ، ويقال : فاز : اذا لقي ما يغتبط به وتأويله : التباعد من المكروه . والفوز ايضاً : الهلاك ، ويقال للرجل اذا مات قد فوّز))[١٥٣] .

ويقال ((للبادية مفازة))[١٥٤] وسميت بذلك لان ((اصل المفازة مهلكة من فوز اذا هلك فتفائلوا بالسلامة والفوز بالنجاة))[١٥٥] .

وفاز : ((نال مبتغاه من الخير))[١٥٦] . "وقد فاز فوزاً عظيما" أي ((نال غاية مطلوبة))[١٥٧] وقال ابن عباس : ((قد سعد ونجى))[١٥٨] لأن ((لا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد))[١٥٩] .

يعد الفعل فاز قريب من معنى الفعل أفلح المتقدم ، ولكن الفوز أبلغ وأبعد لانه النجاة من عقاب الله تعالى الاخروي . ولا ريب أن النجاة من العقاب متأتٍ عن افعال يقوم بها الانسان بجوارحه تقربه من الله .

وهنا نجد ان في الاسلام قد شاع الفوز بمعنى الظفر بالخير والنعيم والجزاء الحسن في الحياة الآخرة ، والنجاة من العذاب والنار ، وذلك بمشيئة الله سبحانه .

وبذلك ((قد تخصص معنى الفوز بالنجاة والسعادة في الحياة الآخرة اي دخول الجنة ، وتحدد بهذا المفهوم الديني))[١٦٠] .

وبهذا نجد ان الفوز في هذه الآية يدل قطعاً على الخلاص والنجاة من النار ودخول الجنة ، وهي مرحلة اولية في تضييق دلالة الفعل فاز اقامها القرآن على مفهوم ديني ذي بعد أخروي .

قوله تعالى : "ولا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَن ذِكرِنا وأتَّبَعَ هَواه..." الكهف (٢٨)

---

(153) لسان العرب ، فوز
(154) الزاهر ٤٨٦/١٢ .
(155) لسان العرب ، فوز .
(156) التحرير والتنوير ، ٣٠٢/٣ .
(157) تفسير الجلالين ٥٦١ .
(158) سؤالات نافع بن الازرق إلى عبد الله بن عباس ، ٢١ .
(159) الكشاف ، ٢١٠/٤ .
(160) الالفاظ الاسلامية وتطور دلالاتها الى نهاية القرن الثالث الهجري ، ١٨٣-١٨٤ .

((غفل : غفل عنه يغفل وغفولاً وغفلة واغفله عنه غيره واغفله : تركه وسها عنه ، واغفلت الرجل اصبته غافلاً))[١٦١] .

وقيل : ((الغفلة سهو يعتري الانسان من قلة التحفظ والتيقظ ، يقال : غفل فهو غافل و(اغفلنا قلبه) يعني تركناه غير مكتوب فيه الايمان ، وقيل معناه من جعلناه غافلاً عن الحقائق))[١٦٢] .

((والمراد باغفال القلب : جعله غافلاً عن الفكر في الوحدانية حتى راج فيه الاشراك فان ذلك ناشئ عن عقول ضيقة التبصر مسوقة بالهوى والإلف .

وأصل الاغفال : ايجاد الغفلة ، وهي الذهول عن تذكر الشيء ، وأريد به هنا غفلة خاصة وهي الغفلة المستمرة المستفادة من جعل الاغفال من الله تعالى كناية عن كونه في خلقه تلك القلوب وما بالطبع لا يتخلف))[١٦٣] . وقد اعتضد هذا المعنى بجملة : "واتبع هواه" ((فان اتباع الهوى يكون عن بصيرة لا عن ذهول ، فالغفلة خلقة في قلوبهم ، واتباع الهوى كسب من قدرتهم))[١٦٤] .

وهذه استعارة على احد التأويلات في هذه الآية ، ((وهي ان يكون المراد بذلك اننا تركنا قلبه غفلاً من السمات التي تسم بها قلوب المؤمنين فتدل على زكاء اعمالهم وصلاح احوالهم وذلك تشبيهاً بالبعير اذا أغفل فتُرك بلا سمة يعرف بها على عادة العرب في اقامة السمات مقام العلامات المميزة بين اموالهم .

وفي هذه الآية اقوال اخر منها : ان يكون معنى اغفلنا قلبه : أي : نسبناه الى الغفلة ، كقول القائل : اكفرت فلاناً ، اذا نسبته الى الكفر .

ومنها ان يكون المعنى المراد : سميناه غافلاً بتعرضه للغفلة فكان المعنى حكمنا عليه بانه غافل . وغيرها))[١٦٥].

وقيل : اغفلنا قلبه : أي جعلناه غافلاً عن الذكر بالخذلان ، ولم نجعله من الذين كتب في قلوبهم الايمان[١٦٦].

وهكذا فان الفعل غفل هو احد افعال الجوارح التي تخص جارحة العقل ، وهو عبارة عن السهو الذي يصيب الانسان من قلة التحفظ والتيقظ ، ولكن القرآن باستعماله هنا في هذه الآية ضيق معناه ، وصرفه الى نسيان ذكر الله ، او تركه هذا القلب من دون ان يعلّم بعلامة تميزه عن قلوب الكفار .

وقوله تعالى : "سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ..." القصص (٣٥)

((الشدة والصلابة ، وهي نقيض اللين ، وقد شده يشده ، ويشدُّه شداً فاشتد ، وشيء شديد : مشتد قوي . وتقول : شد الله ملكه وشدده قواه))[١٦٧] .

---

(161) لسان العرب ، غفل .
(162) المفردات ، ٣٧٥ .
(163) الالفاظ العقلية في القرآن الكريم، دراسة دلالية، ٩٠ .
(164) التحرير والتنوير ١٥/٥٦ .
(165) تلخيص البيان ، ١٢٦ .
(166) ينظر : الكشاف ، ١٥/٦١٨ .
(167) لسان العرب ، شدد .

والشد : ((الربط ، وشأن العامل بعضد اذا اراد ان يعمل به عملاً متعباً للعضو ان يربط عليه لئلا يتفكك او يعتريه كسر ، وفي ضد ذلك قال تعالى "**وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا ....**" الاعراف (١٤٩) . وقولهم : فتَّ في عضده ، وجعل الاخ هنا بمنزلة الرباط الذي يشد به : انه يؤيده بفصاحته ، فتعليقه بالشد ملحق بباب المجاز العقلي . وهذا كله تمثيل لحال ايضاح حجته بحال تقوية من يريد عملاً عظيماً ان يشد على يده وهو التأييد الذي شاع في معنى الاعانة والامداد ، والا فالتأييد ايضاً مشتق من اليد . فاصل معنى (ايد) جعل يداً ، فهو استعارة لايجاد الاعانة))[١٦٨].

((والعضد قوام اليد وبشدتها تشتد ويقال : في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله عضدك ومعنى "سنشد عضدك" سنقويك ونعينك فاما ان يكون ذلك ، لان اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور ، واما لان الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديد))[١٦٩].

((وهذه (استعارة) والمراد بها تقويته على انفاذ الامر وتأدية الوحي باخيه لان اشتداد العضد والساعد في قولهم عبارة عن القوة والجلد والقدرة على العمل ، واشتداد العضد بمعنى القوة تمكن اليد من السطوة وتعينها على البسطة وهذا من عجيب الكلام))[١٧٠].

الشد : هو الربط في احد معانيه ، أما إذا أطلق هذا الشد على اليد او اذا أريد معنى شد اليد فأنه يدل على معنى آخر هو تقوية تلك اليد على أي عمل تقوم به خاصة إذا كان ذلك العمل محتاجاً الى قوة أو قدرة عالية لانقاذه ، وهو أيضاً أحد افعال الجوارح التي يتضمن معنى الاعانة والامداد ويعني في هذه الآية اعانة موسى بأخيه وتقويته به وتمكينه من الاستناد اليه في ابلاغ رسالته ، أي ان القرآن ضيق من دلالة الفعل وحصره في تقوية موسى عليه السلام في دعوته ورسالته بأخيه وتمكينه من الاعتماد عليه في ابلاغ ما أمر بابلاغه الى قومه .

---

(168) التحرير والتنوير ، ٥٤/٢٠ .
(169) الكشاف ، ٨٠١/٢٠ .
(170) تلخيص البيان ، ١٧٥.

الباب الاول الفصل الثالث

توسيع الدلاله

توسيع الدلالة :

يعد تعميم الدلالة من نتائج التطور الدلالي الطبيعية فكما يصيب الدلالة التخصيص يصيبها التعميم ايضاً ((غير ان تعميم الدلالات اقل شيوعاً في اللغات من تخصيصها ، واقل اثراً في تطور الدلالات وتغيرها))[١٧١] في اللغات ، وكذلك في القرآن الكريم . و((ينحصر التعميم في اطلاق اسم نوع خاص من انواع الجنس على الجنس كله))[١٧٢] ويرى فندريس ان التعميم – في كثير من الحالات – يؤدي إلى الخطأ والايهام قال (وهذه حال الاطفال الذين يسمون جميع الانهار باسم النهر الذي يروي البلدة التي يعيشون فيها : هكذا يفعل الطفل الباريسي عندما يصيح وقد رأى نهراً : ((ارى سيناً) وتلك غلطة طفل لا يدوم لها اثر . ولكن هناك اخطاء مماثلة قد استمر بقاؤها ففي السلافية الجنوبية صار اسم الورد يطلق على الزهرة عموماً))[١٧٣] .

اما سبب تعميم الدلالة في بعض الالفاظ وذلك لان ((كثرة استخدام الخاص في معان عامة عن طريق التوسع تزيل مع تقادم العهد خصوص معناه وتكسبه العموم))[١٧٤] ويفسر بعضهم ((توسيع المعنى على انه نتيجة اسقاط لبعض الملامح التمييزية للفظ : فالطفل الذي يستخدم كلمة (عم) مع كل رجل قد اسقط الملامح التمييزية للفظ كالقرابة واكتفى بملمحي الذكورة والبلوغ))[١٧٥] . وذلك لقصور المحصول اللغوي لدى الاطفال وقلة تجاربهم مع الالفاظ[١٧٦]. لذا فالتعميم اندر من التخصيص لأنه يفتقر إلى الدقة والتحديد في دلالة الالفاظ سوى بعض الحالات التي تقترن بقرائن لفظية او مقامية او حالية ((ومن هذا التعميم تحويل الاعلام إلى صفات ، فالعلم (قيصر) قد يطلق ويراد منه العظيم الطاغية و(نيرون) الظالم او المجنون و(حاتم) الكريم المضياف و(عرقوب) للمخادع القليل الوفاء))[١٧٧] ففي مثل حالات التعميم هذه ينصرف الذهن إلى المدح او الذم او التهكم .

كما ان التعميم يندر في القرآن الكريم ، وما جاء فيه فمع قرينه تمنع الابهام كما في الفعل (وَرَدَ) و((الورود اصله قصد الماء ثم يستعمل في غيره ، يقال وردت الماء –

---

(171) **دلالة الالفاظ ، ١٥٤ .**
(172) **اللغة لفندريس ، ٢٥٨ .**
(173) **نفسه ، ٢٥٨ .**
(174) **علم اللغة ، د. وافي ، ٣٢٠ .**
(175) **علم الدلالة ، ٢٤٥ .**
(176) **نظر : دلالة الالفاظ ، ١٥٤-١٥٥ .**
(177) **دلالة الالفاظ ، ١٥٥ .**

ارد ورودا فانا وارد والماء مورود ، وقد أوردتُ الابلَ الماءَ))[178] وعمم إلى ((وردت البلدة وورد عليّ كتاب ، سرني مورده ...))[179] اما في قوله تعالى "**وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ**" القصص (٢٣) ، فقد اقترن (ورد) بالماء ((والوارد الذي يتقدم القوم فيسقي لهم))[180] .

وفي قوله تعالى : "**وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ**" يوسف (١٩) ، دل على ورود الماء بقرينة (فادلى دلوه) . اما استعمال (ورد) في النار فعلى سبيل الفظاعة والعقوبة والترهيب[181]كما في قوله تعالى : "**يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ**" هود (٩٨) ، وعمم هنا بدلالة السياق وقرينة النار .

ولاشك ان العموم الذي يصيب معاني ودلالات الالفاظ هو مرحلة متقدمة من الاستعمال المتكرر للفظ في معنى اعم من معناه الخاص (الاولي) ولهذا فقد يسبق تعميم اللفظ مرحلة تتوسع فيها دلالته اولاً ثم بعد ذلك يكثر استعماله في هذا التوسيع وبمرور الوقت يتناسى الافراد المعنى الخاص له لفرط استعماله في المعنى الموسع فتنتقل دلالته إلى العموم بعد الخصوص ولهذا فامثلة الاتساع في الاستعمال القرآني اكثر من امثلة العموم لان العموم يحتاج إلى امثلة كثيرة توضح الاتساع اولاً في الالفاظ ثم تثبت المعنى التام الجديد للفظ ولهذا يظهر .

"**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**" البقرة ٧٤.

تتضمن الآية الكريمة فعلين يتحقق فيهما توسيع الدلالة وهما "**قست قلوبكم**" و "**يهبط من خشية الله**". ((فالقسوة والقساوة توصف بها الاجسام وتوصف بها النفوس المعبر عنها بالقلوب، فالمعنى الجامع للوصفين هو عدم

---

(178) المفردات، ٥٥٦ وينظر : اساس البلاغة ، ٤٩٥ والمزهر ، ٤٢٩/١ وعلم اللغة د.وافي ، ٣٢٠ .

(179) اساس البلاغة ، ٤٩٦ .

(180) المفردات، ٥٥٦.

(181) ينظر نفسه، ٥٥٦.

قبول التحول عن الحالة الموجودة إلى حالة تخالفها))[182]. وسواء كانت القساوة موضوعة للقدر المشترك بين هذين المعنيين الحسي والقلبي-وهو احتمال ضعيف – ام كانت موضوعة للاجسام حقيقة واستعملت في القلوب مجازاً" وهو الصحيح، ((فقد شاع هذا المجاز حتى ساوى الحقيقة وصار غير محتاج إلى القرينة فآل اللفظ إلى الدلالة على القدر المشترك بالاستعمال لا بأصل الوضع))[183] وقد دل على ذلك العطف في قوله: "او اشد قسوة" وقوله "فهي كالحجارة" ((تشبيه فُرّع بالفاء لإرادة ظهور التشبيه بعد حكاية الحالة المعبر عنها بقست ، لان القسوة هي وجه الشبه لان اشهر الاشياء في هذا الوصف هو الحجر فاذا ذكرت القسوة، فقد تهيأ التشبيه بالحجر ولذا عطف بالفاء، أي اذا علمت انها قاسية مشبها بالحجارة. وقد كانت صلابة الحجر اعرف للناس واشهر لانها محسوسة فلذلك شبه بها))[184].

وتعد القلوب اهم جوارح الانسان ، فهي هنا مركز الادراك الذي يعي به الانسان دينه ويهتدي إلى تمييز الحق من الباطل ، فاذا عطل الانسان بارادته هذه الجارحة ولم يستفد منها كما فعل بنو اسرائيل ، فقد ساوى بينها وبين الحجارة التي تمثل اشد الموجودات قساوة ، ((وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار، وان المواعظ لا تؤثر فيها))[185] وبهذا فقد وسع القرآن دلالة الفعل قسى ووصف به قلوب بني اسرائيل فدل هذا الفعل دلالة ثانية مضافة إلى دلالته الاولى وموسعة لها ، لان احدى معاني قساوة القلب: ((اشداد درجة المرض او الالتواء في اعماق الشخص بحيث تتلاشى لديه النزعة الانسانية وحينئذٍ يكون التشبيه لقساوة القلب بالحجارة تعبيراً عن اشد درجات القساوة))[186].

اما الفعل الثاني الذي يتحقق فيه توسيع الدلالة فهو "يهبط من خشية الله". فالهبوط: ((الانحدار على سبيل القهر كهبوط الحجر، واذا استعمل في الانسان الهبوط، فعلي سبيل الاستخفاف بخلاف الانزال))[187].

ويهبط: يتردى من اعلى الجبل، ، وقد قيل ان اسناد ((يهبط للحجر مجاز عقلي والمراد هبوط القلب أي قلوب الناظرين إلى الصخور والجبال، أي خضوعها، فاسند الهبوط اليها لانها سببه كما قالوا ناقة تاجرة أي تبعث من يراها على المساومة فيها))[188]. أي ان قلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به[189]

(182) تفسير البيضاوي ، ٣٤٥/١ .
(183) تفسير النسفي ، ٥٢/١ .
(184) تفسير البغوي ، ٩٥/١ .
(185) الكشاف، ٨٣/١.
(186) دراسات فنية في صور القرآن، ١٨.
(187) المفردات، ٥٣٣ – ٥٣٤.
(188) روح المعاني ، ١٥٤/٥ .
(189) ينظر: الكشاف ، ٨٣/١.

مهبط واحد من افعال الجوارح التي تعني النزول والانحدار من مكان مرتفع إلى مكان منخفض ، وفي اسناده إلى الحجارة معنى مضاف إلى المعاني المستفادة من النص التي تؤكد على ان هذه القلوب التي وصفت بالحجارة هي اقسى من تلك الحجارة ، لان من الحجارة ما يهبط من خشية الله وما يتبع الهبوط من تأثر وتفتت ، اما هذه القلوب فلم تتأثر ولا بأي شكل من الاشكال بالخطاب الالهي الذي هبط له الحجر وخضع له .

((ومن بديع التخلص تأخر قوله"وان منها لما يهبط من خشية الله" والتعبير عن التسخر لامر التكوين بالخشية ، ليتم ظهور تفضيل الحجارة على قلوبهم في احوالها التي نهايتها الامتثال للامر التكليفي ، مع تعامي قلوبهم عن الامتثال لهذا الأمر))[190].

وكذلك ما نلحظه في قوله تعالى: "**وقذف في قلوبهم الرعب**" الاحزاب (٢٦) . فالقذف: : ((الإلقاء السريع))[191] ، وهذه استعارة والمراد بها انه تعالى ((ألقى الرعب في قلوبهم من اثقل جهاته وعلى افظع بغتاته تشبيهاً بقذف الحجر اذا صك الانسان على غفلة منه فان ذلك يكون املأ لقلبه واشد لروعه))[192]، ((وكانه جعل الرعب في قلوبهم بامره التكويني فاستسلموا ونزلوا على حكم المسلمين))[193].

فدلالة الفعل قذف الذي هو احد افعال الجوارح تعني الالقاء السريع والقوي في الوقت نفسه ، واستعارة القرآن لها انما كانت للتعبير عن تمكن الخوف من صميم الانسان وانعكاسه على تصرفه الخارجي وهذا بالتأكيد توسيع لدلالته الاولية وتضمينه معانٍ مضافة إلى معناه اللغوي .

وكذلك قوله تعالى: "**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ...**" البقرة (١١٢).

(واسلام الوجه لله وهو تسليم الذات لاوامر الله تعالى أي شدة الامتثال لان اسلم بمعنى القى السلاح وترك المقاومة قال تعالى "فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن"آل عمران ٢٠.

والوجه: هنا الذات ، وقد عبر عن الذات بالوجه لأنه البعض الاشرف من الذات، ومن اطلاق الوجه على الذات قوله تعالى: "ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام" الرحمن ٢٧.

ويجوز ان يكون (اسلم) بمعنى اخلص مشتقاً من السلامة أي جعله سالماً))[194].

---

(190) تفسير النسفي ، ٥٢/١ .
(191) التحرير والتنوير ٢٣١/١.
(192) تلخيص البيان،١٩١.
(193) التحرير والتنوير، ٢٣١/٢١.
(194) تفسير البيضاوي، ١١٠/١ .

وقد يكون المعنى ((اقبل على عبادة الله سبحانه وجعل توجهه اليه بجملته لا بوجهه دون غيره والوجه هنا استعارة))(١٩٥). ((لان من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره))(١٩٦).

كل معاني الفعل اسلم المتقدمة تؤكد على انه احد افعال الجوارح التي تعني الانقياد لاوامر الله سبحانه وتعالى وتسليم النفس والذات له ، أي ان الجوارح كلها مؤتمرة بما اراد لها الخالق العظيم ، فمن مجموع المعاني المتقدمة للفعل (أسلم) التي تضمنتها الآية نلاحظ بوضوح التوسع الدلالي الذي حصل لهذا الفعل .

وكذلك قوله تعالى: "**واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير**" لقمان ١٩.

((أصل الغض: الحط من منزلة عليَّة إلى منزلة دنية، يقال غض فلان من فلان فعل به ذلك قولاً وفعلاً. وغض طرفه اذا كسره وضعَّفه، أي فكأنه قال:وحطّ صوتك من حال الارتفاع إلى حال الانخفاض اخباتاً لله وتطامناً لاولياء الله))(١٩٧).

والغض ايضاً: نقص قوة استعمال الشيء. أي انه انقاص قوة استعمال احد جوارح الانسان اما النطق (الصوت) او البصر ، وهو هنا فعل من افعال الجوارح التي تخص احدى هاتين الحاستين ومتعلق بهما ولكن هذا المعنى مستفاد من المعنى الاولي للفعل غص الذي يعني مطلق الانقاص . ((يقال غض بصره اذا خفض نظره فلم يحدق. فغض الصوت:جعله دون الجهر. وجيء بـ(من) الدالة على التبعيض لافادة انه يغض بعضه، أي بعض جهره، أي ينقص من جهورته ولكنه لا يبلغ حد التخافت والسرار))(١٩٨).

وسواءُ اكانت دلالة الفعل غضَّ على خفض الصوت اخباتاً لله ام جعل بعض من الصوت دون الجهر فقد دلَّ ذلك على معنى جديد للفعل غضَّ غير الحط من منزلة عليَّة إلى منزلة دنية مما وسع دلالته واضاف إلى معانيه معنى جديداً.

وكذلك في قوله تعالى : "**فما ربحت تجارتهم**" البقرة ١٦.

الربح: هو نجاح التجارة ومصادفة الرغبة في السلع باكثر من الاثمان التي اشتراها بها التاجر، ويطلق الربح على المال الحاصل للتاجر زائداً على رأس ماله"(١٩٩).

---

(195) تلخيص البيان، ١٠.
(196) الكشاف ٩٢/١.
(197) تلخيص البيان، ١٨٦-١٨٧.
(198) التحرير والتنوير، ١١١/٢١.
(199) ينظر: الكشاف، ٥٠/١ .

وربح هو الفعل الذي به يتحصل الانسان على الزيادة في رأس المال واستعارة فعل الجارمة هنا هو للدلالة على ان الإنسان كما يتاجر في الأمور المادية الدنيوية ويربح من تلك التجارة فبإمكانه أن يتاجر مع ربه ويربح رضا وجنته ، أما اذا أساء استخدام هذا الحق الذي منحه الله له ، فلا تعدّ حينئذ تجارته رابحة بل على العكس سيفقد بذلك كل ما يملكه حتى عاقبة أمره الاخروية .

ومعنى التجارة التصدي لاشتراء الاشياء لقصد بيعها بثمن أوفر مما اشتريت به ليكتسب من ذلك الوفر، ولا يمكن ذلك الا بالمثابرة والتجديد، ونفي الربح في الآية تشبيه لحال المنافقين اذ قصدوا من النفاق غاية فاخفقت مساعيهم وضاعت مقاصدهم بحال التجار الذين لم يحصلوا من تجارتهم على ربح. ((ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر ونفي الربح عن تلك التجارة "ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلاً لخسارتهم" والضلالة الجور عن القصد، وفقد الاهتداء، فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين، وانهم لما اشتروا الضلالة بالهدى فقد اشتروا ما لا ينفع وبذلوا ما ينفع فلا جرم ان يكونوا خاسرين))[٢٠٠] ((واسناد الخسران إلى التجارة اسناد مجازي))[٢٠١].

اذن فمصطلح الربح يطلق ويراد به الاحوال المتحصلة كزيادة فوق رأس المال في التجارة، وعدم الربح هو عدم تحصيل ذلك المال، وباستعارة القرآن هذا المعنى واطلاق الفعل(ما ربحت) على حال المنافقين الذين حاولوا استبدال الضلالة بالهدى هو توسيع لمدلول تلك الكلمة واطلاقها على ما لا يتحصل من ربح مادي كالوقوع بالضلال بالاعتماد على معناها المتعارف عليه من تحصيل الربح في عملية البيع والشراء التجارية لان اسناد الربح إلى التجارة من المجاز العقلي ((فالربح هنا مجازي ، ولا يراد به الزيادة على رأس المال من بيع البضائع ، وانما المراد بالربح تحقيق المعنى المجازي منه بالفائدة وعدم خسران الاعمار))[٢٠٢].

وذكر القرآن للربح والتجارة كان تم مبايعة على الحقيقة من الصنعة البديعية التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا، وهو ان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى باشكال لها واخوات اذا تلاحقن لم ترَ كلاماً احسن منه ديباجة واكثر ماءً ورونقاً وهو المجاز المرشح[٢٠٣].

وقوله تعالى: "**وكم قصمنا من قريةٍ كانت ظالمة**" الانبياء (١١).

---

(200) تفسير البيضاوي ، ٨٣/١ .

(201) تفسير البغوي ، ٥٢/١ .

(202) مجاز القرآن ، خصائصه الفنية وبلاغته العربية ، ١١٦-١٢٠ .

(203) ينظر الكشاف،٥٠/١.

القصم ((الكسر الشديد الذي لا يرجى بعده التئام ولا انتفاع))[٢٠٤]. ((وهو كسر الشيء الصلب وجعله ههنا مستعاراً للعبارة عن اهلاك الجبارين من اهل القرى اصلب ما كانوا عيداناً وامنع ما كانوا أركانا))[٢٠٥] والاستئصال والإهلاك القوي الناتج عن غضب شديد وسخط عظيم، لان القصم افضع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم[٢٠٦] الذي ((يعد كسراً من غير ابانة أي اذا تصدع الشيء ولم ينكسر))[٢٠٧] .

اذن فمعنى ((الإهلاك القوي للجبابرة بعدما كانوا يتمتعون بالقوة والمنعة اهلاكاً لا تقوم لهم بعده قائمة"كاهلاك عاد وثمود وسبأ"))[٢٠٨] معنى مضافاً إلى معاني الفعل قصم؛ وبهذا فقد توسعت دلالة الفعل.

وكذلك في قوله تعالى: "ولا تلبسوا الحق بالباطل" البقرة٤٢.

اصل اللبس: ((ستر الشيء))[٢٠٩] واللبس ايضاً: ((خلط بين متشابهات في الصفات يعسر معه التمييز او يتعذر، وهذه استعارة والمراد بها ولا تخلطوا الحق بالباطل فتعمى مسالكه وتُشكل معارفه، وذلك ماخوذ من الامر الملتبس وهو المختلط المشتبه، ويقول قد البس عليَّ هذا الامر اذا انغلقت ابواب علمه وانسدت مطالع فهمه))[٢١٠].

((فلبس الحق بالباطل ترويج الباطل في سورة الحق، وهذا اللبس هو مبدأ التضليل والالحاد في الامور المشهورة فان المزاولين لذلك لا يروج عليهم قصد ابطالها فشأن من يريد ابطالها ان يعمد إلى خلط الحق بالباطل حتى يوهم انه يريد الحق))[٢١١] أي انه احد افعال الجوارح التي من نتائجها الخلط بين الاشياء وقد استعار القرآن هذا المعنى ليطلقه على خلط المنافقين بين الحق والباطل .

وهناك من فصل بقوله: ان كانت الباء التي "بالباطل"صلة، مَثَلُها في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به، كان المعنى: لا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم، وان كانت الباء باء الاستعانة كالتي في قولك: كتبت بالقلم، كان المعنى: ولا تجعلوا الحق ملتبساً مشتبهاً

---

(204) **لسان العرب، قصم .**
(205) **تلخيص البيان، ١٤٠.**
(206) **ينظر الكشاف، ٦٧٣/٣ وينظر التحرير والتنوير ١٩/١٧.**
(207) الفروق اللغوية ، ١٢٣ .
(208) **تفسير البيضاوي ، ٨٥/٤ .**
(209) **المفردات، ٤٦٧.**
(210) **تلخيص البيان،٧.**
(211) **روح المعاني ، ٢٤٧/١.**

بباطلكم الذي تكتبونه[٢١٢]. فاللبس بمعنى الخلط بين الحق والباطل بحيث لا يُتمكن من تمييز احدهما عن الآخر بالتأكيد توسيع لدلالة الفعل لبس لاضافته معنى جديداً له .

وكذلك قوله تعالى: "ولا تصعر خدك للناس" لقمان١٨.

((صعَّرَ: الصعر مَيْلٌ في العنق والتصعير امالته عن النظر كبراً. وكل صعب يقال له مُصْعَر والظليم أصْعَر خِلْقةَ))[٢١٣]. ويقال: تصاعرَ ، وتصعَّرَ بالتشديد والتخفيف .

يقال : اصعر خدهُ وصعرهُ وصاعرهُ كقولك:اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى واحد، والمعنى: أقبل على الناس بوجهك تواضعاً ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون[٢١٤].

ويقال ايضاً: صاعر وصعَّر، اذا امال عنقه إلى جانب؛ ليعرض عن جانب آخر، وهو مشتق من الصَعَرَ بالتحريك لداء يصيب البعير فيلوي منه عنقه فكأنه صيغ له صيغة تكلف بمعنى تكلف اظهار الصعَر وهو تمثيل للاحتقار لأن مصاعرة الخد هيئة المحتقر المستخف في غالب الاحوال[٢١٥] .

والمعنى : ((لا تحتقر الناس ، فالنهي عن الاعراض عنهم احتقارا لهم لا عن خصوص مصاعرة الخد ، فيشمل الاحتقار بالقول والشتم وغير ذلك فهو قريب من قوله تعالى :"فلا تقل لهما أفٍ" الاسراء٢٣. الا ان هذا تمثيل كنائي والآخر كناية لا تمثيل فيها))[٢١٦].

((وقريء "ولا تصاعر" وهذه استعارة لان اصل الصعر كما قلنا داء يأخذ الابل في رؤسها حتى تقلب اعناقها، فكأنه امره ان لا يشمخ بانفه ويعرض بوجهه من الكبر تشبيهاً بالبعير اذا اصابه ذلك الداء، ومن صفات الكبر رفع الطرف حتى كأنه معقود بالسماء))[٢١٧] فالفعل صعّر هنا صار من افعال الجوارح المتعلقة بالوجه وقد استعمله القرآن للدلالة على سلوك مذموم يقوم به الفرد جاء النهي صريحاً عنه لتعارضه مع اخلاق الاسلام الكريمة التي يدعو اليها ويؤكد عليها .

وهو يطلق في اصله ويراد به امالة العنق بسبب داء يصيبه وهو مخصوص ويراد به امالة العنق بسبب داء يصيبه وهو مخصوص برقبة البعير، اما اطلاقه على تصرف المتكبر مع الآخرين والاعراض عن الناس احتقاراً لهم فهو بالتأكيد توسيع لدلالة الفعل.

---

(212) ينظر: الكشاف، ٧٤/١.
(213) المفردات، ٢٨٩.
(214) ينظر: الكشاف، ٨٣١/٢١.
(215) ينظر: نفسه، ٢١/ ٨٣٣.
(216) التحرير والتنوير،١١٠/٢١.
(217) تلخيص البيان،١٨٦.

وقوله تعالى:"**فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره**" النساء١٤٠.

الخوض: هو الشروع في الماء والمرور فيه، ويستعار اكثر من معنى في الامور، واكثر ما ورد في القرآن ورد فيما يُذم الشروع فيه(٢١٨).

((وهذه استعارة والمراد بالخوض ههنا مناقلة الحديث والضرب في اقطاره والتفسح في اعطافه استثارة لكرائمه وبحثاً عن غوامضه تشبيهاً بخصائص الماء الذي يثير قراره ويسبر غماره))(٢١٩).

أصل الخوض هو فعل جارحة يتم بموجبه الشروع والدخول في الماء وقد استعمل القرآن هذا الفعل هنا في غير معناه اللغوي واستعارة في هذه الآية للدخول في احاديث نهى عنها القرآن توسيعاً لدلالته اللغوية المتقدمة . واستعارة الفعل يخوض للدخول في احاديث نهى عنها القرآن توسيع لدلالته اللغوية وهي الشروع في الماء.

وكذلك في قوله تعالى: "**مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً** "المائدة ٣٢.

ومن احياها: ((ومن استنقذها من بعض اسباب الهلكة قتل او مرض او حرق او هدم او غير ذلك))(٢٢٠).

((واحيا ههنا استعارة لان احياء النفس بعد موتها لا يفعله الا الله تعالى وانما المراد مَنْ استقاه وقد استحقت القتل او استنقذها وقد اشرفت على الموت ، فجعل سبحانه فاعل ذلك كمحييها بعد موتها اذ كان الاستنقاذ من الموت كالإحياء بعد الموت))(٢٢١).

وقيل ان معنى من احياها: ((أي من اهتم بالذبّ عنها فكأنما احيا الناس جميعاً بذلك، او من غلّب وازع الشرع والحكمة على داعي الغضب والشهوة فإنكفّ عن القتل عند الغضب))(٢٢٢).

فالاحياء هنا ليس اعادة الروح لجسد فارقته بل وسع معناه وشمل منع اسباب الموت من ازهاق تلك الروح واستبقاء من يحتمل موته وانقاذه من الهلكة.

---

(218) ينظر: المفردات، ١٦١.
(219) تلخيص البيان،٢٧.
(220) الكشاف،٢٨٨/٦.
(221) تلخيص البيان، ٣٠٠.
(222) التحرير والتنوير، ٩٠/٥.

وقوله تعالى :"**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ.....**"الاعراف ٤٣.

نَزَع الشيء: ((جذبه من مقره كنزع القوس عن كبده، ويستعمل ذلك في الاعراض، ومنه نزع العداوة والمحبة من القلب.

وقيل ان النزع حقيقته قلع الشيء من موضعه .

النزع : هو ازالة الشيء عن مكانه ، ويفهم منه انه ازالة لا عودة فيها وذلك من السياق القرآني الذي ورد فيه اذا استعمله القرآن في معناه المجازي للدلالة على طهارة قلوب اهل الجنة من كل ما يسوؤها من الغل والحسد))[٢٢٣] .

ونزع الغِل من قلوب اهل الجنة: ((هو ازالة ما كان في قلوبهم في الدنيا من الغِلّ عند تلقي ما يسوء من الغَيْر بحيث طهّر الله نفوسهم في حياتها الثانية عن الانفعال بالخواطر الشرّية التي منها الغِلْ، فزال ما كان في قلوبهم من غِل، وازال طباع الغِل التي في النفوس البشرية بحيث لا يخطر في نفوسهم))[٢٢٤].

والغِل: ((الحقد والإحنة والضغن التي تحصل في النفس عند ادراك ما يسوؤها من عمل غيرها))[٢٢٥].

وهذه استعارة ((لانه ليس هناك شيء يتأتى نزعه على الحقيقة والمعنى ازلنا ما في صدورهم من الغِل بانسائهم اياه وبإحداث ابدال له تشغل اماكنه في قلوبهم وتقع مواقعه من صدورهم، وقال بعض المفسرين معنى ذلك ان اهل الجنة لا يحسد بعضهم بعضا على علو المنزلة والبلوغ إلى مشارف رتبتها والحسد من الغِل))[٢٢٦] ((أي من كان في قلبه غِل على اخيه في الدنيا نُزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التوادّ والتعاطف))[٢٢٧].

مما تقدم نلاحظ ان القرآن وسع دلالة الفعل نزع باضافة معنى ابدال الغِل بالرضا في نفوس اهل الجنة وقلوبهم إلى دلالته الاولية وهي جذب الشيء من موضعه.

قوله تعالى: "**يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وسخر الشمس والقمر...**" الزمر ٥.

((كَوْرُ الشيء: إدارته وضم بعضه إلى بعض ككَوْر العمامة، والآية اشارة إلى جريان الشمس في مطالعها وانتقاص الليل والنهار وازديادهما))[٢٢٨].

---

(223) **المفردات ،٥٠٨.**

(224) **التحرير والتنوير،١٠١/٨.**

(225) **نفسه ، ٨ /١٠١ .**

(226) **تلخيص البيان،٤٤.**

(227) **الكشاف ٣٦٣/٨.**

(228) **المفردات، ٤٦٠.**

((والتكوير: حقيقته اللف والليُّ، يقال كَوَّر العمامة على رأسه اذا لواها ولفَّها، ومثلت به هنا هيئة غشيان الليل على النهار في جزء من سطح الارض وعكس ذلك على التعاقب بهيئة كَوْر العمامة، اذ تغشى اللَّيةُ اللَّية التي قبلها، وهو تمثيلٌ بديع قابل للتجزئة بان تشبه الارض بالرأس ويشبه تعاور الليل والنهار عليها بلف طيات العمامة))(٢٢٩).

وقيل: أن معنى الكور الكثرة لأنه يسمون القطيع الكثير من البقر وغيره كواراً، فيكون المعنى هنا: أي تكثر اجزاء الليل حتى يخفى ضوء النهار وتغلب ظلمة الليل ويكور النهار على الليل أي تكثر اجزاء النهار حتى تظهر وتنتشر وتتلاشى اجزاء الليل وتضمحل(٢٣٠).

((وهناك من فصل في معنى تكوير الليل والنهار وعدد لذلك اوجه منها: ان الليل والنهار خلفه يذهب هذا ويغشى مكانه هذا، واذا غشى مكانه فكأنما ألبسه ولُف عليه كما يلف اللباس على اللابس.

ومنها: ان كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه في تغيبه اياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار.

ومنها: ان هذا يكرُّ على هذا كروراً متتابعاً فشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض))(٢٣١) .

فكل هذه المعاني المتقدمة تعد معانٍ ثانوية موسعة لمعنى الفعل كوّر اللغوي، وهذا هو الاثر القرآني الذي اعتدنا ان نجده في كل الالفاظ التي سخرها للمعاني التي ارادها.

وقوله تعالى: "**الم نشرح لك صدرك**" الانشراح١.

شَرَحَ: ((اصل الشرح: بسط اللحم ونحوه، يقال شَرَحْتُ وشَرَّحْتُهُ))(٢٣٢). ومنه الشريحة للقطعة من اللحم، والتشريح في الطب، ويطلق على انفعال النفس بالرضى بالحال المتلبس بها. ((ولكثرة استعمال هذا الفعل في هذا الانفعال؛ فقد صار من المجاز الذي يساوي الحقيقة، لان الظاهر ان الشرح الحقيقي خاص بشرح اللحم، وان اطلاق الشرح على رضا النفس بالحال استعارة ناشئة عن اطلاق لفظ الضيق وما تصرف منه على الاحساس بالحزن والكمد، قال تعالى: " وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ او جاء معه ملك "هود ١٢. فجعل ازالة ما في النفس من حزن مثل شرح اللحم وهذا الانسب بقوله: "**فان مع العسر يسرا**" الانشراح ٥)).

---

(229) التحرير والتنوير، ٢٤/٢٠.
(230) ينظر: تلخيص البيان،٢٠٧.
(231) الكشاف،٩٣٤/٢٣.
(232)المفردات، ٢٦٤.

((فالصدر مراد به الاحساس الباطني الجامع لمعنى العقل والادراك وشرح صدره كناية عن الانعام عليه بكل ما تطمح اليه نفسه الزكية من الكمالات واعلامه برضا الله عنه وبشارته بما سيحصل للدين الذي جاء به من النصر))[٢٣٣].

وقيل: ان معنى شرح الصدر ((أي بَسْطُه بنور الهي وسكينة من جهة الله وروح منه))[٢٣٤].

وقيل: ايضاً ان معنى شرحنا لك صدرك ((فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين جميعاً او حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم او فسحناه بما اودعناه من العلوم والحكم))[٢٣٥].

وجميع هذا المعاني تدل على افعال يجمع بينها توسيع الصدر وانشراحه فمن الواضح ان الفعل شَرَحَ قد توسعت دلالته اذ دلَّ على عدة معانٍ اضافية: منها الشعور بالرضا وبسط النفس وتفسيحها وايداعها العلوم والحكم. وما إلى ذلك من المعاني المضافة إلى دلالته الاصلية.

وقوله تعالى: "**حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ ربكم قَالُوا الحق وهو العلي الكبير**"سبأ ٢٣.

الفَزَعْ: ((انقباضٌ ونفار يعتري الانسان من الشيء المخيف، وهو من جنس الجزع ولا يقال فَزِعْت من الله كما يقال خفت منه، ويقال فَزَعَ به اذا استغاث اليه عند الفَزَع، و فَزِعَ له اغاثه))[٢٣٦].

((وهذه استعارة، أي ازيل الفزع عن قلوبهم، أي كما تقول: قذيت عينه اذا ازلت القذى عنها[٢٣٧].

(وفُزِّعَ، بضم الفاء، وكسر الزاي مشددة، وهو مضاعف فزع، والتضعيف فيه للازالة مثل قشّر العود، ومرّض المريض اذا باشر علاجه. وبني للمجهول لتعضيم ذلك التفزيع بانه صادر من جانب عظيم. ففيه جانب الآذن لهم، وجانب المبلغ له وهو الملك)[٢٣٨] .

((والتفزيع يحصل لهم بانكشاف اجمالي يلهمونه فيعلمون بان الله اذن بالشفاعة ثم يتطلبون التفصيل بقولهم "ماذا قال ربكم" ليعلموا من أُذِنَ له ممن لم يُؤذن له، وهذا كما يكرر النَظرْ ويعاود المطالعة من ينتظر القبول، او هم يتساءلون عن ذلك من شدة الخشية فانهم اذا فُزِّعْ عن قلوبهم تساءلوا لمزيد التحقق بما استبشروا به فيجابون انه

---

(233) التحرير والتنوير، ٣٦٠/٣٠.

(234) المفردات، ٢٦٤.

(235) الكشاف ١٢١٠/٣٠.

(236) المفردات، ٣٩٣.

(237) تلخيص البيان، ١٩٣.

(238) التحرير والتنوير، ٥٥/٢٢ .

قال الحق))[٢٣٩] أي ((كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها ربُّ العزة في اطلاق الاذن، فتباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضاً . فإذا أذن لمن يشفع فزعته الشفاعة))[٢٤٠].

وكذلك فالذين يرجون ان يُشفَع فيهم ينظرون ممن هو اهلٌ لمن يشفع وهم في فزع من الاشفاق ان لا يُؤذن بالشفاعة فيهم. فإذا أذِن الله لمن شاء ان يشفع زال الفزع عن قلوبهم واستبشروا اذ انه فُزِّعَ عن قلوب الذين قبلت الشفاعة فيهم، أي وايّسَ المحرومون من قبول الشفاعة فيهم[٢٤١].

وأصل التفزيع هو ازالة الفزع عن الانسان فالفعل فزّع يطلق ويراد منه المعنى المتقدم اما استعارة هذا الفعل إلى وصف الحالة التي يكون فيها الشافعون والمشفوع لهم من الامان والارتياح والسرور فهي توسيع لدائرة دلالة الفعل . فإستعارة هذا الفعل إلى وصف الحالة التي يكون فيها الشافعون والمشفوع لهم من الامان والارتياح السرور هي توسيع لدائرة دلالة الفعل.

وقوله تعالى: "**لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ**"الانعام ٩٤.

((القطع: فصل الشيء مدركاً بالبصر كالاجسام او مدركاً بالبصيرة كالاشياء المعقولة))[٢٤٢].

يطلق الفعل قطّع ويراد منه فصل الاشياء ، اما اطلاقه هنا على ازالة ما كان من اسباب المودة وعلائق المحبة بين الكفار فهو استخدام له في غير معناه اللغوي .

((وهذه استعارة لأنه لا وصال هناك على الحقيقة فتوصف بالتقطع وانما المراد لقد زال ما كان بينكم من شبكة المودة وعلاقة الالفة التي تُشَبِّه لاستحكامها بالحبال المحصدة والقرائن المؤكدة))[٢٤٣].

((وحذف فاعل تقطّعَ على قراءة الفتح لان المقصود حصول التقطع، ففاعله اسم مبهم مما يصلح للتقطع وهو الاتصال. فيقدر: لقد تقطعَ الحَبْل او نحوه. قال تعالى: "**وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ**"البقرة ١٦٦. وقد صار هذا التركيب كالمثل بهذا الايجاز. وقد شاع في كلام العرب ذكر التقطع مستعاراً للبعد وبطلان الاتصال تبعاً لاستعارة الحبل للاتصال))[٢٤٤].

أي ان معنى تقطع بينكم: ((وقع التقطع بينكم، كما تقول جمع بين الشيئين تريد اوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل إلى مصدره بهذا التأويل))[٢٤٥].

---

(239) نفسه، ٢٢/ ٥٧ .
(240) لكشاف: ٨٧٣/٢٢.
(241) ينظر: التحرير والتنوير، ٥٤/٢٢.
(242) المفردات، ٤٢٣ .
(243) تلخيص البيان،٣٧.
(244) التحرير والتنوير، ٩٣/٦-٩٤.
(245) الكشاف، ٣٣٧/٧.

لا وصال بين الكفار يوم القيامة لتُقطّع، وانما هناك علاقات كانت قائمة ازيلت ومودة تلاشت، استعار لها القرآن الفعل(تَقطّعَ) وذلك ليوصل لنا المعنى بادق عبارة واروع صورة موسعاً بذلك دلالة الفعل ومانحه ظلال دلالية راقية وموحية.

وقوله تعالى:"**وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ**" الاعراف٤٣.

((وَرَثَ: الوراثة والارث: انتقال قُنْية اليك عن غيرك من غير عَقْدٍ ولا ما يَجْري مَجْرى العقد، وسُمِّيَ بذلك المنتقل عن الميت فيقال للقِنْية الموروثة ميراث وارث))[٢٤٦].

((أي ان حقيقة الورث هي: مصير مال الميت إلى اقرب الناس اليه، ويقال: اورث الميت اقرباءه ماله، بمعنى جعلهم يرثونهم عنه، لأنه لم يصرفه عنهم بالوصية لغيره فقد تركه لهم، ويطلق مجازاً على مصير شيء إلى أحد بدون عوض ولا غصب تشبيهاً بارث الميت))[٢٤٧] .

فمعنى قوله"اورثتموها" اعطيتموها، عطية هنيئة لا تعب فيها ولا منازعة وقد دلّ على ذلك الجمع بين(اورثتموها) وبين باء السببية. فالايراث دلّ على انهما هدية بدون قصد تعاوض ولا تعاقد، وانها فضلٌ محض من الله تعالى، لان ايمان العبد بربه وطاعته اياه لا يوجب عقلاً ولا عدلاً الا نجاته من العقاب الذي من شأنه ان يترتب على الكفران والعصيان. والباء تفسر سبب العطاء وهو اعمال المؤمنين ومنها الايمان والعمل الصالح[٢٤٨].

وهناك استعارتان واحدة خفية، واخرى جلية، لان صفة الله بالوارث والمورث كقوله تعالى: "**وكنا نحن الوارثين**" القصص : ٥٨ وكقوله تعالى: "**ولله ميراث السماوات والارض والله بما تعملون خبير**" آل عمران : ١٨ . فهو مجاز والمراد به انه باقٍ بعد فناء خلقه وتَقوّض سمائه وارضه، وقد استعمل ذلك ايضاً في لزوم قوم ديار قومٍ بعدهم، واخذ قوم اموال قوم بعد حربهم واجلائهم فقال سبحانه "**وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا**"الاعراف (١٣٧) .

وقال تعالى في موضع آخر: "**واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضاً لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديراً**"الاحزاب (٢٧) .

---

(246) المفردات، ٥٥٥.

(247) التحرير والتنوير، ١٠٧/١١.

(248) ينظر: تلخيص البيان، ٤٥.

وليس يصح في ميراث الجنة مثل هذه المعاني التي ذكرناها لان الجنة لا يسكنها قومٌ بعد سكنى قوم قد فارقوها وانتقلوا عنها، فقوله سبحانه ان تلكم الجنة اورثتموها استعارة خفية، ويكون المعنى الذي سوَّغ هذه الاستعارة ان هؤلاء المؤمنين لما عملوا في دار الدنيا اعمالاً استحقوا عليها الجزاء والثواب، ولم يصح ان يوفر عليهم ذلك الا في الجنة وهي من الدار الآخرة فكأنهم استحقوا دخولها، فحسن من هذا الوجه ان يوصفوا بانهم اورثوها وان لم يكن سكناهم لها بعد سكنى قوم آخرين انتقلوا عنها، وسوَّغ ذلك ايضاً اختلاف حال الدارين وانتقالهم من الاولى إلى الآخرة، وكأن ما عملوه في الدار الاولى كان سبباً لما وصلوا اليه في الدار الآخرة كما يستحق الميراث بالنسب[٢٤٩].

ولهذا فقد وسع معنى الفعل ورث بحيث اصبح دخول الجنة ضمن دلالة هذا الفعل الذي قيده معناه اللغوي بانتقال ما يملكه الميت إلى من يرثه بعد وفاته.

وقوله تعالى :"**سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ**"الرحمن ٣١.

((فقَرَغ: الفراغ خلاف الشغل، وقد فرغ فراغاً وفروغاً وهو فارغ))[٢٥٠].

والفراغ للشيء: الخلو عما يشغل عنه، وهو تمثيل للاعتناء بالشيء، وشبه حال المقبل على عمل دون عمل آخر بحال الوعاء الذي افرغ مما فيه ليملأ بشيء آخر[٢٥١].

((وهو مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك، يريد: سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنك حتى لا يكون لي شغل سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه))[٢٥٢]. والمناسب لسياق الآية باعتبار السابق واللاحق،ان تحمل على معنى الاقبال على امور الثقلين في الآخرة[٢٥٣]. وهو تهديد للمشركين بانهم واولياءهم من الجن المسوّلين لهم عبادة الاصنام سيعرضون على حكم الله فيهم.

((وحرف التنفيس مستعمل في مطلق التقريب المكنى به عن التحقيق))[٢٥٤]. أي ان المراد بذلك ((سنعمد لعقابكم وناخذ في جزائكم على مساوئ اعمالكم، فعل من يتفرغ للعمل من غير تضجيج فيه ولا اشتغال بغيره عنه))[٢٥٥] .

ويجوز ان يراد: ((ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق. فلا يبقى الا شان واحد وهو جزاؤكم))[٢٥٦] .

مما تقدم يتضح ان معنى الفراغ : الخلو بعد الامتلاء ، ومن المعلوم انه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ، بل استعار القرآن هذا المعنى ليصل باللغة إلى اقصى غاياتها وهي ايصال ما يريده المتكلم منها، فاستعار هذا الفعل ووسع معناه، وخاطب به

---

(249) ينظر: تلخيص البيان،٤٥.
(250) المفردات، ٣٩١.
(251) ينظر: التحرير والتنوير،٢٤٠/٢٧.
(252) الكشاف: ١٠٧٢/٢٧.
(253) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٤٠/٢٧.
(254) التحرير والتنوير، ٢٤٠/٢٧.
(255) المفردات، ٣٩١.
(256) الكشاف، ١٠٧٢/٢٧.

المشركين مهدداً ومتوعداً بالعقاب والجزاء وكأنه لا يشغله حينئذ عن جزائهم شيء ولا يبقى لديه غيرهم، فاي تعبير بعد ذلك ادق واجمل ((وذلك على طريقة العرب في سنن الكلام لدى التعبير عن التهيؤ والجد والتشمير ، فهو قاصد اليهم بعد الترك في فسحة الحياة ومحيط بهم الامهال قبل الموت ، لا أنه كان مشغولاً ففرغ ، او في كائنة وانتهى منها ؛ وانما هو المجاز بعينه الذي اشاع روح الاهبة في الوعيد ، وانتهى باجراس النقمة في المجازاة ، دون شغل او عمل صارفين))[257].

وقوله تعالى "**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**"التحريم ٤.

((صغا: الصغو: الميل، يقال صغت النجوم والشمس صغواً، مالت للغروب، وصغيت الاناء واصغيته واصغيت إلى فلان ملت بسمعي نحوه))[258] .

((وهذه استعارة ومعنى صغت قلوبكما أي مالت وانحرفت ، ويقال قد صغوت اليه وصغيت وأصغيت اليه ، وهو الكلام ، ولم تمل قلوبهما على الحقيقة وانما اعتقد قلباهما خلاف الاستقامة في طاعة النبي (صلى الله عليه واله) فحسن أن يوصّفا بميل القلبين من هذا الوجه وذلك لقول القائل: قد مال إلى فلان قلبي اذا احبه وقد نفر عن فلان قلبي اذا ابغضه والقلب في الامرين جميعاً بحاله لم يخرج عن نياطه ولم يزل عن مناطه وانما قال سبحانه "قلوبكما" والخطاب مع امرأتين لان كل شيئين تجوز العبارة عنهما بلفظ الجمع في عادة العرب))[259].

((فقد وجد منكما ما يوجب التوبة، وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالطة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه))[260].

فالاعتقاد في القلب سمي صغواً توسيعاً لدلالة الفعل واطلاقاً له على حالة من الميل الوجداني إلى امر من الامور، فقد صور القرآن القلب بعد التوبة بانه مائل إلى الصلاح والطريق المستقيم وبهذا يكون الفعل (صغى) من افعال الجوارح المنسوبة إلى عمل القلب في هذه الآية بوصفه الجارحة المسؤولة عن الاعتقاد واليقين والتثبت.

وقوله تعالى: "**فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ** "الزمر ٤٢.

((مسك: امساك الشيء التعلق به وحفظه.

وقيل: الشد باليد وعدم تسليم المشدود))[261] .

والمعنى: ((فيبقي ولا يردُ النفس التي قضى عليها بالموت، أي يمنعها ان ترجع إلى الحياة، فاطلاق الامساك على بقاء حالة الموت تمثيل لدوام تلك الحالة))[262].

اذن فقد خرج معنى الفعل (مسك) الذي هو احد افعال الجوارح الدالة على الاستيثاق من حفظ الشيء ومنعه من الرجوع إلى حالته الاولى ، خرج إلى دوام المنع وعدم السماح توسيعاً لمعناه اللغوي الذي يعني المسك والشد باليد.

---

(257) مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية، ١٢٦.

(258) المفردات، ٢٨٩.

(259) تلخيص البيان، ٢٥٠.

(260) الكشاف، ١١٢٠/٢٨.

(261) المفردات، ٤٨٨.

(262)التحرير والتنوير، ١٠٠/٢٠.

وقوله تعالى: "**كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي**" المجادلة ٢١.

((كَتَبَ: يعبر عن الاثبات والتقدير والايجاب والفرض والحزم بالكتابة، ووجه ذلك ان الشيء يراد ثم يقال ثم يكتب، فالارادة مبدأ والكتابة منتهى، ثم يعبر عن المراد الذي هو المبدأ اذا اريد توكيده بالكتابة التي هي المنتهى))[٢٦٣] .

((وهذه استعارة والمراد بالكتابة ههنا الحكم والقضاء وانما كنى تعالى عن ذلك بالكتابة مبالغة في وصف ذلك الحكم بالثبات وان بقاءه كبقاء المكتوبات[٢٦٤].

والمعنى لان الله اراد ان يكون رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) غالباً لاعدائه وذلك من آثار قدرة الله التي لا يغلبها شيء وقد كتب لجميع رسله الغلبة على اعدائهم فغلبتهم من غلبة الله اذ قدرة الله تتعلق بالاشياء على وفق ارادته وارادة الله لا يغيرها شيء والارادة والقدرة على الموجود وهو المسمى بالقضاء. وهو المعبر عنه هنا بـ(كتب الله) لان الكتابة استعيرت لمعنى: قضى الله ذلك واراد وقوعه في الوقت الذي علمه واراده فهو محقق الوقوع لا يتخلف مثل الامر الذي يراد ضبطه وعدم الاخلال به فانه يكتب لكي لا ينسى ولا ينقص منه شيء

ولا يجحد التراخي عنه (فجملة لاغلبن) مصوغة صيغة القول ترشيحاً لاستعارة(كَتَبَ) إلى معنى قضى وقدر. والمعنى قضى مدلول هذه الجملة، أي قضى بالغلبة لله ورسوله[٢٦٥].

إذاً فقد توسع معنى الفعل كتب وخرج إلى معنى القضاء والتقدير.

وقوله تعالى : "**ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء**" الممتحنة ٢.

((بَسَطَ: بسط الشيء: نشره وتوسَّعهُ، فتارةً يتصور منه الامران وتارةً يتصور منه احدهما، ومن معاني بسط الكف: الطلب والاخذ، والصولة والضرب))[٢٦٦].

والبسط: مستعار للاكثار بما شاع من تشبيه الكثير بالواسع والطويل، وتشبيه ضده وهو القبض بضد ذلك، فبسط اليد الاكثار من عملها.

أي انه فعل من افعال الجوارح المتعلق بعمل جارحين اليد واللسان ويدل في اطلاقه الاول على نشر الشيء وتوسيعه ، ولكنه وبعد نسبته إلى هاتين الجارحتين خرج إلى معنى آخر وهو افعالهما الضارة كالضرب والشتم وغيرها . ((والمراد به هنا: عمل

---

(263) المفردات، ٤٤٠.

(264) تلخيص البيان، ٢٤٣.

(265) ينظر: التحرير والتنوير، ٧٥/٢٨.

(266) المفردات، ٤٣ – ٤٤.

اليد الذي يضر مثل الضرب والتقييد والطعن، وعمل اللسان الذي يؤذي مثل الشتم والتهكم. ودلّ على ذلك قوله(بالسوء) فهو متعلق بـ(يبسطوا) الذي مفعوله(ايديهم والسنتهم)[٢٦٧].

((وهذه استعارة لان بسط الالسن على الحقيقة لا يتأتى كما يتأتى بسط الايدي وانما المراد اظهار الكلام السيء فيهم بعد زم الالسن عنهم فيكون الكلام كالشيء الذي بُسِطَ بعد انطوائه وأظهِرَ بعد اخفائه وقد يجوز ايضاً ان يكون تعالى انما حمل بسط الالسن على بسط الايدي ليتوافق الكلام ويتزاوج النظام لان الايدي والالسن مشتركة في المعنى المشار اليه فللايدي الافعال وللالسن الاقوال وتلك ضررها بالايقاع وهذه ضررها بالسماع))[٢٦٨].

وهكذا فقد دلّ الفعل بَسَطَ عند نسبته إلى الالسن على اظهارها خفي من الكلام وفرد ما طويَّ منه توسيعاً لدلالته اللغوية التي اقتصرت على النشر والتوسعة.

---

(267) **التحرير والتنوير،١٢٥/٢٨.**

(268) **تلخيص البيان، ٢٤٥-٢٤٦.**

الباب الاول الفصل الرابع
الانتقال الدلالي

الانتقال الدلالي او ما يسمى بالحقيقة والمجاز :

الحقيقة :

ذكر ابن جني ان ((الحقيقة : ما اقر في الاستعمال على اصل وضعه في اللغة))[٢٦٩] وقال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) ((فالحقيقة الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم ولا تأخير))[٢٧٠] .

المجاز :

المجاز لغة من ((جزت الطريق ، وجاز الموضع جوازاً ... وجاوزت الموضع جوازاً بمعنى جزته . والمجاز والمجازة : الموضع))[٢٧١] من ذلك قال فيه عبد القاهر الجرجاني (ت : ٤٧١هـ) من قبل ((المجاز مفعل من جاز الشيء يجوزه اذا تعداه واذا عدل باللفظ عما يوجبه اصل اللغة ، وصف بانه مجاز على معنى انهم جازوا به موضعه الاصلي او جاز هو مكانه الذي وضع فيه اولاً))[٢٧٢] ولا يعني ذلك عنده الطلاق والقطيعة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لذا قال ((ثم اعلم بعد ان في اطلاق المجاز على اللفظ المنقول عن اصله شرطاً وهو ان يقع على وجه لا يعرى معه من ملاحظة الاصل))[٢٧٣] وقد بلغ مصطلح المجاز لدى عبد القاهر مدى بعيداً ، تنظيراً وتطبيقاً في اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ، فذكر ان الذي ((يعمد على نقل اللفظ عن اصله في اللغة الى غيره ويجوز به مكانه الاصلي الى مكان آخر لاجل الاغراض ، التشبيه والمبالغة والاختصار))[٢٧٤] في حين ذكر ابن جني من قبل (انما يقع المجاز ويعدل اليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي : الاتساع والتوكيد والتشبيه . فان عدم هذه الاوصاف كانت الحقيقة البتة)[٢٧٥] ومثل لذلك بقوله تعالى : "وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا" الانبياء (٧٥) ، فهو مجاز وفيه الاوصاف الثلاثة .

((اما السعة فلأنه كأنه زاد في اسماء الجهات والمحال اسماً هو الرحمة . واما التشبيه فلأنه شبه الرحمة – وان لم يصح دخولها – بما يجوز دخوله . فلذلك وضعها

---

(269) **الخصائص ، ٤٤٤/٢ وينظر : المثل السائر ، ٥٩/١ .**
(270) **الصاحبي ، ١٩٧ .**
(271) **لسان العرب : جوز .**
(272) **اسرار البلاغة ، ٣٤٢ وينظر : نهاية الانجاز في دراية الاعجاز ، ٨١ ، والابهاج في شرح المنهاج ، ٢٧٣/١ .**
(273) **نفسه ، ١٥٢ .**
(274) **نفسه ، ٢٠٨-٢٠٩ .**
(275) **الخصائص ، ٤٤٤/٢ .**

موضعه . واما التوكيد فلأنه اخبر عن العرض بما يخبر به عن الجوهر . وهذا تعال بالعرض وتفخيم له ، اذ صير الى حيز ما يشاهد ويلمس ويعاين))[٢٧٦] .

وكان النص القرآني مجالهم الرحب للتطبيق ، اذا استقرأوا آيات التنزيل مبينين ما ورد فيها مجازاً وفي ذلك دلالة جلية على وقوع المجاز في القرآن الكريم .

الفعل بين الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم :

المجاز من الفنون الاصيلة في لغة العرب ، ورد ذلك في شعرهم ونثرهم قبل الاسلام وبعده ، لذا سميت ((اللغة العربية لغة المجاز))[٢٧٧] لا لكثرة التعبيرات المجازية فيها فحسب وانما سميت ((بلغة المجاز لانها تجاوزت بتعبيرات المجاز حدود الصور المحسوسة الى حدود المعاني المجردة ، فيستمع العربي الى التشبيه فلا يشغل ذهنه باشكاله المحسوسة الا ريثما ينتقل منها الى المقصود من معناه فالقمر عنده بهاء والزهرة نضارة ، والغصن اعتدال ورشاقة ، والطور وقار وسكينة))[٢٧٨] ولا ريب في ان يكون المجاز من سمات لغة التنزيل ، وقد نزل بلسان عربي مبين . وليس من نافلة القولة ان نشير الى ان المجاز عند الرواد الاوائل من اللغويين – ولا سيما مجاز القرآن – لا علاقة له بالمجاز الاصطلاحي ، فمجاز القرآن لابي عبيدة المتوفى ٢١٠هـ ((عالج فيه كيفية التوصل الى فهم المعاني القرآنية باحتذاء اساليب العرب في كلامهم وسننهم في وسائل الابانة عن المعاني ، ولم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة ، وانما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية))[٢٧٩] وهو ما اشار اليه ابو عبيدة بقوله ((وفي القرآن ما في الكلام العربي من وجوه الاعراب ، ومن الغريب والمعاني))[٢٨٠] وهذا لا يعني ان اسلوب المجاز لم يكن في القرآن الكريم وفي كلام العرب ، لاغفاله مصطلحاً ، بل ان اسلوب الحقيقة والمجاز كان معروفاً ومستعملاً .

ان كثيراً من الالفاظ قد اصابها التطور مع الزمن ، وتغير في صورتها حيناً ، وفي دلالتها حيناً آخر ، فتطور الدلالة ظاهرة شائعة في كل اللغات يلمسها كل دارس لمراحل نمو اللغة واطوراها التأريخية وهي ظاهر طبيعية دعت اليها الضرورة الملحة .

ويعد تطوير مجرى الدلالة او ما يسمى (بالحقيقة والمجاز) من اهم مظاهر النضج في دلالة الالفاظ فقد كثر كلام القدماء عن ما يسمى بالحقيقة والمجاز ، فوصفوا الحقيقة بانها الدلالة الاصلية للفظ من الالفاظ ، وان المسؤول عنها هو الواضع الاول للغة ، والحقيقة ايضاً هي الاستعمال الشائع المألوف للفظ من الالفاظ ، اما المجاز فهو الانحراف عن ذلك المألوف الشائع ، ويتزامن مع اثارة الدهشة او الغرابة او الطرافة في ذهن السامع[٢٨١] .

فقد يشيع استعمال لفظ في جيل من الاجيال للدلالة على معنى معين ، وكلما ذكر اللفظ خطرت الدلالة نفسها في الاذهان دون غرابة او دهشة وهذا ما يسمى بالحقيقة ،

---

(276) نفسه ، ٤٤٥/٢ .
(277) اللغة الشاعرة ، ٢٦ .
(278) نفسه ، ٢٦ .
(279) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ١٩٣/٣ .
(280) مجاز القرآن، أبو عبيدة ، ٨/١ وينظر : من وحي القرآن ، ١٦ .
(281) ينظر: دلالة الالفاظ، ١١٠.

فاذا انحرف به الاستعمال في مجال آخر ، فأثار في الذهن غرابة او طرافة قيل حينئذ انه من المجاز[٢٨٢] .

وقد لا تدعو الضرورة الى مثل هذا الانحراف بالالفاظ ، ومع هذا يلجأ كثير من الناس الى الخروج بالالفاظ عن مألوفها رغبة في التعبير ، وابتعاداً عن الاستعمال الشائع ولزيادة التوضيح وتجلية الدلالة وبذلك يتكون نوع من المجاز الذي لا ينتمي الى فرد معين بقدر ما ينتمي الى بيئة معينة او وسط معين ويضل يدور على الالسنة حتى يصبح من المألوف او ما يسمى بالحقيقة[٢٨٣] .

وقد يتفق مجموعة من الادباء والشعراء واصحاب البلاغة واللسن على الانحراف بمجموعة من الالفاظ عن عمد وقصد الى مجال آخر ويعتمد هذا الانحراف وطرافته على مهاراتهم وما تبتدعه قرائحهم وذائقتهم الفنية وقد يتحول هذا المجال بعد مدة من الزمن الى حقيقة نظراً لشيوعه وألفة السامعين له ، ويفقد ما لازمه من الطرافة والجدة[٢٨٤] .

فالمجاز القديم مصيره الى الحقيقة ، والحقيقة القديمة قد يكون مصيرها الى الزوال والاندثار وتبقى الالفاظ اذا قدر لها البقاء تنتقل من مجال الى آخر جيلاً بعد جيل وذلك هو التطور الدلالي . وذلك ما هو واضح في :

قوله تعالى: **"....وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"** أل عمران ٧٧

((نظر: النظر حس العين ، والنَّظرة : الرحمة ومعنى لا ينظر إليهم أي لا يرحمهم ومعنى النظر ألإحسان و الرحمة والعطف وترك النظر دليل البغض والكراهة[٢٨٥].

---

(282) **ينظر علم الدلالة العربي، ٢٥٥.**
(283) **دلالة الألفاظ، ١٢٥.**
(284) **نفسه، ١٢٦.**
(285) **لسان العرب ، نظر .**

((والنظر ايضاً :تقليب البصر والبصيرة لا دراك الشئ ورؤيته ، وقد يراد به التأمل والفحص . ونظر الله تعالى إلى عباده : هو إحسانه إليهم وإفاضة نعمه عليهم))[٢٨٦].

((ومعنى لا ينظر إليهم : لا يعطف عليهم ولا يرحمهم كما يقول القائل لغيره انظر إلي يريد ارحمني وفي ذلك دليل على أن النظر إذا عُديّ بحرف(إلى) لا يفيد الرؤية لأنه لا يجوز حملها هنا على انه لا يراهم بلا خلاف[٢٨٧].

((فنظره سبحانه : عطف ورحمة في يوم القيامة . وعدم النظر كناية عن الإعراض عنهم والغضب عليهم والبعد عنهم ؛ لعدم حب الله تعالى لهم الذي كرّم به عباده المؤمنين بعهده المتقين في دينه ، وفي تخصيص هذا الأمر بيان منتهى الغضب وعدم الاعتناء في وقت يشتد احتياج الانسان إلى نظر الله إليه لعِظم محنته وبإنتفائه لا يبقى له أمل و رجاء في الشدائد والأهوال))[٢٨٨]. ((وعدم النظر : مجاز عن الاستهانة بهم و السخط عليهم ، تقول : فلان لا ينظر إلى فلان ، تريد نفي اعتداده به وإحسانه إليه))[٢٨٩]

وقيل إن هذه استعارة ، وحقيقتها و لا يرحمهم الله يوم القيامة ، كما يقول القائل لغيره إذا استرحمه انظر إلي نظرة لان حقيقة النظر هو تقليب العين الصحيحة في جهة المرئي التماساً لرؤيته وهذا لا يصح إلا على الأجسام ومن يدرك بالحواس ويوصف بالحدود والأقطار وقد تعالى عن ذلك علواً كبيراً[٢٩٠].

وبهذا الاستعمال خرج معنى الفعل (نظر) الذي هو عمل الجارحة المبصرة إلى معنى مجازي وهو شمول الرحمة والإحسان والإقبال على العبد ونفي النظر نفي الاعتداد به والإعراض عنه وعدم العطف عليه.

وقوله تعالى :"**أُولَـئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ**" آل عمران (٢٢) .

((الحبط : وجع يأخذ البعير في بطنه من كلأ يستبوله))[٢٩١] . ((وقيل ان أصل الحَبط ، أن تكثر الدابة أكلاً حتى ينتفخ بطنها))[٢٩٢].

((وحَبطُ العمل على أضرب : احدهما أن تكون الأعمال الدنيوية فلا تغني في القيامة غناءً.

والثاني : أن تكون أعمالاً أخروية لكن لم يقصد بها صاحبها وجه الله تعالى .

---

(286) المفردات، ٥١٨.
(287) مجمع البيان ، ٣ \ ٤٦٤ .
(288) مواهب الرحمن في تفسير القران ، ٦ \ ٨٢ .
(289) الكشاف ، ٣ \ ١٧٨.
(290) ينظر: تلخيص البيان ،١٩٠،وينظر : التحرير والتنوير، ٣ \ ١٣٦.
(291) لسان العرب ، حبط .
(292) المفردات ، ١٠٤-١٠٥ .

والثالث : أن تكون أعمالاً صالحة ولكن بإزائها سيئات تُوفي عليها وذلك هو المشار إليه بخفة الميزان .

والحبط : بطلان العمل وعدم الأجر له أي : الذين كفروا بآيات الله ، وقتلوا الأنبياء ودعاة الحق ، بطلت أعمالهم في الدنيا والآخرة ، أما بطلان عملهم في الدنيا فلأنهم فعلوا ذلك لإزالة الحق و إثبات الباطل والله تعالى فعل بهم خلاف ما أرادوه فاثبت الحق وأزال الباطل ، وأذاقهم العذاب الأليم ، وأما في الآخرة فلأنهم لا يؤجرون على أعمالهم بشيء بل يعذبون عليها وهم وقود النار(٢٩٣).

وحبط الأعمال فسادها وإزالة آثارها النافعة من ثواب ونعيم الآخرة ، وحياة طيبة في الدنيا ، وإطلاق الحَبَط على ذلك تمثيل بحال الإبل التي يصيبها الحبط وهو انتفاخ من كثرة الاكل(٢٩٤). ((فالأكل يكون سبب موتها في حين أكلت ما أكلت للالتذاذ به))(٢٩٥).

((ويريد بأعمالهم ما هم عليه من ادعائهم التمسك بالتوراة وإقامة شريعة موسى (عليه السلام) وأراد ببطلانها في الدنيا أنها لم تحقن دمائهم وأموالهم ولم ينالوا بها الثناء والمدح وفي الآخرة أنهم لم يستحقوا بها مثوبة فصارت كأنها لم تكن لان حبوط العمل عبارة عن وقوعه على خلاف الوجه الذي يستحق عليه الثواب والأجر والمدح وحسن الذكر ، وإنما تحبط الطاعة حتى تصير كأنها لم تُفعل إذا وقعت على خلاف الوجه المأمور به))(٢٩٦) .

فاستعمل الفعل حبط الذي اشتقه من الحبط الداء القاتل الذي يصيب البعير في غير ما وضع له للدلالة على فساد أعمالهم وعلى عدم الانتفاع بها في الدنيا والآخرة .

وقوله تعالى :"**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الِّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**" آل عمران (٢١) .

((تَّبَّشرَ وبَشِرَ : فرح والتبشير يكون في الخير والشر))(٢٩٧) .

((أي اخبرهم بان لهم العذاب الأليم وإنما قال بشرهم على طريق الاتساع والاستعارة ؛ والبشارة تكون في الخير و الشر لان ذلك لهم مكان البشارة للمؤمنين ؛ ولأنها مأخوذة من البشرة ، وبشرة الوجه تتغير بالسرور في الخير وبالغم في الشر .

(293) مواهب الرحمن في تفسير القران ، ٥ \ ١٩١ .
(294) ينظر: تلخيص البيان ، ١٧ .
(295) التحرير و التنوير ، ٣ \ ٦٣.
(296) مجمع البيان ، ٣ \ ٤٢٤.
(297) لسان العرب ، بشر .

ويقال : كيف قال فبشرهم وإنما قتَلَ الأنبياء أسلافهم . فالجواب : لأنهم رضوا بأفعالهم واقتدوا بهم فأجملوا معهم . وقيل معناه : بشر هؤلاء بالعذاب الأليم لأسلافهم))(٢٩٨) .

((ومادة (بشر) بمعنى الأخبار بما يظهر أثره في بشرة الوجه كما يشاهد من اخبر بموجب السرور ، فانه يظهر اثر الفرح في ظاهر الوجه . وفي الأخبار بالشر يظهر الهم والغم في ظاهره أيضا فيصح استعمال هذه المادة بحسب واقعها في كل الأخبار بموجب السرور و الغم من دون مجاز واستعارة . نعم إذا أطلقت اختصت بما يوجب السرور))(٢٩٩) .

وقيل إن التبشير إخبار بما يسر ، فلا يناسب تعلقه بالعذاب ، فعُلِم أن المراد به ضده، وهو الإنذار ، اعني الإخبار بما يحزن(٣٠٠) . فنزل التضاد منزلة التناسب تهكما فشبه الإنذار بالتبشير(٣٠١) . ((واستعير التبشير للإنذار))(٣٠٢) . ((واشتق من التبشير (بشر) بمعنى انذر ، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية التهكمية))(٣٠٣) . فصار ذكر العذاب الذي هو المجرور قرينة على انه أريد بالتبشير ضده(٣٠٤).

يعد الفعل بشر من افعال الجوارح التي يظهر اثرها في ابرز جوارح الانسان الا وهو الوجه سواء أكان هذا الاثر فرحاً ام حزناً ، مع العلم ان الفعل بشر وضع اول ما وُضِع للإخبار بالأمور السارة ، إلا أن القران جاء به للتعبير عن نزول العذاب تعبيرا على سبيل السخرية والتهكم ؛ ((وما ذاك ألا لأن المنافقين أوهموا المؤمنين بأنهم امنوا بالظاهر وكفروا بالسر فجئ بلفظ (البشارة) إيهاما لهم بشئ ، ثم مفاجأتهم بالعذاب الأليم))(٣٠٥) لان ((البشارة انما يصح التعبير بها في مواطن الخير والكرامة ، لا في مظاهر الشدة والعناء ، وليس العذاب من مواطن الخير ، حتى يبشر به العاصي ، ولكنه تعالى اطلقه عليه تجوزاً من باب اطلاق اسم أحد الضدين على الآخر للنكاية والتشفي ، او السخرية والتهكم ، وكلاهما يأتيان هنا لتأكيد وقوع العذاب دون شك))(٣٠٦).

وقوله تعالى :"....... **فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**

---

(298) مجمع البيان في تفسير القران ، ٣ \ ٤٢٣ .

(299) مواهب الرحمن في تفسير القران ، ٥ \ ١٩٠-١٩١.

(300) ينظر: التحرير و التنوير ، ٣ \٦٣.

(301) ينظر: معترك الإقران في إعجاز القران ، ٢٨٣\١.

(302) بناء الصورة الفنية في البيان العربي / ٣٢٥.

(303) الإيضاح في علوم البلاغة .

(304) ينظر : أساليب البيان في القران ، ٥٨١_٥٨٢

(305) التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني ـ جنان منصور كاظم / رسالة دكتوراه / كلية التربية جامعة بغداد ٢٠٠٥ ص٧٥ – وتلخيص البيان ، ٣١-٣٢

(306) مجاز القرآن ، خصائصه الفنية وبلاغته العربية ، ١٤٧ .

يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " المائدة (٥٤) .

((محبة الله للعبد إنعامه عليه. ومحبة العبد له طلب الزلفى لديه))[٣٠٧] . وقيل محبة

الله عبده رضاه عنه وتيسير الخير له ، ومحبة العبد ربه انفعال النفس نحو تعظيمه والإنس بذكره وامتثال أمره والدفاع عن دينه . فهي صفة تحدث للعبد من كثرة تصور عظمة الله تعالى ونعمه حتى تتمكن من قلبه فمنشؤها السمع والتصور وليس هي كمحبة استحسان الذات[٣٠٨].

وهذه استعارة لان الحب الذي هو ميل الطبائع لا يجوز على القديم تعالى ، والمعنى يريد إثابتهم في الآجل وكرامتهم في العاجل ، ومعنى محبتهم له تعالى أنهم يريدون تعظيمه ويقصدون تمجيده ويقومون بلوازم طاعته ووظائف عبادته[٣٠٩].

فحب الله تعالى عباده ليس حبا تقليديا ، بل هو حبٌ خاص يتمثل في رضاه عنهم وإثابتهم وتيسير الخير لهم ، وحبهم له الذي هو احد افعال الجوارح والمتعلقة بالقلب وميله الوجداني كذلك حب مميز يتجسد في إخلاصهم في العبادة وتفانيهم في الطاعة ، وبهذا خرج معنى الفعل (أحب) إلى معانٍ مجازية إضافية .

وقوله تعالى : "..... رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ" يونس ٨٨

((طمس :الطُموس : الدَروس والانمحاء . وطَمِسَ الطريق درس وأمحي أثره))[٣١٠].

((الطمس : أيضاً، إزالة الأثر بالمحو ، واطمس على أموالهم ، أزل صورها))[٣١١].

((وهذه استعارة لان حقيقة الطمس محو الأثر من قولهم طمست الكتاب إذا محوت سطوره فكأن موسى (عليه السلام) إنما دعا الله سبحانه بان يمحو معارف أموالهم بالمسح لها حتى لا يعرفوها ولا يهتدوا إليها وتكون منقلبة عن حال الانتفاع بها لان الطمس يغير حال الشئ الى الدثور والدروس[٣١٢].

((والمراد بالطمس على الأموال تغيرها عن جهتها إلى جهة لا ينتفع بها وقيل صارت جميع أموالهم حجارة حتى السكر والفانيد*))[٣١٣] .

وهذا نتيجة الدعاء عليهم بالخذلان وان يخلى بينهم وبين ضلالتهم

---

(307) المفردات، ١٤٠.
(308) ينظر : تفسير ابن كثير ، ١٤١/٣ .
(309) ينظر : الكشاف ، ٦ /٢٩٦ ، وتلخيص البيان ، ٣١-٣٢.
(310) لسان العرب ، طمس.
(311) المفردات، ٣١٦.
(312) تلخيص البيان ، ٧٠-٧١.
* ضرب من الحلوى ، فارسي معرب ، ينظر : مجمع البيان : ١٣٠/١١ .
(313) مجمع البيان ، ١١ / ١٣٠ .

يتسكعون فيها لان لم تزدهم نصائح موسى (عليه السلام) ومواعظه إلا كفرا وإنذاره إلا استكبارا ولم يبقَ له مطمع فيهم(٣١٤).

فالطمس المحو والإزالة ، فالطمس هو المحو وازالة الآثار ، وهو احد افعال الجوارح التي يتم بموجبها القضاء على الاشياء ، فطمس الأموال إتلافها وإهلاكها ، أي انه خرج من معناه اللغوي إلى معنى مجازي يتضمن الدعاء على أموالهم بالمسح لأنها سبب طغيانهم وتمردهم .

وقوله تعالى : "وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ" يونس (٨٨) .

((الشدة : الصلابة ، وهي نقيض اللين تكون في الجواهر والإعراض ، ومعنى اشدد على قلوبهم أي أطبع و اختم))(٣١٥) .

((وقيل : شدّ : الشد : العقد القوي ، يقال شددت الشئ قويت عقده ، والشدة تستعمل في العقد وفي البدن وفي قوى النفس وفي العذاب))(٣١٦) .

((ومعنى "اشدد على قلوبهم" ثبتهم على المقام ببلدهم بعد إهلاك أموالهم فيكون ذلك اشد عليهم ، وقيل معناه أمتهم بعد سلب أموالهم وأهلكهم ، وقيل انه عبارة عن الخذلان والطبع(٣١٧) . أو ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلاّلاً ، وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا لان معنى الشد على القلوب ألاستيثاق منها حتى لا يدخلها الإيمان(٣١٨) .

((وقيل ان(اشدد) استعارة : أما أن يكون المراد بها ما يراد بالختم والطبع لان معنى الشد يرجع إلى ذلك أو يكون المراد بها تثقيل العقاب على القلوب بالإيلام لها ومضاعفة الغم والكرب عليها ويكون ذلك على معنى قول النبي (صلى الله عليه واله) اللهم اشدد وطأتك على مضر أي : أغلظ عليهم عقابك وضاعف عليهم لأواءك))(٣١٩) .

((وقيل إن اشدد مشتق من الشد ، وهو العسر . ومنه الشدة للمصيبة والتحرج ولو أريد غير ذلك لقيل : وأطبع ، أو وأختم ، أو نحوها ، فيكون شد بمعنى ادخل الشد أو استعمله مثل جد في كلامه ، أي : استعمل الجد ، وحرف على مستعار لمعنى الظرفية استعارة تبعية لإفادة تمكن الشدة(٣٢٠) .

---

(314) ينظر: الكشاف ، ١١ / ٤٧٢.
(315) لسان العرب ، شدد.
(316) المفردات، ٢٦٣.
(317) مجمع البيان ، ١١ /١٣٠.
(318) ينظر الكشاف ، ١١ / ٤٣٢.
(319) تلخيص البيان ، ٧١
(320) التحرير والتنوير ، ١١ / ١٦٦

"واشدد" واحد من افعال الجوارح الذي يشير معناه اللغوي الى استعمال القوة مع الاشياء ، وفي اثباتها والمبالغة في التعامل معها بشدة ، وقد اخذ هذا المعنى واستعمل في معنى آخر وهو المبالغة في انزال العقاب المادي والمعنوي في قوم موسى (عليه السلام) بعدما خالفوه ولم يسمعوا له ولم يجيبوا دعوته وبهذا فقد خرج معنى الفعل (أشدد) الذي هو العقد القوي إلى أكثر من معنى مجازي فقد دل على عدم دخول الإيمان في قلوب المشركين بعد الشد عليها والاستيثاق منها ، أشدد عليها بعذاب يسلبهم راحتهم وأمانهم ، أو تثبتهم في أماكنهم بعد إهلاك أموالهم وذلك ليصل عذابهم أقصى ما يصله من شدة وقسوه.

وقوله تعالى :"**ما كان لنبيٍّ أن يكون له أسرى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**"الانفال (٦٧) .

((ثخن : ثُخُن الشئ ثخونة وثخانة وثخناً فهو ثخين : كثف وغلظ وصلب والثخَنَ : اذ غَلَبَ وقَهَرَ))[٣٢١] . ويقال ثخن فهو ثخين إذا غلُظ فلم يَسلْ ولم يَستَمرَّ في ذهابه ، ومنه استعير قولهم أثخنته ضرباً واستحقاقاً[٣٢٢] .

والإثخان : الشدة والغلظة في الأذى . يقال أثخنته الجراحة وأثخنه المرض ، إذا ثقل عليه[٣٢٣] . وقد شاع إطلاقه على شدة الجراحة على الجريح . وقد حمله بعض المفسرين في هذه الآية على معنى الشدة والقوة . فالمعنى : حتى يتمكن في الأرض ، أي يتمكن سلطانه وأمره[٣٢٤].

والمراد بـ (يثخن في الأرض) احد افعال الجوارح الذي يدل على تغليظ الحال ، وكثرة القتل ؛ وذلك مأخوذ من الثخانة ، وهو الغلظ ، والثخانة في الأجسام . ((ثم استعير للمبالغة في القتل والجراحة ، لأنها لمنعها من الحركة صيرته كالثخين ، الذي لا يسيل))[٣٢٥] .

وقيل معناه : أي : ((حتى يبالغ في قتل المشركين وقهرهم ليرتدع بهم من ورائهم ، وقيل الإثخان الغلبة على البلدان والتذليل لأهلها يعني حتى يتمكن في الأرض))[٣٢٦] .

وهنا استعير الفعل (يُثخن) للدلالة على التمكن والقوة في الارض وبلوغ

---

(321) لسان العرب ، ثخن.
(322) المفردات، ٧٥.
(323) بنظر : تلخيص البيان ، ٥٧.
(324) ينظر : تفسير ابن كثير ، ٧٤/٤ .
(325) أساليب البيان ٦٧٤.
(326) مجمع البيان ، ١٠ /٥٥٨.

النبي (صلى الله عليه واله) الشدة والقوة اللازمة للغلبة على المشركين ، وقوة سلطانه عليهم وهو بذلك خروج للفعل عن معناه الحقيقي الى معنى مجازي ادى كل تلك المعاني المتقدمة .

وقوله تعالى :"وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ"هود (٩) .

((ذاق الشئ يذوقه ذَوْقاً وذواقاً ومذقاً ، المذاق طعم الشئ ، والذوق يكون فيما يكره ويحمد))[٣٢٧] .

((والذوق وجود الطعم بالفم واصله فيما يقلَّ تناوله دون ما يكثر، فان ما يكثر يقال له الأكل ، واختير في القرآن لفظ الذوق في العذاب لان ذلك وان كان للتعارف للقليل فهو مستصلح للكثير فخصَّه بالذكر ليعم الأمرين وكثر استعماله في العذاب ، وهنا استعمل في الرحمة الإذاقة وفي مقابلها الإصابة تنبيها بان الإنسان بأدنى ما يعطى من النعمة يأشر ويبطر))[٣٢٨] .

وقيل : الذوق تناول الشئ بالفم لإدراك الطعم وسمى الله تعالى إحلال اللذات بالإنسان إذاقة لسرعة زوالها تشبيها بما يذاق ثم يزول ، ثم بين سبحانه حال الإنسان فيما قابل به تعمه من الكفر وقال :"وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ" (هود : ٩٠) أي أحللنا به نعمة من الصحة والكفاية والسعة من الحال والولد وغير ذلك من نعم الدنيا[٣٢٩] .

والإذاقة مستعملة في إيصال الإدراك على وجه المجاز ، واختيرت مـــــادة الإذاقة لمن شُعر به من إدراك أمر محبوب لان المرء لا يذوق إلا ما يشتهيه[٣٣٠] .

وهذه استعارة لان إذاقة الرحمة ليس بحقيقة هنا ، وإنما المراد بذلك إنا إذا رحمنا الإنسان بعد توبته من مواقعه بعض الذنوب إذا أخلص العبد فيها واتى بشروطها وحدودها فأنعمنا عليه في السراء والرخاء ، فمعنى أذقنا الإنسان منا رحمة أي :عرفناه إنا قد رحمناه إذ أوجبنا قبول توبته[٣٣١] .

فالفعل ذاق هنا الذي هو احد افعال الجوارح يدل معناه اللغوي على الاحساس بطعم الاشياء بالفم وقد خرج إلى معنى إحساس الإنسان برحمة ربه بعد إن كان بعيدا عنها أو تقلبه في السراء والنعمة التي أنعمها الله عليه وفي هذا الاستعمال تلميح إلى سرعة زوال تلك النعم لأنه سرعان ما يقابلها بالجحود والعصيان والأشر والبطر فتزول

---

(327) لسان العرب ، ذوق .
(328) المفردات، ١٨٦.
(329) ينظر : مجمع البيان ، ١٤٥/٨.
(330) التحرير والتنوير، ٢١٢/١١.
(331) ينظر : تلخيص البيان ، ٧٣.

لعدم استحقاقه استمرارها أي انه خرج الى معنى مجازي وهو شعور الانسان برحمة ربه بعد ان كان بعيداً عنها .

وقوله تعالى :"**ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ**" هود (٩) .

((نزع الشئ ينزعهُ نزعاً فهو منزوع وانتزعه فانتزع ، اقتلعه فاقتلع))[٣٣٢] .

((ونَزَع الشئ جَذَبَهُ من مَقرِّه كنزع القوس عن كبده ويستعمل ذلك في الأعراض))[٣٣٣].

((والنزع حقيقته : خلع الثوب عن الجسد . واستعمل هنا في سلب النعمة على طريقة الاستعارة ، ولذلك عُدّي بحرف (من) لان المعنى على السلب والافتكاك ، فذكر (من) تجريد للمجاز[٣٣٤] .

ونزعناه : أي: سلبناه تلك النعمة إذا رأينا المصلحة في ذلك[٣٣٥] .

فقد استعمل الفعل نزع هنا لسلب النعمة (نعمة التوبة) التي مَنَّ الله تعالـــى بها على عباده بعد عودتهم لاقتراف الذنوب ، وقد جاء الفعل نزع مطابقاً تماما للمعنى المراد ؛ لأنه أدل فعل على تجريد العاصي من رحمة الله وبروزه للعقاب هو الفعل نزع بوصفه احد افعال الجوارح الدالة على القيام او الحفظ والمراعاة بحسب معناه اللغوي للمشابهه بين نزع الساتر الواقي للبدن بنزع الرحمة الواقية للعبد من عقاب خالقه وسخطه عليه وبهذا فقد خرج معنى الفعل (نزع) الى معنى مجازي هو سلب نعمة التوبة عن العبد العاصي وهو بالتأكيد معنى بعيد عن معناه اللغوي : جذب الشيء من قعره .

وقوله تعالى :"**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ**"المائدة ٦٦.

قوَمَ : يقال قام يقوم قياماً فهو قائم وجمعه قيام ، واقامة غيره . والقيام للشئ هو المراعاة له والحفظ له[٣٣٦] . واقام الشئ : وفاه حقه[٣٣٧] .

وهذه استعارة لان التوراة لا يصح عليها القيام وإنما المراد : ولو إنهم نفذوا حكمها واتبعوا نهجها وعملوا بما فيها ولم يحرفوا كلمها[٣٣٨]. من قولهم اقام فلان قناة الدين إذا حكم بالعدل وأمر بالحق[٣٣٩].

---

(332) لسان العرب ، نزع .
(333) المفردات، ٣٨٨.
(334) التحرير والتنوير ، ٢١٣/١١.
(335) ينظر : الكشاف ، ٤٧٨/١٢، وينظر : مجمع البيان ١٤٥/١٢ .
(336) المفردات، ٤٣١.
(337) ينظر: لسان العرب ، قوم.

((وقيل معنى إقامة التوراة هو عملوا بما فيها بان أقاموها نصب أعينهم لئلا يزّلوا في شئ من حدودهما))[٣٤٠] .

وقيل : استعيرت الإقامة لعدم الإضاعة لان الشي المضاع يكون مُلقى ، ولذلك يقال له : شئ لقى ، ولأن الإنسان في حال قيامه اقدر على الأشياء فلذا قالوا : قامت السوق ، فيجوز أن يكون معنى إقامة التوراة والإنجيل إقامة تشريعهما قبل الإسلام ، فاليهود امنوا بالتوراة ولم يقيموا أحكامها وكفروا بالإنجيل ورفضوه وذلك اشد في عدم إقامته ، ويحتمل أن يكون المراد : لو أقاموا هذه الكتب بعد مجئ الإسلام ، أي بالاعتراف بما في التوراة والإنجيل من التبشير ببعثة محمد (صلى الله عليه واله) حتى يؤمنوا به وبما جاء به[٣٤١] .

إذن فقد انتقل معنى الفعل (أقام) الذي هو احد افعال الجوارح الدالة على القيام او الحفظ والمراعاة بحسب معناه اللغوي إلى معنى آخر هو المحافظة على الأمور وعدم إضاعته وهنا خرج إلى معنى تنفيذ الأحكام الكتابيين المجيدين والعمل بما جاء فيهما من أحكام بما في ذلك الإيمان بالنبي محمد(صلى الله عليه واله).

وقوله تعالى :"وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ" التوبة (١٢) .

((نكث : النكث : نقض ما تعقده وتصلحه من بيعة وغيرها ، نكثة ينْكُثُه نِكْثا فانكث وتناكث القوم عهودهم نقضوها[٣٤٢]. ((والنكث نكث الاكسية والغزل قريب من النقض واستعير لنقض العهد))[٣٤٣] .

((وعبر عن نقض العهد بنكث الايمان تشنيعاً للنكث ، لان العهد كان يقارنه اليمين على الوفاء ولذلك سمي العهد حلفاً))[٣٤٤].

والآية حكاية عن حال المشركين الذين نكثوا عهودهم في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحاً لعادات الكرام الأوفياء من العرب ، ثم امنوا وأقاموا الصلاة واتوا الزكاة ثم رجعوا فارتدوا عن الإسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الإيمان والوفاء بالعهود[٣٤٥].

---

(338) ينظر : الكشاف ، ٣٠٠/٦

(339) ينظر : تلخيص البيان ، ٣٢

(340) مجمع البيان ، ٢٥/٦

(341) ينظر : تفسير ابن كثير ، ٧٣/١٢ .

(342) لسان العرب ، مادة نكث .

(343) المفردات، ٥٢٦ ،وينظر :مجمع البيان ، ١١/١٠

(344) التحرير والتنوير ، ٣٥/١٠

(345) ينظر: الكشاف ، ٤٢٥/١٠

فالفعل نكث يدل معناه اللغوي على النقض الذي هو ضد الإبرام ، ولكنه هنا استعمل مجازاً ليدل على عدم التزام المشركين بما بايعوا عليه النبي (صلى الله عليه واله) من العهود والمواثيق المتفق عليها اوعدم التزامهم بالإسلام الذي أظهروه كدين لهم .

وقوله تعالى :"....وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ"التوبة ١٢

طعن : الطعن : الضرب بالرمح وبالقرن وما يجري مجراهما ، وتطاعنوا واطعنوا[٣٤٦].((واستعير للوقيعة))[٣٤٧] .

وهذه استعارة ، لان الطعن وخز الشئ بالرمح وما يجري مجراه من الآلات الحديدية لنقض بنيته وإفساد جملته ليكون بمعنى طعنهم في الدين والله اعلم ينقسم على قسمين : احدهما : يراد به حربهم المؤمنين لينقضوا دينهم ويميتوا شريعتهم .

والوجه الثاني : أن يكون المراد به بسط ألسنتهم في ذم الدين ورميه بالوصوب وذلك يسمى طعنا على الاتساع والمجاز[٣٤٨].

وفي كلا الحالين فان الفعل طعن يعد احد افعال الجوارح التي يقصد منها ايقاع الضرر على المسلمين ، سواء أكان ذلك الضرر مادياً وذلك باعلان الحرب عليهم أم معنوياً متجسداً بالانتقاص من دينهم وقيل : ((عابوه وقدحوا فيه. وثلبوه وعابوه))[٣٤٩] ، ((وقيل إذا طُعن الذمي في دين الإسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقودة معه على أن لا يطعن ، فإذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة))[٣٥٠] .

فالطعن حقيقته خرق الجسم بشئ محدد كالرمح ، ويستعمل مجازا بمعنى الثلب والنسبة إلى النقص ، ((بتشبيه عِرض المرء الذي كان ملتئما غير منقوص بالجسد السليم فإذا أظهرت نقائصه بالثلب والشتم شُبّه بالجلد الذي افسد التحامه))[٣٥١] ، وهكذا استعمله القران لمن حاول ذم الإسلام ونسب النقص والعيب له.

وقوله تعالى :"فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ"النحل (١١٣) .

---

(346) ينظر: لسان العرب ، طعن .
(347) المفردات، ٣١٤.
(348) ينظر: تلخيص البيان ،.٥٨.
(349) مجمع البيان ، ١٠/١٠.
(350) الكشاف ، ٤٢٥/١٠
(351) التحرير والتنوير ،٣٥/١٠

الإذاقة : حقيقتها : إحساس اللسان بأحوال الطعوم . وهي مستعارة هنا وفي مواضع من القرآن إلى إحساس الألم والأذى إحساسا مكينا لتمكن ذوق الطعام من فم ذائقه يجد له مدفعا .

واللباس : حقيقته الشئ الذي يلبس . وإضافته إلى الجوع والخوف قرينة على انه مستعار إلى ما يغشى من حالة إنسان ملازمة له كملازمة اللباس للألبسة(٣٥٢).

ولما كان اللباس مستعاراً لإحاطته ما غشيهم من الجوع والخوف وملازمته ، أريد إفادة إن ذلك الحال مشتمل عليهم كاشتمال الملابس على الجلود لان ما يظهر منهم من مضيض الجوع واليم الخوف من سوء الأحوال وشحوب الألوان وضئولة الأجسام كاللباس الشامل لهم والظاهر عليهم(٣٥٣).

وشبه الإصابة . وهي ما يدرك من اثر الضرر والألم الحاصل بسبب الجوع ؛ بالإذاقة وهو ما يدرك من طعم المر بالفم ، فاستعيرت الإذاقة للإصابة(٣٥٤) ، واو ثرت للدلالة على شدة التأثير التي تفوق لو استعملت الإصابة . ووجه الشبه بينهما الكراهة والنفرة فهي استعارة تصريحية من باب استعارة المحسوس للمعقول(٣٥٥).

فاستعمال الذوق مع اللباس من اجل انه أريد به التجربة والاختبار ، أي فجعلها بحيث تمارس الجوع والخوف ، وقيل: إن ذلك على تقدير كأنه قال : أذاقها طعم الجوع والخوف والبسها لباسهما(٣٥٦).

((أي فأخذهم الله بالجوع والخوف بصنيعهم وسوء فعالهم وسمي اثر الجوع والخوف لباسا لأنه شملهم كما يشمل اللباس البدن))(٣٥٧) .

((والإذاقة واللباس استعارتان ، والإذاقة المستعارة موقعه على اللباس المستعار ، ووجه الصحة في ذلك ، لان الإذاقة عندهم قد جرى مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون : ذاق فلان البؤس والضر ، وأذاقه العذاب ، شبه ما يدرك من اثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المرّ والبشع ، وأما اللباس التبس به من بعض الحوادث ، وأما إيقاع الإذاقة على إلباس الجوع والخوف ؛ فلأنه لما وقع عبارة عما يغشي منها ويلابس فكأنه قيل ، فأذاقهم ماغشيهم من الجوع والخوف(٣٥٨).

والفعل ذاق بوصفه احد افعال الجوارح الدالة على تمام الاحساس بالاشياء انسب الافعال للتعبير عما يصيب الذين يتعرضون لعذاب الله سبحانه .

---

(352) ينظر : تفسير القرطبي ، ١٢ : ٢٤٣ .
(353) ينظر : تلخيص البيان ، ١١٢.
(354) ينظر : معترك الاقران في اعجاز القرآن، ٤٣٣/١.
(355) ينظر : اساليب البيان ، ٥٩٥.
(356) ينظر : الايضاح في علوم البلاغة ، ٤٣٣/١.
(357) مجمع البيان ، ٣٩٠/١٤.
(358) الكشاف ، ٥٨٦/١٤.

إذاً فقد عبر القرآن هنا بالإذاقة لان أثرها في النفس أعمق من اثر الكسوة ، ((وعبر باللباس لان أحاطته أعظم من إحاطة الطعم))[٣٥٩] . ولهذا عدل عن المعنى اللغوي لكلا اللفظين فخرج معنى الفعل (ذاق) إلى معانٍ مجازية تتضمن الترهيب والتنفير في العقاب النازل بهم .

---

(359) **البلاغة العربية / البيان والبديع ، ناصر حلاوي ،٨٤.**

البابالثاني الفصل الاول
النظربه السياقيه

الانتقال الدلالي او ما يسمى بالحقيقة والمجاز :

الحقيقة :

ذكر ابن جني ان ((الحقيقة : ما اقر في الاستعمال على اصل وضعه في اللغة))[٣٦٠] وقال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) ((فالحقيقة الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم ولا تأخير))[٣٦١] .

المجاز :

المجاز لغة من ((جزت الطريق ، وجاز الموضع جوازاً ... وجاوزت الموضع جوازاً بمعنى جزته . والمجاز والمجازة : الموضع))[٣٦٢] من ذلك قال فيه عبد القاهر الجرجاني (ت : ٤٧١هـ) من قبل ((المجاز مفعل من جاز الشيء يجوزه اذا تعداه واذا عدل باللفظ عما يوجبه اصل اللغة ، وصف بانه مجاز على معنى انهم جازوا به موضعه الاصلي او جاز هو مكانه الذي وضع فيه اولاً))[٣٦٣] ولا يعني ذلك عنده الطلاق والقطيعة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لذا قال ((ثم اعلم بعد ان في اطلاق المجاز على اللفظ المنقول عن اصله شرطاً وهو ان يقع على وجه لا يعرى معه من ملاحظة الاصل))[٣٦٤] وقد بلغ مصطلح المجاز لدى عبد القاهر مدى بعيداً ، تنظيراً وتطبيقاً في اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ، فذكر ان الذي ((يعمد على نقل اللفظ عن اصله في اللغة الى غيره ويجوز به مكانه الاصلي الى مكان آخر لاجل الاغراض ، التشبيه والمبالغة والاختصار))[٣٦٥] في حين ذكر ابن جني من قبل (انما يقع المجاز ويعدل اليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي : الاتساع والتوكيد والتشبيه . فان عدم هذه الاوصاف كانت الحقيقة البتة)[٣٦٦] ومثل لذلك بقوله تعالى : "وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا" الانبياء (٧٥) ، فهو مجاز وفيه الاوصاف الثلاثة .

((اما السعة فلأنه كأنه زاد في اسماء الجهات والمحال اسماً هو الرحمة . واما التشبيه فلأنه شبه الرحمة – وان لم يصح دخولها – بما يجوز دخوله . فلذلك وضعها

---

(360) الخصائص ، ٤٤٤/٢ وينظر : المثل السائر ، ٥٩/١ .

(361) الصاحبي ، ١٩٧ .

(362) لسان العرب : جوز .

(363) اسرار البلاغة ، ٣٤٢ وينظر : نهاية الانجاز في دراية الاعجاز ، ٨١ ، والابهاج في شرح المنهاج ، ٢٧٣/١ .

(364) نفسه ، ١٥٢ .

(365) نفسه ، ٢٠٨-٢٠٩ .

(366) الخصائص ، ٤٤٤/٢ .

موضعه . واما التوكيد فلأنه اخبر عن العرض بما يخبر به عن الجوهر . وهذا تعال بالعرض وتفخيم له ، اذ صير الى حيز ما يشاهد ويلمس ويعاين))[٣٦٧] .

وكان النص القرآني مجالهم الرحب للتطبيق ، اذا استقرأوا آيات التنزيل مبينين ما ورد فيها مجازاً وفي ذلك دلالة جلية على وقوع المجاز في القرآن الكريم .

الفعل بين الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم :

المجاز من الفنون الاصيلة في لغة العرب ، ورد ذلك في شعرهم ونثرهم قبل الاسلام وبعده ، لذا سميت ((اللغة العربية لغة المجاز))[٣٦٨] لا لكثرة التعبيرات المجازية فيها فحسب وانما سميت ((بلغة المجاز لانها تجاوزت بتعبيرات المجاز حدود الصور المحسوسة الى حدود المعاني المجردة ، فيستمع العربي الى التشبيه فلا يشغل ذهنه باشكاله المحسوسة الا ريثما ينتقل منها الى المقصود من معناه فالقمر عنده بهاء والزهرة نضارة ، والغصن اعتدال ورشاقة ، والطور وقار وسكينة))[٣٦٩] ولا ريب في ان يكون المجاز من سمات لغة التنزيل ، وقد نزل بلسان عربي مبين . وليس من نافلة القولة ان نشير الى ان المجاز عند الرواد الاوائل من اللغويين – ولا سيما مجاز القرآن – لا علاقة له بالمجاز الاصطلاحي ، فمجاز القرآن لابي عبيدة المتوفى ٢١٠هـ ((عالج فيه كيفية التوصل الى فهم المعاني القرآنية باحتذاء اساليب العرب في كلامهم وسننهم في وسائل الابانة عن المعاني ، ولم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة ، وانما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية))[٣٧٠] وهو ما اشار اليه ابو عبيدة بقوله ((وفي القرآن ما في الكلام العربي من وجوه الاعراب ، ومن الغريب والمعاني))[٣٧١] وهذا لا يعني ان اسلوب المجاز لم يكن في القرآن الكريم وفي كلام العرب ، لاغفاله مصطلحاً ، بل ان اسلوب الحقيقة والمجاز كان معروفاً ومستعملاً .

ان كثيراً من الالفاظ قد اصابها التطور مع الزمن ، وتغير في صورتها حيناً ، وفي دلالتها حيناً آخر ، فتطور الدلالة ظاهرة شائعة في كل اللغات يلمسها كل دارس لمراحل نمو اللغة واطوراها التأريخية وهي ظاهر طبيعية دعت اليها الضرورة الملحة .

ويعد تطوير مجرى الدلالة او ما يسمى (بالحقيقة والمجاز) من اهم مظاهر النضج في دلالة الالفاظ فقد كثر كلام القدماء عن ما يسمى بالحقيقة والمجاز ، فوصفوا الحقيقة بانها الدلالة الاصلية للفظ من الالفاظ ، وان المسؤول عنها هو الواضع الاول للغة ، والحقيقة ايضاً هي الاستعمال الشائع المألوف للفظ من الالفاظ ، اما المجاز فهو الانحراف عن ذلك المألوف الشائع ، ويتزامن مع اثارة الدهشة او الغرابة او الطرافة في ذهن السامع[٣٧٢] .

فقد يشيع استعمال لفظ في جيل من الاجيال للدلالة على معنى معين ، وكلما ذكر اللفظ خطرت الدلالة نفسها في الاذهان دون غرابة او دهشة وهذا ما يسمى بالحقيقة ،

---

(367) نفسه ، ٤٤٥/٢ .

(368) اللغة الشاعرة ، ٢٦ .

(369) نفسه ، ٢٦ .

(370) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ١٩٣/٣ .

(371) مجاز القرآن، أبو عبيدة ، ٨/١ وينظر : من وحي القرآن ، ١٦ .

(372) ينظر: دلالة الالفاظ، ١١٠.

فاذا انحرف به الاستعمال في مجال آخر ، فأثار في الذهن غرابة او طرافة قيل حينئذ انه من المجاز(٣٧٣) .

وقد لا تدعو الضرورة الى مثل هذا الانحراف بالالفاظ ، ومع هذا يلجأ كثير من الناس الى الخروج بالالفاظ عن مألوفها رغبة في التعبير ، وابتعاداً عن الاستعمال الشائع ولزيادة التوضيح وتجلية الدلالة وبذلك يتكون نوع من المجاز الذي لا ينتمي الى فرد معين بقدر ما ينتمي الى بيئة معينة او وسط معين ويضل يدور على الالسنة حتى يصبح من المألوف او ما يسمى بالحقيقة(٣٧٤) .

وقد يتفق مجموعة من الادباء والشعراء واصحاب البلاغة واللسن على الانحراف بمجموعة من الالفاظ عن عمد وقصد الى مجال آخر ويعتمد هذا الانحراف وطرافته على مهاراتهم وما تبتدعه قرائحهم وذائقتهم الفنية وقد يتحول هذا المجال بعد مدة من الزمن الى حقيقة نظراً لشيوعه وألفة السامعين له ، ويفقد ما لازمه من الطرافة والجدة(٣٧٥) .

فالمجاز القديم مصيره الى الحقيقة ، والحقيقة القديمة قد يكون مصيرها الى الزوال والاندثار وتبقى الالفاظ اذا قدر لها البقاء تنتقل من مجال الى آخر جيلاً بعد جيل وذلك هو التطور الدلالي . وذلك ما هو واضح في :

قوله تعالى: "**.....وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**" أل عمران ٧٧

((نظر: النظر حس العين ، والنَّظرة : الرحمة ومعنى لا ينظر إليهم أي لا يرحمهم ومعنى النظر ألإحسان و الرحمة والعطف وترك النظر دليل البغض والكراهة(٣٧٦).

---

(373) ينظر علم الدلالة العربي، ٢٥٥.
(374) دلالة الألفاظ، ١٢٥.
(375) نفسه، ١٢٦.
(376) لسان العرب ، نظر .

((والنظر ايضاً :تقليب البصر والبصيرة لا دراك الشئ ورؤيته ، وقد يراد به التأمل والفحص . ونظر الله تعالى إلى عباده : هو إحسانه إليهم وإفاضة نعمه عليهم))[٣٧٧].

((ومعنى لا ينظر إليهم : لا يعطف عليهم ولا يرحمهم كما يقول القائل لغيره انظر إلي يريد ارحمني وفي ذلك دليل على أن النظر إذا عُديّ بحرف(إلى) لا يفيد الرؤية لأنه لا يجوز حملها هنا على انه لا يراهم بلا خلاف[٣٧٨].

((فنظره سبحانه : عطف ورحمة في يوم القيامة . وعدم النظر كناية عن الإعراض عنهم والغضب عليهم والبعد عنهم ؛ لعدم حب الله تعالى لهم الذي كرّم به عباده المؤمنين بعهده المتقين في دينه ، وفي تخصيص هذا الأمر بيان منتهى الغضب وعدم الاعتناء في وقت يشتد احتياج الانسان إلى نظر الله إليه لعِظم محنته وبإنتفائه لا يبقى له أمل و رجاء في الشدائد والأهوال))[٣٧٩]. ((وعدم النظر : مجاز عن الاستهانة بهم و السخط عليهم ، تقول : فلان لا ينظر إلى فلان ، تريد نفي اعتداده به وإحسانه إليه))[٣٨٠]

وقيل إن هذه استعارة ، وحقيقتها و لا يرحمهم الله يوم القيامة ، كما يقول القائل لغيره إذا استرحمه انظر إلي نظرة لان حقيقة النظر هو تقليب العين الصحيحة في جهة المرئي التماساً لرؤيته وهذا لا يصح إلا على الأجسام ومن يدرك بالحواس ويوصف بالحدود والأقطار وقد تعالى عن ذلك علواً كبيراً[٣٨١].

وبهذا الاستعمال خرج معنى الفعل (نظر) الذي هو عمل الجارحة المبصرة إلى معنى مجازي وهو شمول الرحمة والإحسان والإقبال على العبد ونفي النظر نفي الاعتداد به والإعراض عنه وعدم العطف عليه.

وقوله تعالى :"**أُولَـئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ**" آل عمران (٢٢) .

((الحبط : وجع يأخذ البعير في بطنه من كلأ يستبوله))[٣٨٢] . ((وقيل ان أصل الحَبط ، أن تكثر الدابة أكلاً حتى ينتفخ بطنها))[٣٨٣].

((وحَبطُ العمل على أضرب : احدهما أن تكون الأعمال الدنيوية فلا تغني في القيامة غناءً.

والثاني : أن تكون أعمالاً أخروية لكن لم يقصد بها صاحبها وجه الله تعالى .

---

(377) المفردات، ٥١٨.
(378) مجمع البيان ، ٣ \ ٤٦٤ .
(379) مواهب الرحمن في تفسير القران ، ٦ \ ٨٢ .
(380) الكشاف ، ٣ \ ١٧٨.
(381) ينظر: تلخيص البيان ، ١٩٠،وينظر : التحرير والتنوير، ٣ \ ١٣٦.
(382) لسان العرب ، حبط .
(383) المفردات ، ١٠٤-١٠٥ .

والثالث : أن تكون أعمالاً صالحة ولكن بإزائها سيئات تُوفي عليها وذلك هو المشار إليه بخفة الميزان .

والحبط : بطلان العمل وعدم الأجر له أي : الذين كفروا بآيات الله ، وقتلوا الأنبياء ودعاة الحق ، بطلت أعمالهم في الدنيا والآخرة ، أما بطلان عملهم في الدنيا فلأنهم فعلوا ذلك لإزالة الحق و إثبات الباطل والله تعالى فعل بهم خلاف ما أرادوه فاثبت الحق وأزال الباطل ، وأذاقهم العذاب الأليم ، وأما في الآخرة فلأنهم لا يؤجرون على أعمالهم بشيء بل يعذبون عليها وهم وقود النار[٣٨٤].

وحبط الأعمال فسادها وإزالة آثارها النافعة من ثواب ونعيم الآخرة ، وحياة طيبة في الدنيا ، وإطلاق الحَبَط على ذلك تمثيل بحال الإبل التي يصيبها الحبط وهو انتفاخ من كثرة الاكل[٣٨٥]. ((فالأكل يكون سبب موتها في حين أكلت ما أكلت للالتذاذ به))[٣٨٦].

((ويريد بأعمالهم ما هم عليه من ادعائهم التمسك بالتوراة وإقامة شريعة موسى (عليه السلام) وأراد ببطلانها في الدنيا أنها لم تحقن دمائهم وأموالهم ولم ينالوا بها الثناء والمدح وفي الآخرة أنهم لم يستحقوا بها مثوبة فصارت كأنها لم تكن لان حبوط العمل عبارة عن وقوعه على خلاف الوجه الذي يستحق عليه الثواب والأجر والمدح وحسن الذكر ، وإنما تحبط الطاعة حتى تصير كأنها لم تُفعل إذا وقعت على خلاف الوجه المأمور به))[٣٨٧] .

فاستعمل الفعل حبط الذي اشتقه من الحبط الداء القاتل الذي يصيب البعير في غير ما وضع له للدلالة على فساد أعمالهم وعلى عدم الانتفاع بها في الدنيا والآخرة .

وقوله تعالى :"**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الِّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**" آل عمران (٢١) .

((تَبَّشرَ وبَشِرَ : فرح والتبشير يكون في الخير والشر))[٣٨٨] .

((أي اخبرهم بان لهم العذاب الأليم وإنما قال بشرهم على طريق الاتساع والاستعارة ؛ والبشارة تكون في الخير و الشر لان ذلك لهم مكان البشارة للمؤمنين ؛ ولأنها مأخوذة من البشرة ، وبشرة الوجه تتغير بالسرور في الخير وبالغم في الشر .

---

(384) مواهب الرحمن في تفسير القران ، ٥ \ ١٩١ .
(385) ينظر: تلخيص البيان ، ١٧ .
(386) التحرير و التنوير ، ٣ \ ٦٣.
(387) مجمع البيان ، ٣ \ ٤٢٤.
(388) لسان العرب ، بشر .

ويقال : كيف قال فبشرهم وإنما قتَلَ الأنبياء أسلافهم . فالجواب : لأنهم رضوا بأفعالهم واقتدوا بهم فأجملوا معهم . وقيل معناه : بشر هؤلاء بالعذاب الأليم لأسلافهم))[٣٨٩] .

((ومادة (بشر) بمعنى الأخبار بما يظهر أثره في بشرة الوجه كما يشاهد من اخبر بموجب السرور ، فانه يظهر اثر الفرح في ظاهر الوجه . وفي الأخبار بالشر يظهر الهم والغم في ظاهره أيضا فيصح استعمال هذه المادة بحسب واقعها في كل الأخبار بموجب السرور و الغم من دون مجاز واستعارة . نعم إذا أطلقت اختصت بما يوجب السرور))[٣٩٠] .

وقيل إن التبشير إخبار بما يسر ، فلا يناسب تعلقه بالعذاب ، فعُلِم أن المراد به ضده، وهو الإنذار ، اعني الإخبار بما يحزن[٣٩١] . فنزل التضاد منزلة التناسب تهكما فشبه الإنذار بالتبشير[٣٩٢] . ((واستعير التبشير للإنذار))[٣٩٣] . ((واشتق من التبشير (بشر) بمعنى انذر ، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية التهكمية))[٣٩٤] . فصار ذكر العذاب الذي هو المجرور قرينة على انه أريد بالتبشير ضده[٣٩٥].

يعد الفعل بشر من افعال الجوارح التي يظهر اثرها في ابرز جوارح الانسان الا وهو الوجه سواء أكان هذا الاثر فرحاً ام حزناً ، مع العلم ان الفعل بشر وضع اول ما وُضِع للإخبار بالأمور السارة ، إلا أن القران جاء به للتعبير عن نزول العذاب تعبيرا على سبيل السخرية والتهكم ؛ ((وما ذاك ألا لأن المنافقين أوهموا المؤمنين بأنهم امنوا بالظاهر وكفروا بالسر فجئ بلفظ (البشارة) إيهاما لهم بشئ ، ثم مفاجأتهم بالعذاب الأليم))[٣٩٦] لان ((البشارة انما يصح التعبير بها في مواطن الخير والكرامة ، لا في مظاهر الشدة والعناء ، وليس العذاب من مواطن الخير ، حتى يبشر به العاصي ، ولكنه تعالى اطلقه عليه تجوزاً من باب اطلاق اسم أحد الضدين على الآخر للنكاية والتشفي ، او السخرية والتهكم ، وكلاهما يأتيان هنا لتأكيد وقوع العذاب دون شك))[٣٩٧].

وقوله تعالى :"....... **فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**

---

(389) مجمع البيان في تفسير القران ، ٣ \ ٤٢٣ .
(390) مواهب الرحمن في تفسير القران ، ٥ \ ١٩٠-١٩١.
(391) ينظر: التحرير و التنوير ، ٣ \٦٣.
(392) ينظر: معترك الإقران في إعجاز القران ، ٢٨٣\١.
(393) بناء الصورة الفنية في البيان العربي / ٣٢٥.
(394) الإيضاح في علوم البلاغة .
(395) ينظر : أساليب البيان في القران ، ٥٨١_٥٨٢
(396) التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني - جنان منصور كاظم / رسالة دكتوراه / كلية التربية جامعة بغداد ٢٠٠٥ ص٧٥ – وتلخيص البيان ، ٣١-٣٢
(397) مجاز القرآن ، خصائصه الفنية وبلاغته العربية ، ١٤٧ .

يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " المائدة (٥٤) .

((محبة الله للعبد إنعامه عليه. ومحبة العبد له طلب الزلفى لديه))[398] . وقيل محبة

الله عبده رضاه عنه وتيسير الخير له ، ومحبة العبد ربه انفعال النفس نحو تعظيمه والإنس بذكره وامتثال أمره والدفاع عن دينه . فهي صفة تحدث للعبد من كثرة تصور عظمة الله تعالى ونعمه حتى تتمكن من قلبه فمنشؤها السمع والتصور وليس هي كمحبة استحسان الذات[399].

وهذه استعارة لان الحب الذي هو ميل الطبائع لا يجوز على القديم تعالى ، والمعنى يريد إثابتهم في الآجل وكرامتهم في العاجل ، ومعنى محبتهم له تعالى أنهم يريدون تعظيمه ويقصدون تمجيده ويقومون بلوازم طاعته ووظائف عبادته[400].

فحب الله تعالى عباده ليس حبا تقليديا ، بل هو حبٌ خاص يتمثل في رضاه عنهم وإثابتهم وتيسير الخير لهم ، وحبهم له الذي هو احد افعال الجوارح والمتعلقة بالقلب وميله الوجداني كذلك حب مميز يتجسد في إخلاصهم في العبادة وتفانيهم في الطاعة ، وبهذا خرج معنى الفعل (أحب) إلى معانٍ مجازية إضافية .

وقوله تعالى : "..... رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ" يونس ٨٨

((طمس :الطُموس : الدَروس والانمحاء . وطَمِسَ الطريق درس وأمحي أثره))[401].

((الطمس : أيضاً، إزالة الأثر بالمحو ، واطمس على أموالهم ، أزل صورها))[402].

((وهذه استعارة لان حقيقة الطمس محو الأثر من قولهم طمست الكتاب إذا محوت سطوره فكأن موسى (عليه السلام) إنما دعا الله سبحانه بان يمحو معارف أموالهم بالمسح لها حتى لا يعرفوها ولا يهتدوا إليها وتكون منقلبة عن حال الانتفاع بها لان الطمس يغير حال الشئ الى الدثور والدروس[403].

((والمراد بالطمس على الأموال تغيرها عن جهتها إلى جهة لا ينتفع بها وقيل صارت جميع أموالهم حجارة حتى السكر والفانيد*))[404] .

وهذا نتيجة الدعاء عليهم بالخذلان وان يخلى بينهم وبين ضلالتهم

---

(398) المفردات، ١٤٠.
(399) ينظر : تفسير ابن كثير ، ١٤١/٣ .
(400) ينظر : الكشاف ، ٦ /٢٩٦ ، وتلخيص البيان ، ٣١-٣٢.
(401) لسان العرب ، طمس.
(402) المفردات، ٣١٦.
(403) تلخيص البيان ، ٧٠-٧١.
* ضرب من الحلوى ، فارسي معرب ، ينظر : مجمع البيان : ١٣٠/١١ .
(404) مجمع البيان ، ١١ / ١٣٠ .

يتسكعون فيها لان لم تزدهم نصائح موسى (عليه السلام) ومواعظه إلا كفرا وإنذاره إلا استكبارا ولم يبقَ له مطمع فيهم(٤٠٥).

فالطمس المحو والإزالة ، فالطمس هو المحو وازالة الآثار ، وهو احد افعال الجوارح التي يتم بموجبها القضاء على الاشياء ، فطمس الأموال إتلافها وإهلاكها ، أي انه خرج من معناه اللغوي إلى معنى مجازي يتضمن الدعاء على أموالهم بالمسح لأنها سبب طغيانهم وتمردهم .

وقوله تعالى : "وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ" يونس (٨٨) .

((الشدة : الصلابة ، وهي نقيض اللين تكون في الجواهر والإعراض ، ومعنى اشدد على قلوبهم أي أطبع و اختم))(٤٠٦) .

((وقيل : شدّ : الشد : العقد القوي ، يقال شددت الشئ قويت عقده ، والشدة تستعمل في العقد وفي البدن وفي قوى النفس وفي العذاب))(٤٠٧) .

((ومعنى "اشدد على قلوبهم" ثبتهم على المقام ببلدهم بعد إهلاك أموالهم فيكون ذلك اشد عليهم ، وقيل معناه أمتهم بعد سلب أموالهم وأهلكهم ، وقيل انه عبارة عن الخذلان والطبع(٤٠٨) . أو ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلاّلاً ، وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا لان معنى الشد على القلوب ألاستيثاق منها حتى لا يدخلها الإيمان(٤٠٩) .

((وقيل ان(اشدد) استعارة : أما أن يكون المراد بها ما يراد بالختم والطبع لان معنى الشد يرجع إلى ذلك أو يكون المراد بها تثقيل العقاب على القلوب بالإيلام لها ومضاعفة الغم والكرب عليها ويكون ذلك على معنى قول النبي (صلى الله عليه واله) اللهم اشدد وطأتك على مضر أي : أغلظ عليهم عقابك وضاعف عليهم لأواءك))(٤١٠) .

((وقيل إن اشدد مشتق من الشد ، وهو العسر . ومنه الشدة للمصيبة والتحرج ولو أريد غير ذلك لقيل : وأطبع ، أو وأختم ، أو نحوها ، فيكون شد بمعنى ادخل الشد أو استعمله مثل جد في كلامه ، أي : استعمل الجد ، وحرف على مستعار لمعنى الظرفية استعارة تبعية لإفادة تمكن الشدة(٤١١) .

---

(405) ينظر: الكشاف ، ١١ / ٤٧٢.
(406) لسان العرب ، شدد.
(407) المفردات، ٢٦٣.
(408) مجمع البيان ، ١١ /١٣٠.
(409) ينظر الكشاف ، ١١ / ٤٣٢.
(410) تلخيص البيان ، ٧١
(411) التحرير والتنوير ، ١١ / ١٦٦

"واشدد" واحد من افعال الجوارح الذي يشير معناه اللغوي الى استعمال القوة مع الاشياء ، وفي اثباتها والمبالغة في التعامل معها بشدة ، وقد اخذ هذا المعنى واستعمل في معنى آخر وهو المبالغة في انزال العقاب المادي والمعنوي في قوم موسى (عليه السلام) بعدما خالفوه ولم يسمعوا له ولم يجيبوا دعوته وبهذا فقد خرج معنى الفعل (أشدد) الذي هو العقد القوي إلى أكثر من معنى مجازي فقد دل على عدم دخول الإيمان في قلوب المشركين بعد الشد عليها والاستيثاق منها ، أشدد عليها بعذاب يسلبهم راحتهم وأمانهم ، أو تثبتهم في أماكنهم بعد إهلاك أموالهم وذلك ليصل عذابهم أقصى ما يصله من شدة وقسوه.

وقوله تعالى :"**ما كان لنبيٍّ أن يكون له أسرى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**"الانفال (٦٧) .

((ثخن : ثُخُن الشئ ثخونة وثخانة وثخناً فهو ثخين : كثف وغلظ وصلب والثخَنَ : اذ غَلَبَ وقهَرَ))[412] . ويقال ثخن فهو ثخين إذا غَلُظ فلم يَسلْ ولم يَسْتَمرَّ في ذهابه ، ومنه استعير قولهم أثخنته ضرباً واستحقاقاً[413] .

والإثخان : الشدة والغلظة في الأذى . يقال أثخنته الجراحة وأثخنه المرض ، إذا ثقل عليه[414] . وقد شاع إطلاقه على شدة الجراحة على الجريح . وقد حمله بعض المفسرين في هذه الآية على معنى الشدة والقوة . فالمعنى : حتى يتمكن في الأرض ، أي يتمكن سلطانه وأمره[415].

والمراد بـ (يثخن في الأرض) احد افعال الجوارح الذي يدل على تغليظ الحال ، وكثرة القتل ؛ وذلك مأخوذ من الثخانة ، وهو الغلظ ، والثخانة في الأجسام . ((ثم استعير للمبالغة في القتل والجراحة ، لأنها لمنعها من الحركة صيرته كالثخين ، الذي لا يسيل))[416] .

وقيل معناه : أي : ((حتى يبالغ في قتل المشركين وقهرهم ليرتدع بهم من ورائهم ، وقيل الإثخان الغلبة على البلدان والتذليل لأهلها يعني حتى يتمكن في الأرض))[417] .

وهنا استعير الفعل (يُثخن) للدلالة على التمكن والقوة في الارض وبلوغ

---

(412) لسان العرب ، ثخن.
(413) المفردات، ٧٥.
(414) بنظر : تلخيص البيان ، ٥٧.
(415) ينظر : تفسير ابن كثير ، ٧٤/٤ .
(416) أساليب البيان ٦٧٤.
(417) مجمع البيان ، ١٠ /٥٥٨.

النبي (صلى الله عليه واله) الشدة والقوة اللازمة للغلبة على المشركين ، وقوة سلطانه عليهم وهو بذلك خروج للفعل عن معناه الحقيقي الى معنى مجازي ادى كل تلك المعاني المتقدمة .

وقوله تعالى :"وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ"هود (٩) .

((ذاق الشئ يذوقه ذَوْقاً وذواقاً ومذقاً ، المذاق طعم الشئ ، والذوق يكون فيما يكره ويحمد))[٤١٨] .

((والذوق وجود الطعم بالفم واصله فيما يقلَّ تناوله دون ما يكثر، فان ما يكثر يقال له الأكل ، واختير في القرآن لفظ الذوق في العذاب لان ذلك وان كان للتعارف للقليل فهو مستصلح للكثير فخصَّه بالذكر ليعم الأمرين وكثر استعماله في العذاب ، وهنا استعمل في الرحمة الإذاقة وفي مقابلها الإصابة تنبيها بان الإنسان بأدنى ما يعطى من النعمة يأشر ويبطر))[٤١٩] .

وقيل : الذوق تناول الشئ بالفم لإدراك الطعم وسمى الله تعالى إحلال اللذات بالإنسان إذاقة لسرعة زوالها تشبيها بما يذاق ثم يزول ، ثم بين سبحانه حال الإنسان فيما قابل به تعمه من الكفر وقال :"وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ" (هود : ٩٠) أي أحللنا به نعمة من الصحة والكفاية والسعة من الحال والولد وغير ذلك من نعم الدنيا[٤٢٠] .

والإذاقة مستعملة في إيصال الإدراك على وجه المجاز ، واختيرت مـــــادة الإذاقة لمن شُعر به من إدراك أمر محبوب لان المرء لا يذوق إلا ما يشتهيه[٤٢١] .

وهذه استعارة لان إذاقة الرحمة ليس بحقيقة هنا ، وإنما المراد بذلك إنا إذا رحمنا الإنسان بعد توبته من مواقعه بعض الذنوب إذا أخلص العبد فيها واتى بشروطها وحدودها فأنعمنا عليه في السراء والرخاء ، فمعنى أذقنا الإنسان منا رحمة أي :عرفناه إنا قد رحمناه إذ أوجبنا قبول توبته[٤٢٢] .

فالفعل ذاق هنا الذي هو احد افعال الجوارح يدل معناه اللغوي على الاحساس بطعم الاشياء بالفم وقد خرج إلى معنى إحساس الإنسان برحمة ربه بعد إن كان بعيدا عنها أو تقلبه في السراء والنعمة التي أنعمها الله عليه وفي هذا الاستعمال تلميح إلى سرعة زوال تلك النعم لأنه سرعان ما يقابلها بالجحود والعصيان والأشر والبطر فتزول

---

(418) لسان العرب ، ذوق .
(419) المفردات، ١٨٦.
(420) ينظر : مجمع البيان ، ١٤٥/٨.
(421) التحرير والتنوير، ٢١٢/١١.
(422) ينظر : تلخيص البيان ، ٧٣.

لعدم استحقاقه استمرارها أي انه خرج الى معنى مجازي وهو شعور الانسان برحمة ربه بعد ان كان بعيداً عنها .

وقوله تعالى :"ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ" هود (٩) .

((نزع الشئ ينزعهُ نزعاً فهو منزوع وانتزعه فانتزع ، اقتلعه فاقتلع))[٤٢٣] .

((ونَزَع الشئ جَذَبَهُ من مَقرِّه كنزع القوس عن كبده ويستعمل ذلك في الأعراض))[٤٢٤].

((والنزع حقيقته : خلع الثوب عن الجسد . واستعمل هنا في سلب النعمة على طريقة الاستعارة ، ولذلك عُدّي بحرف (من) لان المعنى على السلب والافتكاك ، فذكر (من) تجريد للمجاز[٤٢٥] .

ونزعناه : أي: سلبناه تلك النعمة إذا رأينا المصلحة في ذلك[٤٢٦] .

فقد استعمل الفعل نزع هنا لسلب النعمة (نعمة التوبة) التي مَنَّ الله تعالـــى بها على عباده بعد عودتهم لاقتراف الذنوب ، وقد جاء الفعل نزع مطابقاً تماما للمعنى المراد ؛ لأنه أدل فعل على تجريد العاصي من رحمة الله وبروزه للعقاب هو الفعل نزع بوصفه احد افعال الجوارح الدالة على القيام او الحفظ والمراعاة بحسب معناه اللغوي للمشابهه بين نزع الساتر الواقي للبدن بنزع الرحمة الواقية للعبد من عقاب خالقه وسخطه عليه وبهذا فقد خرج معنى الفعل (نزع) الى معنى مجازي هو سلب نعمة التوبة عن العبد العاصي وهو بالتأكيد معنى بعيد عن معناه اللغوي : جذب الشيء من قعره .

وقوله تعالى :"وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ"المائدة ٦٦.

قوَمَ : يقال قام يقوم قياما فهو قائم وجمعه قيام ، واقامة غيره . والقيام للشئ هو المراعاة له والحفظ له[٤٢٧] . واقام الشئ : وفاه حقه[٤٢٨] .

وهذه استعارة لان التوراة لا يصح عليها القيام وإنما المراد : ولو إنهم نفذوا حكمها واتبعوا نهجها وعملوا بما فيها ولم يحرفوا كلمها[٤٢٩]. من قولهم اقام فلان قناة الدين إذا حكم بالعدل وأمر بالحق[٤٣٠].

---

(423) لسان العرب ، نزع .
(424) المفردات، ٣٨٨.
(425) التحرير والتنوير ، ٢١٣/١١.
(426) ينظر : الكشاف ، ٤٧٨/١٢، وينظر : مجمع البيان ١٤٥/١٢ .
(427) المفردات، ٤٣١.
(428) ينظر: لسان العرب ، قوم.

((وقيل معنى إقامة التوراة هو عملوا بما فيها بان أقاموها نصب أعينهم لئلا يزّلوا في شئ من حدودهما))[431] .

وقيل : استعيرت الإقامة لعدم الإضاعة لان الشي المضاع يكون مُلقى ، ولذلك يقال له : شئ لقى ، ولأن الإنسان في حال قيامه اقدر على الأشياء فلذا قالوا : قامت السوق ، فيجوز أن يكون معنى إقامة التوراة والإنجيل إقامة تشريعهما قبل الإسلام ، فاليهود امنوا بالتوراة ولم يقيموا أحكامها وكفروا بالإنجيل ورفضوه وذلك اشد في عدم إقامته ، ويحتمل أن يكون المراد : لو أقاموا هذه الكتب بعد مجئ الإسلام ، أي بالاعتراف بما في التوراة والإنجيل من التبشير ببعثة محمد (صلى الله عليه واله) حتى يؤمنوا به وبما جاء به[432] .

إذن فقد انتقل معنى الفعل (أقام) الذي هو احد افعال الجوارح الدالة على القيام او الحفظ والمراعاة بحسب معناه اللغوي إلى معنى آخر هو المحافظة على الأمور وعدم إضاعته وهنا خرج إلى معنى تنفيذ الأحكام الكتابيين المجيدين والعمل بما جاء فيهما من أحكام بما في ذلك الإيمان بالنبي محمد(صلى الله عليه واله).

وقوله تعالى :"**وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ**"

التوبة (١٢) .

((نكث : النكث : نقض ما تعقده وتصلحه من بيعة وغيرها ، نكثة ينْكُثُه نِكْثا فانكث وتناكث القوم عهودهم نقضوها[433]. ((والنكث نكث الاكسية والغزل قريب من النقض واستعير لنقض العهد))[434] .

((وعبر عن نقض العهد بنكث الايمان تشنيعاً للنكث ، لان العهد كان يقارنه اليمين على الوفاء ولذلك سمي العهد حلفاً))[435].

والآية حكاية عن حال المشركين الذين نكثوا عهودهم في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحاً لعادات الكرام الأوفياء من العرب ، ثم امنوا وأقاموا الصلاة واتوا الزكاة ثم رجعوا فارتدوا عن الإسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الإيمان والوفاء بالعهود[436].

---

(429) ينظر : الكشاف ، ٣٠٠/٦

(430) ينظر : تلخيص البيان ، ٣٢

(431) مجمع البيان ، ٢٥/٦

(432) ينظر : تفسير ابن كثير ، ٧٣/١٢ .

(433) لسان العرب ، مادة نكث .

(434) المفردات، ٥٢٦،وينظر :مجمع البيان ، ١١/١٠

(435) التحرير والتنوير ، ٣٥/١٠

(436) ينظر: الكشاف ، ٤٢٥/١٠

فالفعل نكث يدل معناه اللغوي على النقض الذي هو ضد الإبرام ، ولكنه هنا استعمل مجازاً ليدل على عدم التزام المشركين بما بايعوا عليه النبي (صلى الله عليه واله) من العهود والمواثيق المتفق عليها اوعدم التزامهم بالإسلام الذي أظهروه كدين لهم .

وقوله تعالى :"....وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ"التوبة ١٢

طعن : الطعن : الضرب بالرمح وبالقرن وما يجري مجراهما ، وتطاعنوا واطعنوا[٤٣٧].((واستعير للوقيعة))[٤٣٨] .

وهذه استعارة ، لان الطعن وخز الشئ بالرمح وما يجري مجراه من الآلات الحديدية لنقض بنيته وإفساد جملته ليكون بمعنى طعنهم في الدين والله اعلم ينقسم على قسمين : احدهما : يراد به حربهم المؤمنين لينقضوا دينهم ويميتوا شريعتهم .

والوجه الثاني : أن يكون المراد به بسط ألسنتهم في ذم الدين ورميه بالوصوب وذلك يسمى طعنا على الاتساع والمجاز[٤٣٩].

وفي كلا الحالين فان الفعل طعن يعد احد افعال الجوارح التي يقصد منها ايقاع الضرر على المسلمين ، سواء أكان ذلك الضرر مادياً وذلك باعلان الحرب عليهم أم معنوياً متجسداً بالانتقاص من دينهم وقيل : ((عابوه وقدحوا فيه. وثلبوه وعابوه))[٤٤٠] ، ((وقيل إذا طُعن الذمي في دين الإسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقودة معه على أن لا يطعن ، فإذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة))[٤٤١] .

فالطعن حقيقته خرق الجسم بشئ محدد كالرمح ، ويستعمل مجازا بمعنى الثلب والنسبة إلى النقص ، ((بتشبيه عِرض المرء الذي كان ملتئما غير منقوص بالجسد السليم فإذا أظهرت نقائصه بالثلب والشتم شُبّه بالجلد الذي افسد التحامه))[٤٤٢] ، وهكذا استعمله القران لمن حاول ذم الإسلام ونسب النقص والعيب له.

وقوله تعالى :"فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ"النحل (١١٣) .

---

(437) ينظر: لسان العرب ، طعن .
(438) المفردات، ٣١٤.
(439) ينظر: تلخيص البيان ،٥٨.
(440) مجمع البيان ، ١٠/١٠.
(441) الكشاف ، ٤٢٥/١٠
(442) التحرير والتنوير ،٣٥/١٠

الإذاقة : حقيقتها : إحساس اللسان بأحوال الطعوم . وهي مستعارة هنا وفي مواضع من القرآن إلى إحساس الألم والأذى إحساسا مكينا لتمكن ذوق الطعام من فم ذائقه يجد له مدفعا .

واللباس : حقيقته الشئ الذي يلبس . وإضافته إلى الجوع والخوف قرينة على انه مستعار إلى ما يغشى من حالة إنسان ملازمة له كملازمة اللباس للألبسة(٤٤٣).

ولما كان اللباس مستعاراً لإحاطته ما غشيهم من الجوع والخوف وملازمته ، أريد إفادة إن ذلك الحال مشتمل عليهم كاشتمال الملابس على الجلود لان ما يظهر منهم من مضيض الجوع واليم الخوف من سوء الأحوال وشحوب الألوان وضئولة الأجسام كاللباس الشامل لهم والظاهر عليهم(٤٤٤).

وشبه الإصابة . وهي ما يدرك من اثر الضرر والألم الحاصل بسبب الجوع ؛ بالإذاقة وهو ما يدرك من طعم المر بالفم ، فاستعيرت الإذاقة للإصابة(٤٤٥) ، واو ثرت للدلالة على شدة التأثير التي تفوق لو استعملت الإصابة . ووجه الشبه بينهما الكراهة والنفرة فهي استعارة تصريحية من باب استعارة المحسوس للمعقول(٤٤٦).

فاستعمال الذوق مع اللباس من اجل انه أريد به التجربة والاختبار ، أي فجعلها بحيث تمارس الجوع والخوف ، وقيل: إن ذلك على تقدير كأنه قال : أذاقها طعم الجوع والخوف والبسها لباسهما(٤٤٧).

((أي فأخذهم الله بالجوع والخوف بصنيعهم وسوء فعالهم وسمي اثر الجوع والخوف لباسا لأنه شملهم كما يشمل اللباس البدن))(٤٤٨) .

((والإذاقة واللباس استعارتان ، والإذاقة المستعارة موقعه على اللباس المستعار ، ووجه الصحة في ذلك ، لان الإذاقة عندهم قد جرى مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون : ذاق فلان البؤس والضر ، وأذاقه العذاب ، شبه ما يدرك من اثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المرّ والبشع ، وأما اللباس التبس به من بعض الحوادث ، وأما إيقاع الإذاقة على إلباس الجوع والخوف ؛ فلأنه لما وقع عبارة عما يغشي منها ويلابس فكأنه قيل ، فأذاقهم ماغشيهم من الجوع والخوف(٤٤٩).

والفعل ذاق بوصفه احد افعال الجوارح الدالة على تمام الاحساس بالاشياء انسب الافعال للتعبير عما يصيب الذين يتعرضون لعذاب الله سبحانه .

---

(443) ينظر : تفسير القرطبي ، ١٢ : ٢٤٣ .
(444) ينظر : تلخيص البيان ، ١١٢.
(445) ينظر : معترك الاقران في اعجاز القرآن، ٤٣٣/١.
(446) ينظر : اساليب البيان ، ٥٩٥.
(447) ينظر : الايضاح في علوم البلاغة ، ٤٣٣/١.
(448) مجمع البيان ، ٣٩٠/١٤.
(449) الكشاف ، ٥٨٦/١٤.

إذاً فقد عبر القرآن هنا بالإذاقة لان أثرها في النفس أعمق من اثر الكسوة ، ((وعبر باللباس لان أحاطته أعظم من إحاطة الطعم))[٤٥٠] . ولهذا عدل عن المعنى اللغوي لكلا اللفظين فخرج معنى الفعل (ذاق) إلى معانٍ مجازية تتضمن الترهيب والتنفير في العقاب النازل بهم .

---

(450) **البلاغة العربية / البيان والبديع ، ناصر حلاوي ،٨٤.**

الباب الثاني الفصل الثاني
نظرية الحقول الدلالية

نظرية الحقول الدلالية: Semantic Fields Theory

اولا: مفهوم النظرية :

وتسمى ايضا نظرية المجالات الدلالية Semantic Domank Theory فالمجال الدلالي أو الحقل المعجمي هو : ((مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها ، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها . مثال ذلك كلمات الالوان في اللغة العربية ، فهي تقع تحت المصطلح العام (لون) وتضم ألفاظا مثل : أحمر – ازرق – أصفر – أخضر – أبيض ....الخ ، وعرّفه ستيفن اولمان بقوله : هو قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبر عن مجال معين من الخبرة))[٤٥١] . ومفاده أن الحقل الدلالي يشمل قطاعا دلاليا مترابطا ، مكونا من مفردات اللغة التي تعبِّر عن تصور أو رؤية أو موضوع او فكرة معينة .

ويعرفه جون ليونز قائلا :((ان الحقل الدلالي هو مجموعة جزئية لمفردات اللغة))[٤٥٢] ، ومؤداه أنَّ الحقل يتضمن مجموعة كثيرة أو قليلة من الكلمات ، تتعلق بموضوع خاص وتعبِّر عنه .

ويرى جون مونان أن الحقل الدلالي هو ((مجموعة من الوحدات المعجمية التي تشتمل على مفاهيم تندرج تحت مفهوم عام يحدد الحقل))[٤٥٣] أي انه مجموع الكلمات التي تترابط فيما بينها من حيث التقارب الدلالي ، ويجمعها مفهوم عام تظل متصلة ومقترنة به ، ولا تُفهم الا في ضوئه .

((والحقل الدلالي يتكون من مجموعة من المعاني او الكلمات المتقاربة التي تتميز بوجود عناصر او ملامح دلالية مشتركة ، وبذلك تكتسب الكلمة معناها في علاقاتها بالكلمات الاخرى ، لان الكلمة لا معنى لها بمفردها ، بل ان معناها يتحدد ببحثها مع اقرب الكلمات اليها في اطار مجموعة واحدة))[٤٥٤] .

وهو ما عبَّر عنه فندريس : قائلاً : ((ان الذهن يميل دائماً الى جمع الكلمات ، والى اكتشاف عرى جديدة تجمع بينها ، فالكلمات تتشبث دائماً بعائلة لغوية))[٤٥٥] .

وعلى هذا الاساس فان الكلمات لا تشكل وحدة مستقلة ، بل ان بعض اللغويين يرفض وينكر ان يتم اكتساب اللغة في شكل كلمات مفردة ، أو يكون المتكلم واعياً

---

(451) علم الدلالة ، د. أحمد مختار عمر ، ٧٩ .
(452) نفسه، ٧٩.
(453) أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية : ٧ .
(454) اصول تراثية في علم اللغة ، ٢٩٤
(455) اللغة ، فندريس ، ٣٣٣ .

بالكلمات منعزلة اثناء عملية الكلام[٤٥٦]. ((واذا بدا له ذلك في بداية الامر ، فان الاكتساب يكون انطلاقاً من تركيب مقدّر او مضمر او محذوف تفهم ضمنه الكلمة التي يتعلمها الفرد))[٤٥٧] .

وتتضح الفكرة أكثر حين تعلّم لغة اجنبية فمهما حفظ المرء من مفرداتها ، فانه يظل عاجزاً عن فهم نصوصها ومضمون خطاباتها ، ما لم يتزود بمعرفة نظامها التركيبي والنحوي والصوتي والصرفي والدلالي والاسلوبي .

ويستشف من قول فندريس انَّ جمع الكلمات في مجموعات يُعد من خصائص العقل الانساني الذي من طبيعته الميل نحو التصنيف والبحث عن العلاقة التي تكوِّن اجزاء هذه المجموعة او تلك حتى يتسنى له فهمها ووضع قوانينها ثم الحكم عليها والاستنتاج .

((ولهذا فان الجزء المعجمي المعبِّر عن مجال ما في اللغة ليس نظاماً او تشكيلاً بسيطاً مكوناً من وحدات مستقلة ، فلو كان كذلك لتمكّن الدارس او المستعمل للغة ان يفهم هذا الجزء ويصفه في وقت معين))[٤٥٨] .

وبناء على هذا الامر اعتمد اصحاب نظرية الحقول الدلالية على الفكرة المنطقية التي ترى ان المعاني لا توجد منعزلة الواحدة تلو الاخرى في الذهن ، ولادراكها لابد من ربط كل معنى منها بمعنى او بمعان اخرى ، فلفظ انسان مثلاً يعد مطلقاً ، وبالتالي لا يمكن ان نعقله الى باضافته الى حيوان ، ولفظ رجل لا نعقله الا باضافته الى امرأة ، ولفظ حار لا يفهم الا بمقارنته ببارد وهكذا[٤٥٩].

والهدف من ذلك هو جمع الكلمات التي يتركب منها الحقل الدلالي ثم استخراج العلاقات الرابطة بينها[٤٦٠].

ويصدق ما سبق على الكلمات التي ترتبط دلالتها ضمن مفهوم الحيوانات الاليفة او المتوحشة او السكن ، او الالوان او القرابة او أي جزء من المادة اللغوية الذي يعبر عن مجال معين من الخبرة والاختصاص[٤٦١]، فكلمة "طاولة" الذي تعد مصطلحاً عاماً نجد تحتها مجموعة من الكلمات التي لها علاقة فيما بينها كطاولة العمل ، طاولة القاعة ، طاولة الاكل ، طاولة اللوغاريتم ، طاولة القانون[٤٦٢].

((فكل لغة تضم سلسلة او نسقاً من الكلمات تتضح اختلافاتها وعلاقاتها بمعرفة خصائصها الدلالية وملامحها المشتركة ، ففي الظواهر المرئية مثلاً يلاحظ ان الاطفال يتعلمون الألوان الأساسية – على الأرجح – في ردح من الزمن مثل – احمر – اخضر –

---

(456) ينظر اصول تراثية في علم اللغة ، ٢٩٤ .
(457) اصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية ، ٧ .
(458) اصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية ، ٨ .
(459) ينظر اصول تراثية في علم اللغة ، ٢٩٤ .
(460) ينظر مبادئ اللسانيات ، ٣٠٢ .
(461) ينظر نفسه ، ٣٠٢ .
(462) ينظر مصادر اللغة ، د.بلعيد صالح ١٠٤.

ازرق – اصفر – ابيض – اسود ، ومن المؤكد انه لا يتم ادراك دلالة الاحمر ككلمة تدل على اللون – وبخاصة بعد استعمالها في الجمل – الا بمعرفة الكلمات التي تشير الى الالوان المماثلة لها او التي تقاربها في المعنى مثل وردي – بنفسجي – برتقالي – وكلمات اخرى تحتوي على هذا المعنى مثل احمر ارجواني – قرميدي وغيرها))[٤٦٣] .

ويرى ليونز : (اننا نفهم معنى الكلمة بالنظر الى محصلة علاقاتها بالكلمات الاخرى ، داخل الحقل المعجمي ، ومن ثم يهدف تحليل الحقول الدلالية الى جمع كل الكلمات التي تخص حقلاً معين ، والكشف عن صلة الواحدة منها بالاخرى ، وصلتها بالمفهوم العام ، وعلى هذا الاساس يكون فهم معنى الكلمة بفهم مجموعة الكلمات ذات الصلة بها دلالياً))[٤٦٤] .

((ويعّد البحث في الحقول الدلالية مثمراً وخصباً وبخاصة في الميدان الادبي الذي يتميّز بالمعاني الايحائية والنادرة ، كدراسات الحقل الدلالي لمفردات عند كاتب او في جنس ادبي ، فيبحث عن مجموع المعاني التي يحملها لفظ في خطاب او خطابات معينة ، مثل تحليل كلمة من الكلمات انطلاقاً مما كتبته صحيفة من الصحف فيهتم بتعريفها بناء على استعمالاتها واستخراج الكلمات التي تشاركها او تناقضها او تعاكسها في المعنى))[٤٦٥].

واقيمت دراسات كثيرة حول الحقول الدلالية من اهمها : الفاظ القرابة ، والالوان والنبات ، والامراض ، والادوية ، والطبخ ، والاوعية ، والفاظ الاصوات ، والفاظ الحركة ، وقطع الاثاث . وكذلك الخواص الفكرية ، والايديولوجيات ، والجماليات ، والمُثل ، والدين ، والاقطاع ، والاساطير ، والخرافات والتجارة ، والعدواة ، والهجوم والاستقرار ، والاقامة ، والحيوانات الاليفة ، وصفات العمر واعضاء البدن ، وغيرها[٤٦٦].

((ويمكن القول ان اصحاب نظرية الحقول الدلالية يهتمون ببيان انواع العلاقات الدلالية داخل كل حقل من الحقول المدروسة ، فيحصرون تلك العلاقة في الانواع الآتية: الترادف ، الاشتمال ، علاقة الجزء بالكل ، التضاد ، التنافر ، وليس من الضروري ان يكون كل حقل مشتملاً عليها جميعاً ، لانه قد تضم بعض الحقول كثيراً منها ، على حين تقل بعض منها في حقول اخرى))[٤٦٧] .

وتأسست نظرية الحقول الدلالية على فكرة المفاهيم العامة التي تؤلف بين مفردات لغة ما ، بشكل منتظم يساير المعرفة والخبرة البشرية المحددة للصلة الدلالية ، او الارتباط الدلالي بين الكلمات في لغة معينة[٤٦٨]التي يجمعها لفظ عام ، لان اللغة نظام ، وقيمة كل عنصر من عناصرها لا يتعلق بهذا النظام بسب طبيعته ، او شكله الخاص ،

(463)اصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية ، ٨ .
(464) علم الدلالة د.احمد مختار عمر : ٨٠ .
(465) اصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية ٨ .
(466) ينظر علم الدلالة : احمد مختار عمر : ٨٠ .
(467) مبادئ اللسانيات : ٣٠٥ .
(468) ينظر الالسنية العربية ، د. ريمون طحان ص٩٣ .

بل يتحدد بمكانه وعلاقته داخل هذا النظام ، مما يؤكد التراص القائم بين الكلمات وما يجاورها من كلمات اخرى داخل الحقل الواحد ، او في مجموعة من الحقول ، بحيث لو أقحمت كلمة في حقل متناسق او أبعدت عنه او غُيّر موضعها ادّى ذلك الى اضطراب يؤثر في مجموع مفردات الحقل[٤٦٩].

أما أهم مبادئ نظرية الحقول الدلالية فتتلخص فيما يأتي :

١. ان الوحدة المعجمية تنتمي الى حقل واحد معين .
٢. كل الوحدات تنتمي الى حقول تخصها .
٣. لا يصح اغفال السياق الذي ترد فيه الوحدة اللغوية .
٤. مراعاة التركيب النحوي في دراسة مفردات الحقل[٤٧٠].

العرب ونظرية الحقول الدلالية :

ولاشك في ان اللغويين العرب القدماء قد اهتدوا في وقت مبكر الى تصنيف المدلولات في حقول دلالية ومفهومية ، فكانت لهم الريادة في هذا المجال ، وتأليفهم الرسائل ومعاجم المعاني والفروق في اللغة دليل على طريقتهم التصنيفية للمعاني .

ولكننا عندما نؤرخ لنظرية الحقول الدلالية العربية ، فاننا لا نجد في التراث اللغوي ما يشير من بعيد أو قريب الى المصطلح ، والذي يذكر بالضرورة هو ان اللغويين العرب القدماء تفطنوا تطبيقاً وممارسة في وقت مبكر الى فكرة الحقول ، وهو أمر لا مجال لإنكاره او إغفاله ، على الرغم من انهم لم يعرفوا النظرية بالمفهوم المتداول عند الدارسين العرب او الغربيين في العصر الحديث ، ويعود ذلك الى "ان منهج تصنيف المدلولات حسب الحقول الدلالية صار اكثر المناهج حداثة في علم المعاني ، لانه يتجاوز تحديد البنية الداخلية لمدلول الكلمات بكشفه عن بنية تؤكد القرابة الدلالية بين مدلولات عدد منها[٤٧١].

فقد عرف علماء اللغة القدماء الحقول الدلالية انطلاقاً من اللغة نفسها اذ تضمنت تصنيفاً شاملاً لالفاظها منذ العصر الجاهلي الى ظهور الاسلام ، فالدارس يلفي ما يدل على تصنيف الموجودات بمجموعها كالعالم – بفتح اللام – والعالمين ، ويشتمل على الخلق كله ، والتقسيم للوجود الى ما يدل على الحس والشهادة والرؤية والملموس ، وما هو مغيب عن الحس ، ويجد الفاظاً تدل على الوجود والعدم والمكان والزمان والدهر والابد والازل ، ومنها ما يدل على انواع الموجودات كالنبات والحيوان ، وللحيوان انواع منها الانسان والوحوش والطير ، وانواع اخرى فيما عدا الانسان من السباع والهوام والسوام والحشرات والجوارح والبغات ، وضمّ هذا التصنيف الاخلاق والمشاعر مثل المكارم والمثالب والمحاسن والمساوئ والفرح والحزن[٤٧٢].

---

(469) نفسه ، ١٤ .
(470) ينظر : الياذة الجزائر ، د.نور الهدى لوشن : ١٤٩ .
(471) ينظر درعيات ابي العلاء : ٣٦ .
(472) ينظر فقه اللغة وخصائص العربية ، ٣٠٧-٣٠٨ .

ويدل هذا التصنيف الذي يدعو الى الدهشة والاعجاب على المستوى الفكري الذي بلغته العقلية العربية ، والتي قلما وصلت اليها الامم في مثل هذا الطور المبكّر من تأريخ حياتها[٤٧٣]، على الفهم لمفردات لغتها التي توحي للباحث بمعرفتهم بالحقول الدلالية والعلاقة الموجودة بينها والاتصال القائم بينها .

وفكرة التصنيف عينها قديمة في التأليف العربي ، اذ نجد الجاحظ (ت:٢٢٥هـ) يشير الى جانب منها في كتابه "الحيوان" حين صنف الموجودات الرئيسية في الكون قائلاً : ((ان العالم بما فيه فيه من الاجسام على ثلاثة انحاء متفق ، ومختلف ، ومتضاد . وكلها في جملة القول : جماد ونامٍ ... ثم النامي على قسمين: حيوان ، ونبات ، والحيوان على اربعة اقسام : شيء يمشي ، وشيء يطير ، وشيء يسبح ، وشيء ينساح ، الا ان كل طائر يمشي ، وليس الذي يمشي ولا يطير يسمى طائراً . والنوع الذي يمشي على اربعة اقسام : ناس وبهائم وسباع وحشرات))[٤٧٤] .

والجاحظ لهذه الإشارة موفق في التحليل التكويني أو السيمي للمعنى الذي اصبح منهجاً متداولاً لدى كثير من الباحثين .

ولا ريب في ان اللغويين العرب القدماء حينما جمعوا اللغة من مصادرها الاصلية ، ومنابعها الصافية ، وتمييزهم بين ارباب الفصاحة ، وانتهائهم من البحث الميداني ، غلبت عليهم نزعة التصنيف والتنظيم والتبويب ، فأخذ كل عام يجمع مادته في الموضوع الذي يود التصنيف فيه[٤٧٥]. وهو التأليف الخاص الذي يعني بالحذق الشامل والادراك لمختلف صورة ، لان العامة لا يعينهم من اللغة الا القدر الضئيل الذي عليه يعيشون وبه يتفاهمون[٤٧٦] وهي جهود تبين ان العرب كانوا سباقين الى تصنيف المفردات بحسب المعاني او الموضوعات .

وتوجت مرحلة التجميع للالفاظ العربية ، بالخطوة الاولى لهذا التصنيف وهي مرحلة الرسائل الكثيرة التي احتوت كل واحدة منها على الفاظ خاصة في مجموعات دلالية صغيرة تتعلق كل منها بموضوع مفرد في موضع مفرد ، وهي رسائل من صميم الحقول الدلالية ، وان لم يشر القدماء الى المصطلح .

وتشكل رسائل "اللبن" و"المطر" لابي زيد الانصاري[٤٧٧]و"النبات" و"الشجر" و"خلق الانسان" للاصمعي (ت ٢١٦هـ) و"الخيل" لابي عبيدة معمر بن المثنى[٤٧٨] اهم الاعمال التي طبعت مرحلة تدوين اللغة ، فكانت اللبنة الاولى لمعجمات

---

(473) ينظر نفسه ، ٣٠٨ .
(474) الحيوان : ٢٦-٢٧ .
(475) ينظر المصادر الادبية واللغوية في التراث العربي ، ٢٩٥.
(476) ينظر : المعاجم اللغوية بين ماضيها وحاضرها ، ٣١١ .
(477) ينظر : اللبأ واللبن (ضمن البلغة في شذور اللغة)، ٨٢.
(478) ينظر : كتاب النبات والشجر ، ٦٩ .

العربية كما عرفت فيما بعد[479]. فضلاً عن رسائل في "النخل" و"الكرم" و"الشاء" و"الابل" و"السماء" و"الوحوش" و"الخيل" و"النبات" و"الشجر" لابي حنيفة الدينوري .

وكتب ابو عبيد القاسم (ت ٢٢٤هـ) عن الغنم (النعم) و"البهائم" و"السباع" و"الطير" والهوام وحشرات الارض واشتهر ابن السكيت (ت ٢٢٤هـ) في هذا اللون من التأليف .

كما اشتهر ايضاً ابو حاتم السجستاني (ت ٢٢٥هـ) وابن خالويه (ت: ٣٧٠هـ) وكتب احمد بن وتد (ت ٢٩٩هـ) عن النبات والانواع ، وألف ابن دريد (ت ٣٢١هـ) في السرج واللجام والمطر والسحاب والزجاج .

وتتابعت الرسائل الموضوعية فعمدت بعضها الى التصنيف الصرفي ، وكثرت الرسائل اللغوية في الإبدال والأبنية ليونس بن حبيب (ت:١٨٢هـ) ، وابن مرار الشيباني كرسائل الهمز والابنية نحو (فعلت) و(أفعلت) وألف في هذه المواضع الفراء أيضا .

ومما يثبت ما سبق ان الأمة الغربية لم تألف معاجمها الموضوعية الا في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، ولكن يمكن القول : ان نظرية الحقول الدلالية تطورت على ايدي علمائها ، ونمت بعد جهودهم المتواصلة ، فكانت واضحة المعالم ومعروفة الحدود ، ولم تعد نظرية فحسب بل اصبحت منهجاً له تطبيقاته في مجالات كثيرة مثل النص الادبي والترجمة والتعليمية وصناعة المعاجم وما الى ذلك من الميادين .

لقد كانت العربية التي جمع العلماء موادها في القرون الاولى من درسهم اللغوي من اغنى اللغات الفاظاً واوسعها متناً ، فهي لسان قوم يميلون الى الوضوح والدقة ، ويضيفون للشيء او المعنى مجموعة من الالفاظ تعبر عن كل ما يتصل به وتستوضح صفاته ومراتبه تكون في ذلك ملامح بينة للمنهج الدلالي اللغوي الذي امتلكته هذه اللغة الحية ، الذي كشف عن اساليب اهلها في توزيع الالفاظ عن المعاني بدلالات مختلفة وتوليد هذه الدلالات من المعاني الحسية التي تكونت من افعال مادية ارتقى المعنى فيها وتشابك بالظاهرة المجازية فكثرت الحقول والمجالات المعنوية وتشعبت بصورة استدعت الاعجاب والدهشة .

انواع الحقول الدلالية :

يقسم الدارسون الحقول الدلالية الى انواع وهي كالآتي :

١. الكلمات المترادفة والكلمات المتضادة التي تكون العلاقة بينها على شكل التضاد "لان النقيض يستدعي النقيض في عملية التفكير والمنطق فعندما نطلق حكماً ما نتأكد من صحته وتماسك بنيته في العودة الى حكم يعاكسه ، ومن هنا تنشأ

(479) ينظر : ضحى الاسلام ، ٣٦٥/١ وينظر دلالة الالفاظ ، ٢٢٦-٢٢٨ .

عملية الحقول المتناقضة فاللون الاسود يستدعي الابيض ، والطويل يناقض القصير ، والكبير يعاكس الصغير والغني عكس الفقير[480].

٢. الاوزان الاشتقاقية : وهي حقول صرفية تلاحظ في اللغة العربية بصورة اوضح مما في اللغات الاخرى ، وتُصنّف الوحدات في هذا المجال بناء على قرابة الكلمات في ضوء العلاقات الصرفية التي تُعّد سمة صورية ودلالية مشتركة بينها داخل الحقل الواحد . وهذا النوع من الحقول موجود في اللغة العربية اكثر من غيرها من اللغات فقد تدل صيغة "فِعالة" – بكسر الفاء – على المهن والصنائع مثل : جزارة – سِفانة ، نِجارة في حين تدل صيغة "مفعل" على المكان مثل مسبح – منزل – مربد[481].

٣. عناصر الكلام وتصنيفاتها النحوية .

٤. الحقول التركيبية : وتشمل مجموع الكلمات التي ترتبط فيما بينها عن طريق الاستعمال ، ولكنها لا تقع في الموقع النحوي نفسه وكان "بورزيغ" اول من درس هذه الحقول اذ اهتم بالكلمات الآتية .

كلب – نباح / طعام – يقدم / يرى – عين .

فرس – صهيل / يمشي – يتقدم / يسمع – اذن .

زهرة – تفتح / ينتقل – سيارة / اشقر – شعر[482].

((وواضح مما ذكر ان العلاقة بين الكلمات لا يمكن ان تكون مع غيرها فنباح يطلق على الكلب فقط ، بينما الصهيل لا يكون الا للفرس والحصان ولعل هذا البحث ذو صلة بالتحليل المؤلفاتي لمعاني الالفاظ ولذلك لا يمكن ان تركب كلمة سيارة مع يسمع على اساس انها فاعل ليسمع))[483] .

٥.الحقول المتدرجة الدلالة : وهي التي تكون فيها العلاقة متدرجة بين الكلمات فقد ترد من الاعلى الى الاسفل او العكس او تربط بين بناها قرابة دلالية ، فجسم الانسان كمفهوم عام يتجزأ وينقسم الى مفاهيم صغيرة (الرأس ، الصدر ، البطن ، الاطراف العلوية ، الاطراف السفلية) ثم يتجزأ كل منها الى مفاهيم صغرى ، فاصغر الاطراف العلوية مثلاً "اليد ، الرسغ ، الساعد ، العضد" واليد (الكف والراح والاصابع) وهكذا[484]. ونجد ان هناك تداخل واسع بين مختلف الحقول الدلالية في القرآن الكريم مثل :

قوله تعالى : "وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ" الاعراف (١٥٤) .

سكت : السكوت مختص بترك الكلام ، ورجل سكيت وساكوت كثير السكوت ولما كان السكوت ضرباً من السكون استعير له في قوله تعالى المتقدم[485].

---

(480) ينظر درعيات ابي العلاء ، ٣٤ .
(481) ينظر : مدخل الى علم الدلالة : شاكر سالم، ٤٦ .
(482) ينظر : علم الدلالة ، احمد مختار عمر ، ٨٠-٨١ .
(483) اصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية : ١١
(484) ينظر الالسنية العربية . د.ريمون طحان ، ٩٦-٩٧ .
(485) ينظر : معجم مفردات الفاظ القرآن ، ٢٤٢ .

((وهذه من جليات الاستعارة لان الغضب لا يوصف بالسكوت وانما المعنى : لما فتر عن موسى الغضب وخبت جمرته وكسرت شوكته ، وانما قيل سكت لان الغضبان ابداً يكثر خصامه ويعلو كلامه ، واذا سكت غضبه زالت عنه تلك الصفة فحسن ان يقال : سكت عنه الغضب لان سكوت غضبه كان السبب في انقطاع ضجاجة وشغبه فلما كان الغضب سبب كلام موسى لهارون (عليهما السلام) وعتابه له ومراجعة القول بينه وبينه وبان له من عذر اخيه ما سكن به غضبه وانقطع منه عتبه جاز ان يوصف الغضب بالسكوت عنه وان كان هو الساكت لا الغضب على الحقيقة))(٤٨٦) .

((وقيل ان هذا مثل كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له : قل لقومك كذا ، والق الالواح ، وجرّ برأس اخيك اليك ، فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ... ولما سكن عن موسى الغضب ، ولا تجد النفس عندها شيئاً من تلك الهزة وطرفاً من تلك الروعة ، وقريء : ولما سكت واسكت أي : اسكته الله او اخوه باعتذاره اليه وتنصله ، والمعنى : ولما طفئ غضبه))(٤٨٧) .

والسكوت مستعار لذهاب الغضب عنه ، وحُسن هذا التشبيه فان الغضبان يجيش في نفسه حديث للنفس يدفعه الى افعال يطفئ بها ثوران غضبه ، فإذا سكت غضبه وهدأت نفسه كان ذلك بمنزلة سكوت المغري ، فلذلك اطلق عليه السكوت ، وهذا يستلزم تشبيه الغضب بالناطق المغري على طريقة المكنية فاجتمع استعارتان ، او هو إستعارة تمثيلية مكنية ، لانه لم تذكر الهيئة الشبه بها ورُمز اليها بذكر شيء من روافدها وهو السكوت ، وفي هذا ما يؤيد فان القاء الالواح كان اثراً للغضب(٤٨٨).

فشبه القرآن هنا الغضب بإنسان يتكلم ، ويحرض ، ويدعو غيره الى الثورة ويغريه بتصرف يوقع بينه وبين الآخرين وقد استجاب له النبي موسى (عليه السلام) . ثم بعد ذلك سكت ذلك المحرض المؤثر ، فذهبت عنه (عليه السلام) كل علامات الغضب والتوتر ، ورجع الى حالته الطبيعية . كل هذا التصوير جاء بفضل استعارة صفة السكوت للغضب والمزج بينهما بحيث رأينا الغضب يتجسد امامنا انساناً قادراً على الكلام والسكوت .

وهكذا نجد ان التداخل بين الحقول الدلالية قد اعطى دلالة واضفى اخرى الى فعل الجارحة (سكت) فقد نسبه الى الغضب ، واضاف اليه دلالة مجازية نقلته من حقل دلالي الى حقل آخر ليصبح بذلك فعلاً للامور المعنوية كالغضب مثلاً بعد ان كان من الافعال الخاصة بالانسان .

وقوله تعالى : "وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ" التكوير (١٨) .

---

(486) تلخيص البيان ، ٥٠ .

(487) الكشاف ، ٣٨٩/٩ .

(488) ينظر : التحرير والتنوير ، ٣٠٣/٨- ٣٠٤ .

((التنفس : حقيقته : خروج النفس من الحيوان ، واستعير لظهور الضياء مع بقايا الظلام الى تشبيه خروج الضياء بخروج النفس على طريق الاستعارة المصرحة ، او لانه اذا بدا الصبح اقبل معه نسيم ، فجعل ذلك كالتنفس له على طريقة الاستعارة المكنية بتشبيه الصبح بذي نفس مع تشبيه النسيم بالانفاس))(٤٨٩) . وقد اقسم بالصبح حين تنفسه أي : انشقاق ضوءه ، لان تنفس الصبح من مظاهر بديع النظام الذي جعله الله في هذا العالم(٤٩٠).

وقيل : ((ان معنى تنفس الصبح ، أي أنه إذا أقبل بإقباله رَوْح ونسيم فجعل ذلك نفساً له على المجاز))(٤٩١) . ((وهذه من الاستعارات العجيبة ، والتنفس ههنا عبارة عن خروج ضوء الصبح من غموم غسق الليل ، فكأنه متنفس من كرب او متروح من هم ومن ذلك قولهم قد نفس عن فلان الخناق ، أي : انجلى كربه وانفسح قلبه.

وقد يجوز ان يكون معنى "اذا تنفس" أي : اذا انشق وانصدع من قولهم تنفس الاناء اذا انشق وتنفست القوس اذا انصدعت وهذا التأويل يُخرج اللفظ من باب الاستعارة))(٤٩٢) .

((وممكن ان يكون قد استعير خروج النفس شيئاً فشيئاً ، لخروج النور من المشرق ، عند انشقاق الفجر قليلاً قليلاً ، بجامع التتابع على طريق التدرج وهي استعارة محسوس لمحسوس))(٤٩٣) .

وهنا صوّر لنا القرآن - من خلال مزجه بين حقلي صفات الانسان وصفات الظواهر الطبيعية – عملية مجيء الصبح بعد ظلام الليل الدامس لان التنفس فعل من افعال الجوارح التي تخص الانسان وفعاليات جسمه الحيوية ، ولكن بنقله الى حقل آخر صوّر لنا القرآن آلية ظهور نور الصباح كيف انها تأتي على مراحل تتميز بالبطيء من من جهة وبالانتشار المنتظم من جهة اخرى ، ثم ان هذا المعنى يأخذ الذهن الى ان خروج هذا الضوء من غياهب ظلمة الليل تشابه خروج وظهور علامات الانفراج والراحة على نفس المكروب بعد تنفيس غمه . بما في ذلك النسيم المميز الذي يرافق ساعات الفجر الاولى .

ان هذا التصوير الموحي لا يحققه أي تشبيه آخر ، وبالتأكيد فقد اكسبه الدمج بين الحقول الدلالية هذا الاثر الباقي في نفس السامع والمتلقي .

---

(489) التحرير والتنوير ، ٣٠/١٣٦-١٣٧ .
(490) ينظر : التحرير والتنوير ، ٣٠/١٣٧ .
(491) الكشاف ، ٣٠/١١٨٣ .
(492) تلخيص البيان ، ٢٧٢ .
(493) اساليب البيان ، ٤٠٠ .

وقوله تعالى : "إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ" فاطر (١٠)

الصعود : الإذهاب في مكان عال واستعير لما يصل من العبد الى الله والرفع : نقل الشيء من مكان الى مكان اعلى منه ، فالصعود مستعار للبلوغ الى عظيم القدر ، وهو كناية عن القبول لديه(٤٩٤) .

والرفع : حقيقته نقل الجسم من مقره الى أعلى منه أي انه احد افعال الجوارح الخاصة بانتقال الاشياء الى مكان اعلى من محل وجودها الاول ولكنه هنا استعير للتعبير عن القبول عند عظيم ، لان العظيم تتخيله التصورات رفيع المكان . فيكون كل من (يصعد) و(يرفع) تبعتين قرينتي مكنية بان شبه جانب القبول عند الله تعالى بمكان مرتفع لا يصله الا ما يصعد اليه . وانما جيء من جانب العمل الصالح بالاخبار عنه بجملة (يرفعه) ولم يعطف على (الكلم الطيب) في حكم الصعود الى الله مع تساوي الخبر بسبب ان الكلم الطيب يتكيف في الهواء فاسناد الصعود اليه مناسب لماهيته ، واما العمل الصالح فهو كيفيات عارضة لذوات فاعلة ومفعولة فلا يناسبه اسناد الصعود اليه وانما يحسن ان يجعل متعلقاً لرفع يقع عليه ويسخره الى الارتفاع(٤٩٥).

وهذه استعارة وليس المراد ان هناك على الحقيقة شيئاً يوصف بالصعود ويرتقي من سفال الى علو وانما المراد ان القول الطيب والعمل الصالح متقبلان عند الله عز وجل واصلان اليه سبحانه ، بمعنى انهما يبلغان رضاه وينالان زلفاه وانه تعالى لا يضيعهما ولا يهمل الجزاء عليهما وهذا كقول القائل لغيره قد ترقى الى الامير ما فعلته أي بلغه ذلك على وجهه وعرفه على حقيقته وليس يريد به الارتقاء الذي هو الارتفاع وضده الانخفاض . ووجه آخر قيل : معنى ذلك صعود الاقوال والاعمال الى حيث لا يملك الحكم فيه الا الله تعالى كما يقال ارتفع امر القوم الى القاضي اذا انتهوا الى ان يحكم بينهم ويفصل خصامهم .

ووجه آخر قيل : ان الله سبحانه لما كان موصوفاً بالعلو على طريق الجلال والعظمة لا على طريق المدى والمسافة فكلما يتقرب به عن قول زكي وعمل مرضي فالاخبار عنه يقع بلفظ الصعود والارتفاع على المجاز والاتساع(٤٩٦).

((وقرئ إليه يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول واليه يصعد الكلم الطيب على تسمية الفاعل من اصعد أي: يصعد الى الله عز وجل الكلم الطيب واليه يصعد الكلام الطيب، وقرئ والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم او الله عز وجل))(٤٩٧) .

---

(494) **ينظر : المفردات ، ٦١٥**
(495)**ينظر التحرير والتنوير ، ٢٢/١٣٠-١٣١ .**
(496) ينظر: **تلخيص البيان ، ١٩٦ ، ١٩٧**

وهنا نجد القرآن قد استعار صفة صعود الاشياء ووصف بها عمل المؤمن الصالح ليعلم المؤمنين بان اعمالهم لا تحتاج الى واسطة لتصل اليه سبحانه بل انها كمن خلق يملك القدرة على الصعود والوصول الى الغاية التي يريدها ، وهو بذلك مزج بين حقلين دلاليين لاجل ان يوصل لنا معنى تشترك فيه الاشياء المادية والامور المعنوية الا وهو الصعود الذاتي ، اذاً فالخالق جل وعلى وان كانت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو العلي العظيم المتكبر الجبار القادر القوي ، مع كل هذه الصفات وغيرها فهو لم يجعل عبده محتاجاً الى من يوصل عمله الى مولاه بل تصل اعماله من تلقاء نفسها لما اودع فيها من قدرة ذاتية على الصعود الى المقام الجليل .

وقوله تعالى : "**فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم**" ابراهيم (٣٧) .

الهُوي : ((ذهاب في انحدار والهوَي ذهاب في ارتفاع))[٤٩٨] .

((وقُرَيء : تهوي اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره ، وتهوي اليهم من هوى يهوي اذا احب ضمن معنى تنزع))[٤٩٩] .

((وقيل ان معنى (تهوي اليهم) تُسرع اليهم وتطير نحوهم شوقاً ونزاعاً من قوله يهوي مخارمها هوي الاجدل))[٥٠٠] .

((وهذه من احسن الاستعارات ، وحقيقة الهوي من علو الى انخفاض كالهبوط والمراد به ههنا البلاغة في صفة الافئدة بالنزوع الى المقيمين بذلك المكان ، ولو قال سبحانه : تحن اليهم لم يكن فيه من الفائدة ما في قوله سبحانه "تهوي اليهم" لان الحنين قد يوصف به من هو مقيم في مكانه ، والهُويّ يفيد انزعاج الهاوي من مستقره))[٥٠١] .

والافئدة : جمع فؤاد ، وهو القلب . والمراد به هنا النفس والعقل .

والمراد : فاجعل اناساً يهوون اليهم . فاقحم لفظ الافئدة لارادة ان يكون مسير الناس اليهم عن شوق ومحبة حتى كأن المسرع هو الفؤاد لا الجسد فلما ذكر (افئدة) لهذه النكتة حسن بيانه بانهم (من الناس) فـ (من) بيانية لا تبعيضية ، اذ لا طائل تحته . والمعنى فاجعل اناساً يقصدونهم بحبات قلوبهم .

وتهوي – مضارع هوى بفتح الواو – سقط . واطلق هنا على الاسراع في المشي استعارة ، ولذلك عَدي باللام دون (على) . والاسراع : جعل كناية عن المحبة والشوق الى زيارتهم . والمقصود من هذا الدعاء : تأنيس مكانهم بتردد الزائرين وقضاء حوائجهم منهم .

---

(497) الكشاف ، ٨٨٢/٢ .
(498) المفردات، ٥٤٥.
(499) الكشاف ، ٥٥٣/١٣-٥٥٤ .
(500) نفسه ، ٥٥٤/١٣.
(501) تلخيص البيان ، ١٩٨ .

والتنكير مطلق يحمل على المتعارف في عمران المدن والأسواق بالواردين ، فلذلك لم يقيده في الدعاء بما يدل على الكثرة اكتفاء بما هو معروف[502].

هنا أراد القرآن وعلى لسان نبينا إبراهيم (عليه السلام) لأولاده ، أقصى درجات الحب واعلى مراتب الهوى ، فهو حب لا يستطيع معه صاحبه البقاء في مكان ومن يحبه في مكان آخر بل جعل الشوق يطير بهم طيراناً الى الذرية الصالحة وجعلهم كالذي يلقي بنفسه على من يحب تماماً كما يتصرف المحب الوله اذا هزه الشوق والحنين لانه (عليه السلام) يعلم تماماً ان من لا يتمتع بهكذا حب لاولاده لا يستطيع تحمل مشاق الاقامة بالقرب منهم ومساعدتهم ومساندتهم في اقامة الدين وشعائر الله المكلفون باقامتها فاستعار صفة السقوط وفعل الجارحة (هوي) من حقل وخلعها على قلوب المؤمنين وهي بالطبع من حقل آخر بعيد عن تلك الصفة .

وقوله تعالى : "فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وكفلها زكريا..." آل عمران (٣٧) .

((النبت والنبات ما يخرج من الارض من الناميات))[503] .

((وهو مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها))[504].

وقيل انشأها انشاءً صالحاً ، وذلك في الخُلق ونزاهة الباطن ، فشبه انشاؤها وشبابها بانبات النبات الغض على طريق الاستعارة فقد استعار الفعل أنبت الخاص بالنبات الى موضوع تربية الانسان وتنشئته ، ونبات (مفعول مطلق) لانبت وهو مصدر نبت وانما اجري على انبت للتخفيف[505].

وقيل : ((شبه حاله ، في حسن تربيتها – حيث اعاذها من الشيطان الرجيم ، من اول الولادة الى خاتمة الحياة ، ورعايتها بما ينفعها ، فيما يصلح في جميع الاوقات ، كالصلاح والسداد والعفة والطاعة – بحال الزارع مع زرعه ، فانه ما يزال يتعهد زرعه بالعناية ويسقيه ، ويحميه من الآفات . فاطلق التركيب الدال على المشبه به ، في سبيل الاستعارة التمثيلية))[506].

((وجوز ان يكون مجازاً مرسلاً بعلاقة اللزوم . فان الزارع يتعهد زرعه ، ويسقيه عند الاحتياج ويحميه من الآفات ، ويقلع ما يخنقه من النبات))[507] .

افاد الانتقال بين حقل النبات وحقل الانسان اكساب معنى التربية الحسنة والتنشئة الصالحة معنى اعمق اذ لو قال احسن تربيتها او احاطتها بعنايته ما ادت معنى الانبات

---

(502) التحرير والتنوير ، ٢٦٤/١٢ .
(503) معجم مفردات الفاظ القرآن ، ٦١٧ .
(504) الكشاف ، ١٧٠/٣ .
(505) ينظر: التحرير والتنوير ، ٨٠٨/٣ .
(506) أساليب البيان ، ٦٣٨ .
(507) روح المعاني ، ١٣٩/٣ .

الحسن ، لما في الانبات المتميز بالاهتمام من معاني ثانوية تضاف الى باقي معاني التربية الصالحة اذ ان الزارع يعتني بزرعه منذ كونه بذرة قبل غرسها ثم تأخذ منه الاهتمام الكافي حين الانبات ، وهنا اراد القرآن ان يبين لنا ان البيئة التي نشأت فيها (مريم) هي بيئة مثالية قل نظيرها كالتربة المثالية للغرس والانبات ثم انه تعهد رعايتها كما يتعهد الفلاح زرعه الى حين نضجه وايتاء اكله وهذا ما حدث مع سيدتنا مريم عليها السلام .

وقوله تعالى : "**يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بين ايديهم**..." الحديد (١٢) .

((وهذه استعارة على احد التأويلين وهو ان يكون المعنى ان ايمانهم في القيامة هادٍ لهم ومطرِّق بين ايديهم وواصل لاجنحتهم فجرى مجرى النور الهادي في طريقهم بمعنى انهم يسعون الى الموقف غير عاثرين ولا متعتعتين ولا مخوفين ولا مروعين كما يكون غيرهم من لا ايمان له ولا هدى معه فكأنهم بكونهم على تلك الحالة يسيرون بدليل مسكون الى دلالته وفي ضياء موثوق بهدايته))(٥٠٨) .

((لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين ، كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم فجعل النور من الجهتين شعاراً لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض افلحوا ، فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون ، سعى بسعيهم ذلك النور جنباً لهم ومتقدماً . ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة "بشراكم اليوم"))(٥٠٩) .

والنور المذكور هنا نور حقيقي يجعله الله المؤمنين في مسيرهم من مكان الحشر اكراماً لهم وتنويهاً بهم في ذلك المحشر .

والمعنى : يسعى نورهم حين يسعون ، فحذف ذلك لان النور انما يسعى اذا سعى صاحبه والا لإنفصل عنه وتركه . واضافة (نور) الى الضمير هم وجعل مكانه من بين ايديهم وبايمانهم يبين انه نور لذواتهم اكرموا به(٥١٠).

ويعد السعي احد افعال الجوارح الواضحة الدلالة على الحركة من مكان الى آخر وهو قطعاص يقع حسب تصنيف علماء الدلالة . ضمن حقل الصفات التي تخص الانسان . هذه الحركة المقصود اراد لها القرآن معنى آخر فنقلها ووصف بها نور المؤمنين يوم القيامة فمن خصائص النور انتشاره في المكان دونما قصد منه ، الا اننا نجد هنا نوراً متحركاً ساعياً امام صاحبه . هذه الصفة التي اكسبها القرآن لنور المؤمنين ناقلاً لها من

---

(508) تلخيص البيان ، ٢٤١ .
(509) الكشاف ، ١٠٨٢/٢٧ .
(510) ينظر : الامثل ، ٣٧/١٨ .

حقل صفات الانسان تعد نكتة بلاغية واعجازية وهي ان القرآن اراد ان هذا النور نورٌ الهي وليس نوراً تقليدياً بل هو يسعى ليعرِّف عن صاحبه يوم المحشر .

وقوله تعالى : "**وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ**" الاعراف (٩) .

((والخسران حقيقته : ضد الربح ، وهو عدم تحصيل التاجر على ما يستفضله من بيعه ، ويستفاد لفقدان نفع ما يرجى منه النفع ومن هذا المعنى المادي الحسي لفعل الجارحة (خسر) انطلق المعنى التجريدي وذلك للدلالة على فقدان الانسان ما يرجى من اعماله وفوائدها في الآخرة ، فمعنى (خسروا انفسهم) فقدوا فوائدها ، فان كل احد يرجو من مواهبه ، وهي مجموعة نفسه ، ان تجلب له النفع وتدفع عنه الضُرّ : بالرأي السَّديد ، وابتكار العمل المفيد ، ونفوس المشركين قد سولت لهم اعمالاً كانت سبب خفة موازين اعمالهم ، أي سبب فقد الاعمال الصالحة منهم ، فكانت نفوسهم كرأس مال التاجر الذي رجا منه زيادة الرزق فاضاعه كله فهو خاسر له ، فكذلك هؤلاء خسروا انفسهم اذ اوقعتهم في العذاب المقيم))(٥١١) .

وهذه (استعارة) لان الخسران في احد معانيه انما هو النقص في اثمان المبيعات وذلك يخص الاموال لا النفوس الا انه سبحانه لما جاء بذكر الموازين وثقلها وخفتها جاء بذكر الخسران بعدها ليكون الكلام متفقاً ، وقصص الحال متطابقاً فكأنه تعالى جعل نفوسهم لهم بمنزلة العروض المملوكة اذ كانوا يوصفون بانهم يملكون نفوسهم كما يوصفون بانهم يملكون اموالهم ، وذكر خسرانهم لها لانهم عروضها للخسار واوجبوا لها عذاب النار ، فصارت في حكم العروض المتلفات ، وتجاوزوا حد الخسران في الايمان الى حد الخسران في الاعيان(٥١٢).

ليس هناك كلمة ابلغ من كلمة الخسران تطلق على من سلَّم نفسه وباراداته في الدنيا الى عذاب الآخرة ، فإتلاف النفس بهذه الكيفية هو بالتأكيد فقدان كلي لها ، وخسارة عظيمة للذات ، فبدل ان يرتقي بنفسه الى مراتب عالية من الجنان نزل بها الى اسفل مرتبة وهي دخول النار . وبهذا فقد حقق الانتقال بين هذين الحقلين – حقل الاعيان وخسارتها الى حقل الانسان ونفسه دلالة اضافية للفعل (خسر) .

قوله تعالى : "**وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا ربُ السموات والارض...**" الكهف (١٤) .

---

(511) التحرير والتنوير ، ٢٥/٨ .
(512) ينظر : تلخيص البيان ، ٤١ .

((ربط : ربط الفرس شده بالمكان للحفظ ، ومنه رباط الجيش ، وسمي المكان الذي يُخَصُّ بإقامة حَفَظه فيه ، رَباطاً ، وفلان رابط الجأش اذا قويَّ قلبه))(٥١٣).

((والربط على القلب مستعار الى تثبيت الايمان وعدم التردد فيه ، فلما شاع اطلاق القلب على الاعتقاد ، استعير الربط عليه للتثبيت على عقده . كما قال تعالى في الحديث عن ام موسى لتثبيتها ، لتستقر فلا تجزع على ولدها : "لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" القصص (١٠) . ومنه قولهم : هو رابط الجأش . وفي ضده يقال : اضطرب قلبه ، وتعدية فعل (ربطنا) بحرف الاستعلاء للمبالغة في الشد لان حرف الاستعلاء مستعار لمعنى التمكن من الفعل))(٥١٤).

وقيل ان المراد بذلك شددنا على قلوبهم كما تشد الاوعية بالاوكية فتنظم على مكنوناتها ويؤمن التبدد على ما استودع فيها وهذا هو اصل دلالة فعل الجارحة (شدَّ) ومنه بدأت لتنطلق الى معنى اعمق وادل ، وهو تثبيت قلوب المؤمنين وتقوية عزائمهم ، أي : فشددنا على قلوبهم لئلا تنحل معاقد صبرها وتهفو عزائم جلدها ومن ذلك قول القائل لصاحبه : ربط الله على قلبك بالصبر(٥١٥).

((وقيل ان معناه : وقويناهم بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران ، وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام))(٥١٦).

يعبر القرآن هنا عن تثبيت ايمان وقلب المؤمنين بالشد والربط وبهذا فقد استعار لفظ الربط من حقل دلالي مختلف عن حقل القلب وانفعالاته وبهذا فقد صوَّر لنا شدة قلق القلب واضطرابه الذي لولا ربطه وشده لخرج من مكانه ، فقواه سبحانه بالصبر والجلد والثبات .

وقوله تعالى : "فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ..." التوبة (٥) .

((سلخ : السلخ نزع جلد الحيوان ، يقال سلخته فانسلخ ، وسلخ الشهر وانسلخ))(٥١٧) .

وقد استعمل فعل الجارحة (انسلخ) في غير ما وضع له من هذه الآية ، وذلك لنقله من حقل الى آخر ، فتبدلت دلالته الاولى وانصرفت الى دلالة اخرى ، فبعد ان كان يدل على سلخ جلد الحيوان استعيرت هذه الصفة لتطلق على انقضاء الاشهر وتمامها ، ثم شاع هذا الاطلاق حتى صار حقيقة في هذا المورد .

---

(513) المفردات، ١٩٠.
(514) من وحي القرآن ، ٣٠٣/١٤ .
(515) ينظر تلخيص البيان ، ١٢٣ .
(516) الكشاف ، ٦١٢/١٥ .
(517) المفردات، ٢٤٤.

وانسلاخها انقضاء المدة المتتابعة منها ، وقد بقيت حرمتها ما بقي من المشركين قبيلة ، لمصلحة الفريقين ، فلما آمن جميع العرب بطل حكم حرمة الاشهر الحرم ، لان حرمة المحارم الاسلامية اغنت عنها ، والمقصود هنا : ان حرمة العهد قد زالت[٥١٨].

((وهذه استعارة لان حقيقة السلخ هي اخراج الشيء مما لابسه وخالطه الا ترى انك تقول سلخت الشاة اذا جردتها من جلدها ولا تقول سلخت القميص اذا نزعته عنك لما لم يكن بينه وبين جسدك ممازجة ولا مخالطة فيجوز ان يكون بمعنى انسلاخ الاشهر الحرم ههنا تجردها من بقية الشهور بانقضائها مجرداً مشهوراً على خلاف بعض الشهور لتتابع الاشهر الحرم في مباديها وخواتمها واشتهارها في هواديها وروافدها فيكون انقضاؤها مشهوراً كما كان ابتداؤها مشهوراً فلفضل شهرتها على بقية الاشهر ووصفت بصفة مخالفة لها وزائدة فقيل انسلخت ولم يقل انقضت))[٥١٩] .

اذن فاخذ صفة السلخ من حقل الحيوان – وهي اخراج شيء مما لابسه – الى حقل الجمادات ومنها اشهر السنة ، افاد ان هناك مداخلة وممازجة بين ايام تلك الاشهر ، وهذا الامر واقع فعلاً ، ودليله الاختلافات الكثيرة بين الناس -والمسلمين خاصة- في بداية الاشهر القمرية ، علماً ان بداياتها قد تحكم افعالاً عبادية في غاية الاهمية ومنها صيام شهر رمضان ونهايته وايام الحج المباركة ، فهذا التداخل بين الحقول الدلالية هنا يدل ويوحي بالتداخل الحاصل بين الاشهر . وقد قال القرآن عن انقضاء شهر بانه قد سلخ من الذي بعده لان الايام متداخلة جداً بحيث يصعب الفصل بينها .

وقوله تعالى : "**قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا**" البقرة (٢٥٠) .

((فرغ : الفراغ خلاف الشغل وقد فَرَغ فراغاً وفُرُغاً وهو فارغ . وافرغت الدلو صببت ما فيه ، ومنه استعير "افرغ علينا صبراً))[٥٢٠].

((وهذه استعارة كأنهم قالوا امطرنا صبراً واسقنا صبراً ، وفي قوله افرغ زيادة فائدة على قوله : انزل لان الافراغ يفيد سعة الشيء وكثرته انصبابه وسرعته))[٥٢١] لان الدلالة الاولية للفعل (افرغ) هي صب ما في الاناء حتى آخر ما فيه فيصير فارغاً ، ثم تطورت هذه الدلالة الى معنى آخر ليطلق في غير ما وضع له على المبالغة في طلب الصبر والتثبت عليه .

وهذا هو دعاؤهم حين اللقاء بطلب الصبر من الله ، وعبّروا عن الهامهم الصبر بالافراغ استعارة لقوة الصبر فان القوة والكثرة يتعاوران الالفاظ الدالة عليهما .

---

(518) ينظر: الميزان ، ٩ : ١٥٤ .
(519) تلخيص البيان ، ٥٧ .
(520) المفردات: ٣٩١.
(521) تلخيص البيان ، ١٤ ، وينظر : اساليب البيان في القرآن ، ٤٨٤ .

فاستعير الافراغ هنا للكثرة مع التعميم والاحاطة[٥٢٢] . ((حيث شبه انزال الصبر واكثاره عليهم ، بافراغ الماء في الفيضان ، لان افراغ الماء هو صبه بالكلية من الاناء ، فيكون غامراً لما يصب عليه ثم قيل (افرغ) بدل (انزل) على سبيل الاستعارة التبعية))[٥٢٣] .

وجُعل الصبر بمنزلة الماء المنصب عليهم لثلج صدورهم واغنائهم عن الماء الذي منعوا منه . فيكون (الصبر) استعارة مكنية و(اثبات الافراغ) تخييل وجعل ايقاع الافراغ عليه قرينة الاستعارة المكنية لان الافراغ يستعمل في الماء .

وقيل افرغ بمعنى : افض علينا صبراً يغمرنا كما يفرغ الماء فـ (افرغ) استعارة تصريحية تبعية . وصبراً قرينتها . أي هب لنا صبراً تاماً كثيراً ، وفي كلا الوجهين المبالغة في طلب الصبر على مشاهدة المخاوف[٥٢٤].

وهكذا نلاحظ ان القرآن قد استعمل لفظة (افرغ) للتعبير عن الصبر في دعاء اصحاب جالوت ، وهي من حقل بعيد نسبياً عن حقل الصبر وصفاته ، فقد افاد هذا الاستعمال اضفاء صفات الافراغ على الصبر الذي تمناه المؤمنون من السرعة والكثرة والسرعة في الانصباب والاحاطة بهم من كل جانب .

وقوله تعالى : "**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**" الاعراف (١٥٦) .

((السعة : تقال في الامكنة وفي الحال وفي الفعل كالقدرة والجود ونحو ذلك ووسع الشيء اتسع ، والوُسْع الجدة والطاقة ، ويقال : ينفق على قدر وسِعِه ، واوْسع فلان اذا كان له الغنى وصار ذا سعة وقوله تعالى المتقدم عبارة عن سعة افضاله ورحمته))[٥٢٥] .

((والسعة : مستعملة مجازاً في الاحاطة بكل شيء لان الشيء الواسع يكون اكثر احاطة فوسع كل شيء : وسعة رحمة ربنا كل شيء))[٥٢٦] .

وقيل ان السعة لا توصف بها الا الاشياء والرحمة عرض من الاعراض . فيكون المراد : ان رحمتي لا تضيق عمن استرحمني بانابة بعد معصية وتوبة بعد حطة وانما قال سبحانه ذلك لئلا يقنط الجارم او ييأس المذنب فيحجم عن التوبة ويذهل عن الاستقالة[٥٢٧].

وقيل ايضاً هي سمة من سمات رحمة الله التي من حال وصفها انها واسعة تبلغ كل شيء . ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمة الله[٥٢٨].

---

(522) ينظر : الامثل ، ١٥٦/٢ .
(523) اساليب البيان ، ٥٦٧ .
(524) ينظر : اساليب البيان ، ٥٣٦ .
(525) المفردات، ٥٦٠ .
(526) التبيان ، ٥٥٧/٤ .
(527) ينظر : تلخيص البيان ، ٥١ .
(528) ينظر : الكشاف ، ٣٩٠/٩ .

أي ان وعد تعريض بحصول الرحمة المسؤولة له ولمن معه من المختارين ، لانها لما وسعت كل شيء منهم فهم ارجى الناس بها ، وان العاصين هم ايضاً مغمورون بالرحمة ، فمنها رحمة الامهال والرزق[529].

((وقرأ الحسن : من اساء منكم من الاساءة فسأكتب هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يكونون في آخر الزمان من امة محمد (صلى الله عليه وآله) الذين هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها))[530] .

اذن فقد استعمل القرآن هنا الانتقال بين الحقول الدلالية لتجسيد المعنى المراد ايصاله الى المتلقين ، وهو هنا يحول الرحمة الى شيء ملموس تدركه الحواس – وهو عرض الاشياء وسعتها – ليدرك العباد انه رحيم بعباده رحمة واسعة لا تضيق ابداً مهما بلغ مستحقيها .

وقوله تعالى : "**وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**" الاعراف (١٥٧) .

وحقيقة الوضع : الحط من علو الى سفل ، وهو هنا مجاز في ابطال التكليف بالاعمال الشاقة . فاستعير (يضع عنهم) هنا الى ازالة التكليفات التي هي كالاصر والاغلال فيشمل الوضع معنى النسخ[531].

((الاصر : الثقل يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله ، وهو مَثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الانفس في صحة توبتهم . وكذلك الاغلال مَثل لما كانوا في شرائعهم من الاشياء نحو : بت القضاء بالقصاص عمداً كان أو خطأً من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وغير ذلك))[532] . وعلى هذا يكون (ويضع عنهم اصرهم) تمثيلية بتشبيه حال المزال عنه ما يخرجه من التكاليف بحال من كان محملاً بثقل فازيل عن ظهره ثقله وبهذا فهو احد افعال الجوارح التي تطورت دلالتها من مجرد الحط من علو الى سفل الى تخفيف الاحكام الشرعية عن المكلفين ، وان لم يكن كذلك كان "الاصر" استعارة مكنية و(يضع) تخييلاً ، وهو ايضاً استعارة تبعية للازالة[533].

اذن فقد اوجد القرآن الكريم – من خلال حقلين دلالين مختلفين – حقل الاثقال وكيفية ازالتها وحقل التكاليف الشرعية – علاقة خفية وان كانت محسوسة ، وهي تشبيه حال من خففت عنه الاحكام الشرعية بحال من كان مقيداً باثقال كان محملاً بها ، وفقدَ مع وجودها قدرته على الحراك ثم ازيلت وطرحت عنه ، كيف انه استرد حريته وراحته بعد تلك الازالة.

---

(529) ينظر : جوامع الجامع ، ٤٧٥/١ .
(530) الكشاف ، ٣٩٠/٩ .
(531) ينظر : مجمع البيان ، ٤٨٦/٢ .
(532) الكشاف ، ٣٩٠/٩ .
(533) ينظر : التبيان ، ٤٧٥/١

الباب الثاني الفصل الثالث
ظاهرة التراكم الدلالي

التراكم الدلالي:

التراكم لغة: ((مصدر مشتق من الفعل(تراكم) الذي جذره (رَكَمَ) و (الرَكْمُ: جمعك شيئاً فوق شيء حتى تجعله ركاماً مركوماً كركام الرمل والسحاب ونحوه من الشيء المرتكم بعضه على بعض) و (رَكَمَ المتاع فأرَتَكَمَ وتراكم وسحاب ورمل مركوم وركام ومُرْتَكِمٌ ومتراكم ومن المجاز تَرَاكَمَ لحم الناقة اذا سَمِنَتْ وناقة مركومة: سمينة وتراكمت الاشغال وارتكمت) و (الركم جمع شيء فوق آخر حتى يصير ركاماً مركوماً كركام الرمل وتطيع ركام: ضخم ، وارتكم الشيء وتراكم: اجتمع))[٥٣٤] و((الركم: جعلك شيئاً فوق شيء حتى تجعله ركاماً مركوماً كركام الرمل والسحاب ونحو ذلك من الشيء المرتكِم بعضه على بعض، وركم الشيء ويركمه اذا جمعه والقى بعضه على بعض وهو مركوم بعضه على بعض وارتكم الشيء وتراكم اذا اجتمع.... الركم القاء بعض الشيء على بعض وتنضيده، ركمه يركمه ركماً وارتكم وتراكم ، وشيء ركام بعضه على بعض))[٥٣٥] ويتضح مما سبق ان التراكم هو ضم اشياء الى اشياء وجمعها معها وتنضيدها فوقها لتصبح متراكمة متراكبة مكونة شيئاً جديداً ضخماً.

اما في الاصطلاح: فلم يذكر للتراكم سوى تعريف واحد ضمن مفهوم تكرار التراكم وهو التكرار الذي يشير الى الزيادة او كثافة الاضافة المؤدية الى دلالة تجسد نوعاً من التضخيم المنظم[٥٣٦] وانطلاقاً من المعنى اللغوي مروراً بهذا المصطلح يمكن القول ((ان التراكم الدلالي مصطلح يعني توالي اكثر من دال على مدلول عام واحد ضخم فتجتمع الدوال بعضها مع بعض مكونة دلالة متراكمة))[٥٣٧].

طرائق التراكم الدلالي:

اولاً: طرائق التراكم الدلالي الصريح:

التراكم الدلالي الصريح: ((وهو ان يكون التراكم ذاته واضحاً ومصرحاً به بالفاظ وعبارات صريحة لكونها مراكمة للدلالة لا تحتاج تأويلاً ولا تقديراً ولا استنباطاً ولا استنتاجاً، ويؤدي هذا القسم من التراكم الدلالي بالمفردة والتركيب والنص وهو على انواع كثيرة منها))[٥٣٨]:-

---

(534) **لسان العرب: ركم.**
(535) **نفسه : ركم.**
(536) **ينظر: تكرار التراكم وتكرار التلاشي:٧.**
(537) **التراكم الدلالي ١٥.**
(538) **التراكم الدلالي، مجيد طارش عبد ، رسالة دكتوراه ٢٠.**

١. ما تؤديه لفظه مفردة: وهنا تؤدي الدلالة الاساسية بالفاظها الموضوعة لها ثم تأتي لفظة مفردة تقوم بركم الدلالة، ومن انواعه:

أ/ الحروف والادوات مثل انَّ، لام التوكيد، اللام الموطئة للقسم.

ب/ الزوائد : هناك بعض الحروف تدخل على الجملة العربية فتعطيها دلالة زائدة على دلالتها الاصلية تسمى بـ(الحروف الزوائد)[٥٣٩] فهي تدل دلالة مضاعفة على دلالة الجملة مراكمة بذلك دلالتها، الا ان بعض العلماء رفض هذه التسمية فاطلق عليها تسميات اخرى مثل (تأكيداً) او (صلةً)[٥٤٠] وقد اشار الى هذا المعنى ابن جني بقوله"كل حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام اعادة الجملة مرة اخرى[٥٤١] وقد استدل بهذه المقولة احد الباحثين في مجال التراكم الدلالي* وعده تصريح بـ(ظاهرة التراكم الدلالي) في اللغة الذي تقوم به هنا هذه الحروف، فانها باعادتها الجملة تكون قد دلت عليها دلالة اخرى تضاف الى دلالتها الاصلية، ومن هذه الحروف: ما منفردة او مع اذا، ان مزيدة بعد لما، لا ، الكاف.

جـ/ توكيد الضمائر بنظائرها:

كثيراً ما يستعمل الضمير في اللغة عوضاً عن اعادة الاسم الظاهر، ويُعد هذا الاستعمال ضرباً من التراكم الدلالي، فالضمير انما هو تعبير عن الاسم الظاهر بلفظ مغايرٍ له فيكون الاسم الظاهر قد دُلَّ عليه مرتين تراكمتا، مرة به بنفسه واخرى بضميره، وقد يؤكد الضمير بضمير مناظر له فتجتمع دلالة كل من الضميرين مكونة تراكماً دلالياً ولتوكيد الضمائر اكثر من صورة:

١. توكيد الضمير المتصل بالضمير المتصل .
٢. توكيد الضمير المتصل بنظيره المنفصل .
٣. توكيد الضمير المضمر بالمظهر.

٢. ما يؤديه تركيب:-

والمقصود هنا ان التراكم الدلالي يحصل بمجموع الالفاظ المكوِّنة للتركيب، وان كان في بعض انواعه تؤدِّيه لفظة، لكن هذه اللفظة تؤديه بموقعها في التركيب لا بمفردها، وهذا القسم انواع منها[٥٤٢]:

أ/ البدل وعطف البيان. ب/ المفعول المطلق وما ينوب عنه. جـ/ الترادف د/القسم. هـ/التقديم .

٣. ما يؤديه نص:

أ/ الاطناب ويشمل التذييل والزيادة على الجواب.

ب/ التكرار

ج/ التفسير (الايضاح بعد الايهام).

---

(539) **ينظر إعراب القرآن المنسوب للزجاج ١٣٧/١-١٣٨.**

(540) **ينظر البرهان، الزركشي، ٧٠/٣.**

(541) **ينظر الخصائص، ج ٢، /٢٧٦.**

***ينظر التراكم الدلالي ، ٢١.**

(542) **للتفاصيل ينظر: التراكم الدلالي رسالة دكتوراه،٢٥ وما بعدها.**

د/ ذكر الخاص بعد العام.
هـ/ ذكر المعلوم.

ثانياً: التراكم الدلالي الرمزي:

((ان الدلالة بعامة تأخذ مسارين، المباشرة والرمزية والاولى هي التي يكون الدال فيها واضحاً في التعبير عن المعنى المعلوم انه مدلوله، والرمزية يكون فيها الدال خفياً في التعبير عن المعنى الذي يكون وحياً للدال، والدال رمزاً له وإشارة))[٥٤٣] فينبغي فيها معرفة اساليب التعبير وفنونه وعلاقات الدوال بالمعاني للوقوف عليها والاحاطة بها، والتراكم الدلالي مثل الدلالة فهو واحد من فنونها في دلالته على المعنى فقد يكون مباشراً أي صريحاً وقد يكون رمزياً ويؤدى باساليب التعبير المعروفة (المفردة والتركيب والنص).

اولاً: ما تؤديه مفردة:

١. تعاور الحروف .
٢. النكرة بدل المعرفة.
٣. التعبير عن المفرد بصيغة الجمع.
٤. التعبير عن المفرد بالمثنى.
٥. الالفاظ الموحية.

ثانياً: ما يكون موحياً بصيغته مثل صيغة فعلان (الحيوان بدل الحياة) المقنطرة من قنطار وكذلك صيغة فعلل مثل دمدم، كبكب وغيرها .

ثالثاً: ما يؤديه تركيب: وهو انواع منها:-

١. القلب.
٢. الحذف.
٣. القطع.
٤. المجاز.
٥. الاستفهام الانكاري.

---

(543) **علم الدلالة العربي اصوله ومباحثه:٥٥.**

رابعاً: ما يؤديه نص وهو على انواع منها:-
١. الجواب على سؤال مفترض.
٢. الالتفات.
٣. الاعتراض.
٤. التنبيه.

مستويات التراكم الدلالي*:

المستوى الاول: التراكم الدلالي الذي به يحصل (تمكين المعنى).

((ويمثل هذا المستوى المرحلة الرئيسة الاولى من مراحل التراكم الدلالي، وهو التراكم الاولى الابتدائي، وهو كثيراً ما يأتي بشكل توكيد))[٥٤٤] اذ ان ((التوكيد يفيد تقوية المؤكد وتمكنه في ذهن السامع وقلبه))[٥٤٥] وينقسم فروعاً ثلاثة :-

أ/تقرير المعنى .
ب/ تثبيت المعنى.
جـ/ توسيع المعنى.

- المستوى الثاني: التراكم الدلالي الذي به يحصل (اعادة المعنى).

والقصد من هذا المستوى ان ما تراكم من الدلالة يكون باعادة المعنى بذاته او بما هو قريب منه كذاته، ومن ابرز ما يمثّل هذا المستوى من التراكم الدلالي الوارد بالتكرار الذي يعيد الدال دون ما زيادة.

- المستوى الثالث: التراكم الدلالي الذي به يحصل (الاحاطة بالمعنى).

وهذا المستوى فيه التراكم الدلالي يصلّب المعنى من وجوهه المختلفة فيدل عليها جميعاً حتى يُحيط بها.

- المستوى الرابع: التراكم الدلالي الذي به يحصل (تفسير المعنى)

وهو توضيح المعنى وتبيينه وتفصيل اجزائه وتحته يندرج فرعان:-

١. تفصيل المعنى: وفي هذا المستوى من التراكم الدلالي يُعرَض المعنى ثم يُفصَّل بشرحه وتبيينه وتوضيحه.
٢. تجزيء المعنى: وهذا الفرع يقوم فيه التراكم الدلالي بتجزيء المعنى بعد ذكر دالّة المجمل له.

-المستوى الخامس: التراكم الدلالي الذي به يحصل (تتبع المعنى)

وهذا المستوى يقوم فيه التراكم الدلالي بملاحقة المعنى بدوالّه فتراكم عليه دالاً بعد دال، وهذا التتبع فرعان :-

---

* **ينظر : التراكم الدلالي ، ١٢٤ وما بعدها .**

(544) **التراكم الدلالي، ١٢٤.**

(545) **المفصل الزمخشري ٢: ٤ ، وينظر شرح المفصل/ابن يعيش ٣ : ٤٠، معاني النحو ٤: ٥٠٩.**

أ/ استقصاء المعنى: وهو تتبع للمعنى يكون فيه المعنى متصاعداً متوالياً في سلّم الارتقاء يلاحقه التراكم الدلالي ليقف على كل جزءٍ منه بدالة.

ب/ تفريع المعنى: وهو رديف استقصاء المعنى وتوأمه، فذاك تتبع وهذا تفرّع، ذاك يبدأ من المعنى الاولي حتى يبلغ المنتهى وهذا يعطي المعنى ثم يروح بفرعه.

- المستوى السادس: التراكم الدلالي الذي به يحصل (توسيع المعنى)

وهذا المستوى يكون فيه المعنى مدلولاً عليه بتراكم دلالي يزيد فيه ويوسِّعُه.

- المستوى السابع: التراكم الدلالي الذي فيه يحصل (المبالغة في المعنى)

والمبالغة امرٌ واضح في كونها مستوى من مستويات التراكم الدلالي.

- المستوى الثامن: التراكم الدلالي الذي به يحصل (اطلاق المعنى)

وهو مستوى يفتح فيه التراكم الدلالي باب المعنى ولا يغلقه فيطلقه ليعمّ كل ما يصدق عليه.

- المستوى التاسع: التراكم الدلالي الذي به يحصل (تصوير المعنى).

ولظاهرة التراكم الدلالي مصاديق كثيرة منها :

قوله تعالى: "**خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**"البقرة (٧).

((الختم: حقيقة السد على الاناء، والغلق على الكتاب بطين ونحوه، مع وضع علامة مرسومة في خاتم، ليمنع ذلك في فتح المختوم وهذه هي دلالة فعل الجارحة (ختم) اللغوية (الاولية) وقد تطورت هذه الدلالة عند اطلاق هذا الفعل وقوعه على القلب والسمع ليشمل معنى انغلاق هاتين الجارحتين عن الهداية والايمان ، وليس الختم على القلوب والاسماع هنا حقيقة، بل جاء ذلك على طريقة المجاز بان جعل قلوبهم اي عقولهم في عدم نفوذ الايمان والحق والارشاد اليها))[٥٤٦]. ويحتمل لفظ خَتَمَ" الاستعارة والتمثيل، اما الاستعارة فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله، واعتقاده، واستماعه لانها تمجه وتبنو عن الاصغاء اليه وتعاف استماعه كانها مستوثقٌ منها بالختم، واما التمثيل فان تمثل حيث عدم انتفاعهم بقلوبهم في الاغراض الدينية التي كلفوا وخلقوا من اجلها فكأنها ضرب حجاب بينها وبين الانتفاع بها بالختم والتغطية[٥٤٧].

وللاستعارة هنا وجه آخر تضاف دلالته الى الدلالات السابقة وتراكمها، لان الختم الحقيقي لا يتأتى في القلوب، وانما المعنى الحقيقي انه تعالى وسم قلوبهم بسمة تفرّق بها الملائكة بين الكافر والمؤمن، والمصر والمقلع، فيذمون العاصي لمعصيته، ويمدحون الطائع لطاعته، وقد يجوز ان يخرج الكلام الى ان الكفار لما عموا عن اصل السبيل،

---

(546) **التحرير والتنوير،١: ٢٥٠ – ٢٥١.**

(547) **ينظر : الكشاف، ١:٤١.**

وصموا عن دعاء الدليل؛ كانوا بمنزلة من ختم على قلبه وسمعه ومنع من استماعه وتبينه(٥٤٨).

وبما ان احد معاني الختم هو السد، فاستعار القرآن هذه الصفحة المادية للشيء وخلعها على القلب والسمع، فجعل للقلب قفلاً يسد ابواب الفهم والادراك والتعقل امامه، ونلاحظ هنا ان عملية الانسداد للقلب والسمع تتناسب مع طبيعة هذين الجهازين المعدين لالتقاط الحقائق والاصوات، بحيث اذا سدت ابوابهما لما امكن للقلب ان يعي، ولا للاذن ان تسمع، ويشير بهذا الرمز الى الانغلاق التام في ذهنية الكافر، فيما لا امل في اصلاحه ابداً ما دام قلبه وهو مركز الهداية قد ختم عليه، ومادام سمعه هو الحاسة التي يمكن لها ان تستمع الى القول فتفيد منه قد ختم عليها ايضاً(٥٤٩).

وفي اسناد الختم الى الله تعالى تراكم دلالي اضافي، لان فيه دليلاً واضحاً على ان هذه الصفة من فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي(٥٥٠).

يمكننا الآن ان نلاحظ دقة التراكم الدلالي الذي حققه تعبير (ختم الله....). وكذلك ما تلحظه في قوله تعالى: "**وَاشْتَعَلَ الرَّأسُ شَيْباً**" مريم (٤٢).

"شبه زكريا (ع)، الشيب في البياض والانارة، بشواظ النار، وانتشاره في الشعر فشوه فيه واخذه منه كل ما اخذ باشتعالها؛ ثم اخرجه مخرج الاستعارة(٥٥١)، ففي كل واحد منها شيء غير الذي في الآخر، يؤكد امر الدقة والغرابة، فضلاً عن انه اسند الاشتعال، الذي هو وصف للشعر (الحال) الى (المحل) وهو الرأس؛ اشعاراً بان ذلك الحال، وهو الشعر، ملأ المحل، من اجل ان وصف الحال انتقل للمحل وصار وصفاً له، فكل جزء من الرأس انما وصف بالاشتعال، لاشتعال ما فيه٥٥٢.

((وليس يخفى على المتأمل ان قوله "عز اسمه" "**واشتعل الرأس شيبا**" ابلغ من (كثر شيب الرأس) وهو حقيقة هذا المعنى ... والاصل في ذلك ما افاده التشبيه في الاستعارة من البيان))(٥٥٣) .

((وتعد الاستعارة في هذه الآية الكريمة المثال الابرز للاستعارة الدالة دلالة اجلى واكثر تأثيراً من الحقيقة ، وهذا هو التراكم الدلالي الذي تقوم به الاستعارة هنا وهنا لا تقف كلمة (اشتعل) عند معنى انتشر فحسب ، ولكنها تحمل معنى دبيب الشيب في الرأس في بطء وثبات كما تدب النار في الفحم مبطئة ولكن في دأب واستمرار حتى اذا ما تمكنت من الوقود واشتعلت في قوة لا تبقي ولا تذر كما يحرق الشيب ما يجاوره من شعر الشباب

---

(548) **ينظر: تلخيص البيان ، ٤.**
(549) **ينظر: دراسات فنية في صور القرآن، ٦-٧.**
(550) **ينظر: الكشاف ١ ، ٤٢.**
(551) **ينظر : نفسه ،١٦:٦٣٢.**
552 **اساليب البيان،١٦:٦٣٢.**
(553) **سر الفصاحة ، ١٠٨ .**

حتى لا يذر شيئاً الا التهمه واتى عليه ، وفي اسناد الاشتعال الى الرأس ما يوحي بهذا الشمول الذي التهم كل شيء في الرأس))[٥٥٤] .

وهذا المعنى يزداد روعةً وجمالاً بمجيء (شيباً) تمييزاً مع انه فاعل في المعنى فانه هنا يفيد مع لمعان الشيب في الرأس الذي هو اصل معنى الشمول ، انه قد شاع فيه ، واخذه من نواحيه ، وانه قد استغرقه ، وعم جملته حتى لم يبقَ منه الا ما لا يعتد به[٥٥٥] .

وواضح مما تقدم التراكم الدلالي الحاصل باستعارة ضياء النار بدل ضياء الشيب ((فهو اخراج الظاهر الى ما هو اظهر منه ، ولانه لا يتلافى انتشاره في الرأس كما لا يتلافى اشتعال النار))[٥٥٦] .

((أي ان المتلقي يستكشف سريعاً بان زكريا (ع) عندما طلب الولد ، انما كان شعر رأسه الابيض قد غطى مساحة الرأس باكملها ، أي ان عملية الاشتعال ، في لحظة دعاء زكريا ، كانت قد اجتازت مرحلة التدرج ووصلت الى مرحلة الاشتعال الكامل ، كما هو الامر عند اشتعال جميع الاجزاء للشيء ، بحيث لا ترى اثراً لجزء من الشعر الاسود بل الشعر جميعاً قد غمره البياض))[٥٥٧] وهذا امر غاية في الابداع الدلالي فقد تراكمت دلالات كثيرة للفعل اشتعل لتصور لنا مشهد نراه ونحسه ونتلمسه من خلال تعبير يجود الفعل مع كلمتين فقط لا غير (اشتعل الرأس شيبا) .

وكذلك في قوله تعالى : "**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً...**" الاسراء (٢٤) ، في هذه الآية امر صريح للولد بالتواضع لوالديه ، تواضعاً يبلغ حد الذل لهما لازالة وحشة نفوسهما ان صارا في حاجة الى معونة الولد ، لان الابوين يبغيان ان يكونا هما النافعين لولدهما . والقصد من ذلك التخلق بشكرهما على انعامهما السابقة عليه. وصيغ التعبير عن التواضع بتصويره في هيئة تذلل : الطائر عندما يعتريه خوف من طائر اشد منه اذ يخفض جناحه متذللاً . ففي التركيب استعارة مكنية والجناح تخييل[٥٥٨] .

واستعير خفض جناح الطير لتصوير طاعة الولد لوالديه وامتثال اوامرهما وتنفيذ واجباته تجاههما وتسخير جوارحه لخدمتهما وراحتهما ، مما ولّد لنا صورة فنية تتجسد أمامنا لدى مقارنة صورة الطائر الذي يحنو على صغاره بصورة الولد الذي يميل بجانبه نحو والديه وحناناً ، وكيف ان هذا الحنان قد انعكس على مختلف جوارحه فنظرة مقيد وصوته لا يعلو صوتهما تأدباً وهكذا بقية جوارحه والتواضع لها (من الرحمة) من فرط رحمتك ، وعطفك عليهما بكبرهما ، وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما

---

(554) **التعبير الفني في القرآن ، ١٩٦**
(555) ينظر: دلائل الاعجاز ، ١٣٢ ، وينظر الكشاف ، ١٦ : ٦٣٢ ، وينظر التراكم الدلالي ، ٦٣ .
(556) **كتاب الصناعتين ، ٢٧٨ .**
(557) **دراسات فنية في صور القرآن ، ٣٦٦ .**
(558) **ينظر : جوامع الجامع ، ٣٢٤/٢ .**

بالأمس ولا تكتفِ برحمتك عليهما التي لا بقاء لها ، وادعُ الله بان يرحمهما برحمته الباقية ، واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك . وهذا التواضع يتجسد بان تجعل للذلة لهما جناحاً خفيضاً مبالغة في التذلل[٥٥٩]. فهذا امر متراكمة الدلالة عليه مفاده ((وبالغ في التواضع والخضوع لهما قولاً وفعلاً براً بهما وشفقة عليهما))[٥٦٠] .

لقد اوضح الامام الصادق (عليه السلام) : بان المقصود من خفض الجناح هو : الا يملأ الولد عينيه من النظر اليهما ، والا يرفع صوته فوق اصواتهما والا يرفع يديه فوق ايديهما ، والا يتقدم امامهما .

ان هذه الدلالات المتنوعة التي المح الامام الصادق (عليه السلام) اليها ، تفسر لنا كيف ان الدلالات المتنوعة يمكن ان تختصر وتلم في عبارة فنية صورية هي الاستعارة ، بمعنى ان الاستعارة وغيرها من الصور وبخاصة (الرمز) تتكفل بعملية ايحائية هي جعل العبارة مختصرة من خلال ترشحها بايحاءات متنوعة على نحو ما لحظناه من الدلالات التي اومأ الامام الصادق (عليه السلام) اليها[٥٦١] فأي كلمة تجمع كل هذه الدلالات متراكمة على معنى واحد ؟.

ومن صور التراكم الدلالي الاخرى تعبير "**وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ**" الاحزاب (١٠) .

الزيغ : الميل عن الاستواء الى الانحراف ، فزيغ البصر : ان لا يرى ما يتوجه اليه ، او ان يريد الى صوب فيقع الى صوب آخر من شدة الرعب والانذعار[٥٦٢].

وهنا استعارة طريفة ((فالمراد به تشتت الحاظها وعدولها عن جهة استقامتها نظراً الى مطالع الخوف وجزعاً من مواقع السيف ، ومن عادة الخائف المتوقع ان يكثر التفاته وتنقسم الحاظه))[٥٦٣] ، وفي هذا تأكيد واضح على ان هذا الجيش الكافر الذي ملأ اقطار الارض على المسلمين القلة قد أدخل في قلوبهم من الرعب ما ازاغ الابصار وعدلها عن النظر الى عدوها دون سواه من الدهش والحيرة فهذه الصورة التي رسمها القرآن فيها من التراكم الدلالي ما يؤكد على صورة فنية دقيقة حدد ملامحها القرآن لحال جيش المسلمين عند لقائه جيش الاعداء . ويبدو ان الدلالة بدأت بفعل (زاغ) ثم تزاحمت المعاني وتراكمت بعد ان فعل المجاز بها فعله ، وهذا هو الخط الدلالي الذي يصعب التفريق بينه وبين الحقيقة في تأريخ اللغة ، فقد حمل الحقيقة بعيداً وجاء بتعابير اصبحت هي حقائق فيما بعد . ((فهذا الرمز يترك اثره الفني في الاستجابة التي تصدر عن المتلقي بوضوح ، ولا ادل على ذلك من اننا سوف ندرك تماماً كيف ان الشدائد والمفاجآت واهوال المصائر تدع

---

(559) **ينظر : الكشاف ، ١٥ : ٥٩٤ .**
(560) **مجمع البيان ، ٦ : ٤٠٩ .**
(561) **ينظر :دراسات فنية في صور القرآن ، ٣١٦ .**
(562) **ينظر: الكاشف ، ١٩٨/٦ .**
(563) **تلخيص البيان ، ١٨٩-١٩٠ .**

الشخص مذهولاً مشدوهاً يفقد السيطرة على توازنه بما يواكب ذلك من يأس وانطفاء لأمل الحياة . وعندها ، فان كّلاً من اهوال المصير وما يصاحبها من اليأس لا يترجم الا في سلوك فيزيقي خاص هو (زوغان البصر) عن حركته الطبيعية ، حيث يفصح هذا الزيغ عن ادق حالات الخوف واليأس لدى الشخصية))[564]. وواضح ايضاً ان هذه الكلمة (زاغت الابصار) استطاعت ان تنقل لنا كل هذه الدلالات متراكمة عبر هذه الصورة الفنية .

وهناك صورة اخرى قريبة من هذه الصورة مجاورة لها ومؤكدة عليها وعلى نفس الموضوع (الخوف من الاعداء) وهي "**وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ**" (الاحزاب : ١٠) . فالمراد منها انتفاخ الرئات من الرعب وكني عنها بالقلب لتجاورهما في (الجوف) ، ويجوز ان يكون المراد بذلك نبو القلوب عن اماكنها وانزعاجها عن معاطنها لشدة الرعب وعلوّ الكرب فاذا انزعجت القلوب عن مستقراتها فانما تطلب صعداً فلذلك حسن ان يقال وبلغت القلوب الحناجر ويفهم من الآية معنى آخر هو اضطراب النفوس وبلوغها الحناجر مقاربتها الخروج من عظيم الجزع وشدة الهلع[565].

وبلوغ القلوب الحناجر تمثيل وتراكم دلالي لتأكيد الصورة المتمثلة باضطراب القلوب من الخوف والفزع ((حتى كأنها لاضطرابها تتجاوز مقارها وترتفع طالبة الخروج من الصدور ، فاذا بلغت الحناجر لم تستطع تجاوزها من الضيق ، فشبه هيئة قلب الهلوع المرعود بهيئة قلب تجاوز موضعه وذهب متصاعداً طالباً الخروج))[566] .

فهذه القلوب التي اصعدها الهلع الى الحناجر بما نفخ من رئاتهم حتى ظن بعضهم باليأس والقنوط والهلاك ، كل هذا الرعب والانذعار فزعاً مما سيصيبهم ، وكفى بذلك تصويراً دلالياً متراكماً على معنى واحد هو الخوف .

وهنالك صورة ثالثة هي قوله تعالى : "**هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً**" (الاحزاب : ١١) وهي امتداد للصورتين السابقتين (واذا زاغت الابصار) و(بلغت القلوب الحناجر) فالبصر عندما يزيغ والقلوب عندما تصعد الى الحناجر ، انما يشيران الى وجود شدة بالغة المدى ، ولا نتخيل وجود صورة فنية تعبر عن درجة الشدة المذكورة اكثر دقة من عملية (الزلزلة) ، ان التوازن النفسي هو الحالة الطبيعية للانسان ويقف قبالة الاضطراب النفسي (أي عدم التوازن) فالزلزلة كما نعرف هي حركة انقلابية للشيء وليست مجرد حدوث اضطراب او اهتزاز ، بل هي

---

(564) **دراسات فنية في صور القرآن ، ٥١٦ .**
(565) **ينظر : تلخيص البيان ، ١٩٠ .**
(566) **التحرير والتنوير ، ١ : ٢٠٤-٢٠٥ .**

اهتزاز يجعل عالي الشيء سافله[٥٦٧] فنحن امام صورة فنية مبهرة مليئة بالدلالات المكثفة المتراكمة التي تصور حالة الخوف والهلع والتطير باروع مشهد فني دلالي .

وكذلك في قوله تعالى : "**فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ**" الشعراء (٩٤).

(567) **ينظر دراسات فنية ، ٥١٧ .**

((أي القوا في الجحيم على وجوههم مرة بعد اخرى الى ان يستقروا في قعرها))[٥٦٨] ((أي انهم جمعوا وطرح بعضهم على بعض))[٥٦٩] حيث استعير فعل الجارحة (كبَّ) لتصوير التهويل الذي يصاحب القاء الكفار في جهنم وفضاعة دخولهم النار ، فان الكبكبة تكرير الكب ... ((كأنه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها))[٥٧٠] وقيل ان معنى "كبكبوا" كبوا فيها كباً بعد كب فان (كبكبوا) مضاعف كبوا بالتكرير وتكرير اللفظ مفيد تكرير المعنى مثل : كفكف الدمع ونظيره في الاسماء : جيش لملم ، أي كثير ، مبالغة في اللم ، وذلك لانه له فعلاً مرادفاً له مشتملاً على حروفه ولا تضعيف فيه فكان التضعيف في مرادفه لاجل الدلالة على الزيادة في المعنى فللزيادة على معنى[٥٧١]الكب وللتراكم عليه جاء لفظ كبكب ليصور لنا عملية ادخال الكفار النار .

ومن صور التراكم الدلالي الاخرى تعبير :"**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**" الحجر (٩٤) .

الصدع : الجهر والاعلان : واصله الانشاق . ومنه انصداع الاناء ، أي انشقاقه ، فاستعمل الصدع في لازم الانشقاق ، وهو ظهور الامر المحجوب وراء الشيء المنصدع ، فالمراد هنا الجهر والاعلان[٥٧٢] وقد استعير الصدع للمبالغة في اظهار امر الله وذلك لان دلالة الفعل بدأت في المعنى الحسي ، وهو الظهور البيّن سواء لكسر الزجاج ام توضيح غوامض الكلام ، ثم تطورت وتغيرت لتدل هنا على التصريح بدعوة الحق ودين الله . وهنا استعارة لان الصدع على الحقيقة انما يصح في الاجسام لا في الخطاب والكلام ، والفرق والصدع والفصل في كلامهم بمعنى واحد ومن ذلك قولهم للمصيب في كلامه قد طبَق المفصِل ، ويقولون فلان يفصل الخطاب أي يصيب حقائقه ، ويوضِّح غوامضه فكأن المعنى في قوله تعالى : "**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**" (الحجر : ٩٤) أي اظهر القول وبينه في الفرق بين الحق والباطل في قولهم صدع الرداء اذا شقه شقاً بيناً ظاهراً ومن ذلك صدع الزجاجة اذا استطار بها الشق واستبان الكسر وانما قال سبحانه (فاصدع) ولم يقل فبلغ ما تؤمر لان الصدع ها هنا اعم ظهوراً واشد تأثيراً وقد يجوز ان يكون المراد بذلك والله اعلم : أي بالغ في اظهار امرك والدعاء الى ربك حتى يكون الدين في وضوح الصبح أي لا يشكل نهجه ولا يظلم فجه مأخوذاً ذلك من الصديع وهو الصبح ، وانما سمي بذلك لبيانه ووضوح إعلانه ، وقد يجوز ايضاً ان يكون المراد بقوله : "**اصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**" مأخوذ من المصدع وهو واحد النبال لانه ينفذ في الرماية والجمع مصادع مثل

---

(568) **روح المعاني ، ١٩ : ٩٣ .**
(569) **مجمع البيان ، ٧ : ١٩٤ .**
(570) **الكشاف ، ٣ : ٣٢٢ .**
(571) **ينظر : التبيان ، ٣٦/٨ .**
(572) **ينظر : التحرير والتنوير ، ٧٠/١٣ .**

مشقص ومشاقص وهي السهام العراض الرؤوس : أي كن في امر الله سهماً وامضِ في طاعته قدما(٥٧٣).

و((يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهاراً : صرح بها من الصديع وهو الفجر ، والصدع : الابانة ، وقيل : أي فاصدع : فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر ، والمعنى : بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار))(٥٧٤) .

ومن الممكن ان يكون المعنى : ((صَرِحْ بجميع ما اوحي اليك ، وبلغ كل ما أُمرت ببيانه ، وان شق بعض ذلك على بعض القلوب فانصدعت . والمشابهة بينهما فيما يؤثره التصريح في القلوب ، فيظهر اثر ذلك على ظاهر الوجوه من التقبض والانبساط . ويلوح عليها من علامات الانكار ، والاستبشار ، كما يظهر على ظاهر الزجاجة المصدوعة))(٥٧٥) ، ويقول عبد القادر حسن : ((ان حقيقة قوله تعالى: "**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**" : فبلغ ما تؤمر به . والاستعارة ابلغ من الحقيقة ، لان الصدع بالامر ، لابد له من تأثير ، كتأثير صدع الزجاجة ، والتبليغ ، قد يصعب حتى لا يكون له تأثير ، فيصير بمنزلة ما لم يقع والمعنى الذي يجمعهما ، الايصال ، الا ان الايصال الذي له تأثير كصدع الزجاجة ابلغ))(٥٧٦) .

وواضح مما تقدم التراكم الدلالي في لفظة (اصدع) وذلك بما تحمله هذه الكلمة من دلالات الظهور والابانة والوضوح مقارنة باي فعل آخر يحمل معنى التبليغ ، فضلاً عن قوة تلك الكلمة وشدة تأثيرها .

وقوله تعالى : "**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً**" مريم (٨٣) .

((الأز والهز والاستفزاز اخوات ، ومعناها : التهييج وشدة الازعاج ، أي : تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوسواس والتسويلات ، والمعنى ، خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسراً ، والمراد تعجيب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة والمردة من الكفار ، واقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم بالرسل واستهزاؤهم بالدين من تماديهم في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه ، وانهماكهم بذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم))(٥٧٧).

---

(573) **ينظر تلخيص البيان ، ١٠٤-١٠٥ .**
(574) **الكشاف ، ٥٦٦/١٤ .**
(575) **الاتقان في علوم القرآن ، ١٨٥/٣**
(576) **القرآن والصور البيانية ، ١٨٧ .**
(577) **الكشاف ، ٦٤٧/١٦ .**

وقيل ان "الاز : الهز والاستفزاز الباطني ، مأخوذ من ازيز القدر اذا اشتد غليانها وهذه هي بداية دلالة الفعل الحسية التي تطورت فيما لتشمل معنى الاستفزاز الداخلي ، غير اننا لا نعرف المسار التأريخي للفظ وكيف حصل هذا الانتقال ، الا ان الثابت لدينا هو بداية دلالة الفعل ، ثم دلالته الجديدة التي آل اليهما . شبه اضطراب اعتقادهم وتناقض اقوالهم واختلاق اكاذيبهم بالغليان في صعود وانخفاض وفرقعة وسكون ، فهو استعارة وتأكيده بالمصدر ترشيح[٥٧٨].

فالمعنى المراد هنا هو الهز الذي دل عليه دلالة متراكمة بلفظ (أزّ) والذي يعني فضلاً عن معانيه المتقدمة ((الازعاج الى امر من الامور" فتعبير "تؤزهم ازا" تؤكد وتراكم الدلالة على معنى "تزعجهم ازعاجاً من الطاعة الى المعصية))[٥٧٩] وتحركهم تحريكاً شديدا[٥٨٠].

وقوله تعالى : "**مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وتركهم في ظلمات لا يبصرون...**"

البقرة (١٧) .

"ومعنى ذهب الله بنورهم" اطفأ نارهم فعبر بالنور لانه المقصود من الاستيقاد ، واسند ذهابه الى الله تعالى لانه حصل بلا سبب من ريح او مطر او اطفاء مطفئ ، والعرب والناس يسندون الامر الذي لم يتضح سببه لاسم الله تعالى ... و(ذهب) المعدى بالباء ابلغ من اذهب المعدى بالهمزة ، وهاته المبالغة في التعدية بالباء نشأت من اصل الوضع لان اصل ذهب به ان يدل على انهما ذهبا متلازمين فهو اشد في تحقيق ذهاب المصاحب ، واذهبه جعله ذاهباً بأمره أو إرساله ، فلما كان الذي يريد اذهاب شخص اذهاباً لاشك فيه يتولى حراسة ذلك بنفسه حتى يوقن بحصول امتثال امره صار مفيداً معنى اذهبه .

والغرض الاصلي هو انطماس نور الايمان منهم ، لان مقتضى الظاهر ان يقول ذهب الله بنوره وتركه ، ليدل على ان الله اذهب نور الايمان من قلوب المنافقين "فهذا ايجاز بديع ، كأنه قال : فلما اضاءت ذهب الله بناره فكذلك ذهب الله بنورهم ، وهو اسلوب لا عهد للعرب بمثله فهو من اساليب الاعجاز[٥٨١].

حيث ان دلالة الفعل (أذهب) الاولية هي اذهاب ما هو حسي كالنار وغيرها ، الا ان استعمال القرآن لهذا الفعل في هذه الآية تطوير لدلالته فقد اطلقه على اذهاب ما هو

---

(578) **ينظر : مجمع البيان ، ٥٣٠/٣ .**
(579) **مجمع البيان ، ٥٣١-٥٣٠/٦ .**
(580) **ينظر: التفسير الكبير ، ٣٥٣/٢١ .**
(581) **ينظر التحرير والتنوير ، ١ : ٣٠٥-٣٠٤ .**

معنوي كنور الايمان الذي جرد منه المنافقين ((او كأنه قيل : فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار ، وقد قال سبحانه ذهب الله بنورهم بعد قوله اضاءت ، ولم يقل ذهب الله بضوئهم لان ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة ، فلو قيل : ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نوراً ، والغرض ازالة النور عنهم رأساً وطمسه اصلاً))[٥٨٢] .

من الواضح ان الفعل (ذهب... بنورهم) قد راكم الدلالة على حيرة المنافقين بعد ذهاب نورهم بما حمله من دلالات على تخبطهم ، حيث يمكننا ان نتصور حال من يوقد ناراً ليستضيء بها ثم تنطفأ فجأة في ليل مظلم وهو في أمس الحاجة اليها ، ومع مقارنة هذه الصورة بما اراد القرآن ان يوصله لنا من حال المنافقين اليائس بعد ان تتلاشى احلامهم التي مارسوا النفاق من اجل تحقيقها ، تنجلي التراكمات الدلالية التي اداها الفعل[٥٨٣].

قوله تعالى : "**قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ**" النحل (٢٦)

يتضمن اكثر من صورة للتراكم الدلالي اولها ما نجده في قوله تعالى : "**فأتى الله بنيانهم من القواعد**" ((وهذه استعارة لان الاتيان ها هنا ليس يراد به الحضور عن غيبة والقرب بعد تباعد مسافة وانما ذلك كقول القائل : أتيت من جهة فلان . أي جاءني المكروه من قبله وأتي فلان من مأمنه . أي ورد عليه الخوف من طريق الامن والضر من مكان النفع))[٥٨٤] .

فمن الواضح جداً التطور الدلالي الحاصل لدلالة فعل الجوارح (أتى) حيث انتقل معناه من المجيء بعد الغياب الى شدة أخذ الكفار وذلك بهدم قواعد عزتهم واساس منعتهم .

"فأتيان البنيان من القواعد ، تمثيل لحالات استئصال الامم ، فالبنيان مصدر بمعنى المفعول أي المبنى ، وهو هنا مستعار للقوة والعزة والمنعة وعلو القدر . و(القواعد أي الاسس والاساطين التي تجعل عمداً للبناء يقام عليها السقف وهو تخييل او ترشيح . اذ ليس في الكلام شيء يشبّه بالقواعد[٥٨٥].

والصورة الثانية هي : "وخر عليهم السقف من فوقهم" .

---

(582) **الكشاف ، ١ : ٥١-٥٢ .**
(583) **ينظر : دراسات فنية في صور القرآن ، ١١ .**
(584) **تلخيص البيان ، ١٠٧ .**
(585) **ينظر التبيان ، ٣٧٤/٦ .**

والخرور : السقوط والهوي ، فالفعل خر مستعار لزوال ما به المنعة ، (السقف) : حقيقته غطاء الفراغ الذي بين جدران البيت ، يُجعل على الجدران ويكون من حجر ومن اعواد ، وهو ها هنا مستعار لما استعير له البناء و(من فوقهم) تأكيد لجملة (فخر عليهم السقف) ومن مجموع هذه الاستعارات تتركب الاستعارة التمثيلية . وهي تشبيه هيئة القوم الذين مكروا في المنعة والعزة وقوة البأس فاخذهم الله بسرعة وازال تلك العزة بهيئة قوم اقاموا بنياناً عظيماً ذا دعائم وأووا اليه ليحتموا به فاستأصله الله من قواعده فخر سقف البناء دفعة على اصحابه فهلكوا جميعاً . فهذا من ابدع الاستعارة التمثيلية لانها تنحل الى عدة استعارات[٥٨٦].

أي ان هناك قصداً في هذا الهدم ، وليس هو هدماً اعتيادياً جارياً على السنن الطبيعية ، ناتج عن اسباب عارضة ، بل هو بفعل فاعل وهو الله سبحانه وتعالى ، فلقد استعير فعل الجوارح (اتى) الذي انصرف الى دلالته الثانوية التي راكمت المعنى واكدت استئصالهم وقطع دابرهم ، اذ ان هذا الاتيان والهدم كان للقواعد التي هي اساس البناء وحاملته فاذا هدمت القواعد فما الذي يبقى من ذلك البناء؟!

ومن صور التراكم الدلالي الاخرى ما نجده في قوله تعالى : "**وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ**" البقرة (٩٣) .

الاشراب : هو جعل الشيء شارباً ، واستعير لجعل الشيء متصلاً بشيء وداخلاً فيه ، ووجه الشبه هو شدة الاتصال والسريان لان الماء أسرى في الاجسام في غيره ، ولذا يقول الاطباء الماء مطية الاغذية والادوية ومركبها الذي تسافر به الى اقطار البدن[٥٨٧].

((والعجل ليس موضع ذلك ، بل المراد حب العجل ، فحذف المضاف واقام مقامه المضاف اليه ، للدلالة على هذه الحقيقة الثابتة ، اذ انزل العجل منزلة الحب ، لملابسته لهم في قلوبهم ، وتشرب قلوبهم بهذا الحب الاعمى ، حتى عاد ذلك سمة من سماتهم ، وحقيقة تكشف عن واقع حالهم في الهوى والضلال))[٥٨٨]

وقيل هو من قولهم اشربت البعير شددت حبلاً في عنقه ، فكأنما شد في قلوبهم العجل لشغفهم ، وقال بعضهم معناه أُشربَ في قلوبهم حب العجل ، وسواء أكان معنى فعل الجارحة (أشرب) اتصال شيء بشيء أم شدّ شيء بشيء ، فقد انتقل معناه اللغوي الى معنى آخر وذلك من خلال استعمال القرآن له من اخفاء المبالغة على تعلق بني اسرائيل بالعجل ، وقد ساعد على ذلك ما في لفظ الشراب المشتق من ذلك الفعل من معنى التغلغل والسريان وذلك ان من عادتهم اذا ارادوا العبارة عن مخامرة حب او بغض استعاروا له

---

(586) **ينظر التحرير والتنوير ، ١٣ : ١٠٨ .**
(587) **ينظر : التبيان ، ٣٥٣/١ .**
(588) مجاز القرآن ، خصائصه الفنية وبلاغته العربية ، ١٤٧ .

اسم الشراب اذ هو أبلغ إنجاع في البدن ، ولو قيل حب العجل لم تكن هذه المبالغة فان في ذكر العجل تنبيهاً على ان لفرط شغفهم به صارت صورة العجل في قلوبهم لا تنمحي[٥٨٩].

فهذا التعبير قد وصف قلوب بني اسرائيل ، مبالغة في حب العجل ، فانها تشربت حبه ، فمازجها ممازجة المشروب ، وخالطها مخالطة الشيء الملذوذ ، وحذف مضاف العجل للمبالغة . أي تداخل حبه ، ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب ، والشراب اعماق البدن[٥٩٠].

وحذف مضاف العجل مشهور في امثاله في تعليق الاحكام واسنداها الى الذوات ، وانما شغفوا به استحساناً واعتقاداً انه الههم وان فيه نفعهم ، لانهم لما رأوه من ذهب قدسوه ، من فرط حبهم للذهب ، وقد قوي ذلك الاعجاب به بفرط اعتقادهم الهيته ولذلك قال تعالى "بكفرهم" فان الاعتقاد يزيد المعتقد توغلاً في حب معتقده . واسناد الاشراب الى ضمير ذواتهم تم توضيحه بقوله : (في قلوبهم) مبالغة في التشرب والاشراب[٥٩١].

وهنا يتضح التراكم الدلالي في دلالة الفعل (أشرب) على تداخل حب العجل في قلوب وعقول بني اسرائيل بحيث اثر على عقيدتهم وتحولوا من عبادة الله الواحد الى عبادته .

"يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ"

ق(٣٠) .

((وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى وفيه معنيان : احدهما انها تمتلأ مع اتساعها وتباعد اطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزاد على امتلائها لقوله تعالى : (لأملأن جهنم) ، والثاني : انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد ، ويجوز ان يكون هل من مزيد استكثاراً للداخلين فيها واستبعاداً للزيادة عليهم لفرط كثرتهم او طلباً للزيادة غيضاً على العصاة))[٥٩٢].

وهذه استعارة لان الخطاب للنار والجواب منها في الحقيقة لا يصحان ، وحال جهنم جار مجرى القول منه ، فاقام تعالى الامر المدرك بالعين مقام القول المسموع بالاذن وذلك عن طريق انطاق ما لا ينطق باستعارة فعل الجوارح (تقول) ومجيئه على لسان حال جهنم ، فجسد لنا هذا التعبير جهنم على انها كائن مدرك محاور يسئل فيجيب ، واي جواب ، جواب يبغي الزيادة من المعذبين المروعين ، وقيل ان المعنى انا نقول لخزنة جهنم هذا القول ويكون الجواب منهم على حد الخطاب لهم ويكون ذلك من قبيل "واسأل القرية[٥٩٣] .

---

(589) **ينظر : معجم مفردات الفاظ القرآن ، ٢٦٤ .**
(590) **ينظر اساليب البيان ، ٦٧٦ .**
(591)**ينظر : مجمع البيان ، ١٦٢/١ .**
(592) **الكشاف ، ٢٦ : ١٠٤٦ .**
(593) **ينظر : تلخيص البيان ، ٢٢٩ .**

ومن الطبيعي ان يكون هذا القول لجهنم مقصوداً به ترويع المدفوعين الى جهنم ان لا يطمعوا في ان كثرتهم يضيق بها سعة جهنم فيطمع بعضهم ان يكون ممن لا يوجد له مكان فيها ، فحكاه الله في القرآن عبرة لمن سمعه من المشركين ، وتعليماً لاهل القرآن المؤمنين .

والاستفهام في (هل امتلأتِ) مستعمل في تنبيه اهل العذاب الى هذا السؤال على وجه التعريض . واما قول جهنم فيجوز ان يكون حقيقة بان يخلق الله في اصوات لهيبها اصواتاً ذات حروف يلتئم منها كلام ، ويجوز ان يكون مجازاً عن دلالة حالها على انها تسع ما يُلقى فيها من اهل العذاب بان يكشف باطنها للمعروضين عليها حتى يروا سعتها(٥٩٤).

ومن الممكن ان تكون المحاورة المذكورة واقعاً بالفعل ، كما لو اوحى الله تعالى الى خزنة جهنم بذلك ، واجابتها بما تقدم ، بيد ان نمط المحاورة يوحي بان المسألة حوار مصطنع على مستوى الصياغة (الرمزية) ، أي : اننا امام صورة رمزية تشير الى الاعداد الهائلة من المنحرفين الذين تسعهم جهنم وزيادة . وبدلاً من التعبير عن ذلك باللغة المألوفة يتجه النص القرآني الكريم الى التعبير باللغة الصورية التي جمعت الى جمال الصورة جمالية الحوار وحيويته المتمثلة في تساؤل هو : هل امتلأت بالمنحرفين يا جهنم ؟ ويجيء الجواب : ان اسع منهم ، فهل من مزيد(٥٩٥)؟

فهذا التعبير القرآني المتضمن تلك الحوارية بأركانها الأساسية : السؤال : (هل امتلأت؟) والجواب : (هل من مزيد؟) ، جعلنا في خضم مجموعة من الدلالات المتعددة المتراكمة على معنى واحد هو سعة جهنم وإحاطتها بما يلقى فيها من المجرمين ثم فهمنا من ذلك الحوار ان جهنم تتكلم وترد على من يسألها وهي كذلك تسع ما يلقى فيها ، فمهما بلغت الاعداد من الكثرة ، فهي تبغي المزيد .

ومن امثلة التراكم الدلالي قوله تعالى : "**وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ**" الكهف (٩٩) .

ومعنى كلمة يموج : يضطرب ، تشبيهاً لموج البحر(٥٩٦).

وقيل ان معناه : ((أي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى))(٥٩٧) .

فقد ((استعير الموج – وهو حركة الماء – للاضطراب والاختلاط الناشئ عن حركة القوم وحيرتهم والجامع الحركة الشديدة والاهتزاز))(٥٩٨) .

---

(594) **ينظر : التحرير والتنوير ، ١٦ : ٢٦٤ .**
(595) **ينظر : دراسات فنية في صور القرآن ، ٦١٩ .**
(596) **ينظر : البرهان ، ٤٨٧/٣ .**
(597) **الكشاف ، ١٥ : ٦٣ .**
(598) **اساليب البيان ، ٦١٥ .**

وكلمة يموج هنا لا تقف عند حد استعارتها لمعنى الاضطراب ، بل إنها تصور للخيال هذا الجمع الحاشد من الناس احتشاداً لا تدرك العين مداه حتى صار هذا الحشد الزاخر كبحر ترى العين منه ما تراه في البحر الزاخر من حركة وتموج واضطراب[٥٩٩]. فهذا المعنى الذي صورته كلمة "تموج" لا تقوى عليه أي كلمة اخرى دالة على الحركة ، فتكون بذلك قد راكمت الدلالة بما صورت .

وكذلك ما نجده في قوله تعالى : "**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً**" الفرقان (٢٣) .

((فقد استعير فعل الجارحة (قدمنا) لمعنى (عمدنا) اذ ان دلالة قدمنا ابلغ لانه دل فيه على ما كان من امهاله لهم ، حتى كأنه كان غائباً عنه ، ثم قدم فاطلع منهم على غير ما ينبغي فجازاهم بحسبه))[٦٠٠] أي ان الفعل قدم جعل الدلالة على المعنى ابلغ واقوى وادق واشد وهي بذلك دلالة متراكمة .

---

(599) **ينظر:التراكم الدلالي ، ٦٤ .**

(600) **كتاب الصناعتين ، ٢٧٧ .**

الباب الثاني الفصل الرابع
ظاهرة التوسع في المعنى

التوسع لغة :

تشير مادة (وَسَعَ) في كتب اللغة الى التوسع والتوسعة ، وهي ضد الضيق والعسر ، يقول الازهري : ((وسعت البيت وغيره فاتسع واستوسع))(٦٠١) ، واشار ابن فارس الى معنى مادة (وسع) فقال : "كلمة تدل على خلاف الضيق والعسر" وذكر قوله تعالى "**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ**" الطلاق (٧) .

وفسر الجوهري التوسع بخلاف التضييق ، اذ قال : ((وسعت الشيء فاتسع واستوسع ، أي صار واسعاً ، وتوسعوا في المجلس أي تفسحوا))(٦٠٢) .

ووافق الزمخشري آراء العلماء السابقين : اذ قال : "وسع المكان وغيره سَعَةً وسِعة واتسع وتوسع واستوسع واستشهد بقول النابغة(٦٠٣):

تسعُ البلاد اذا اتيتك زائراً   واذا هجرتك ضاق عني مقعدي

وقد ساق الزمخشري اكثر من تعبير مجازي يفهم منها ان (التوسع) ضد (التضييق) مثل انه ليسعني ما يسعك ، ولا يسعني شيء ويضيق عنك ، ولا يسعك ان تفعل كذا ، ووسع الله عليك العيش واوسعه ، واوسع الرجل واستوسع اتسعت حاله ، وهو في عيش واسع "والله واسع"(٦٠٤) ووسعت رحمته كل شيء(٦٠٥).

وذكر ابن منظور ان من ((اسماء الله سبحانه وتعالى "الواسع" وهو الذي وسع رزقه جميع خلقه ، و(وسعت رحمته كل شيء) ثم قال : (والسعة نقيض الضيق ، واتسع كوسع ، والتوسيع خلاف التضييق))(٦٠٦) .

((واذا تأملنا قوله تعالى : "**وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**" (النور : ٣٢) فنجد فيه ثلاثة اقوال :

١. انه تعالى واسع الفضل والرزق والرحمة ، وسعت رحمته كل شيء .
٢. انه واسع بمعنى موسع أي يوسع على من يشاء من نعمه .

---

(601) **تهذيب اللغة ، (وسع) .**
(602) **الصحاح ، (وسع) .**
(603) **ينظر : خزانة الادب ، ١٣٥/٢ ، ١٣٧ .**
(604) **مأخوذ من قوله تعالى "والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم" البقرة/٢٤٧ .**
(605) **مأخوذ من قوله تعالى "ورحمتي وسعت كل شيء" الاعراف/١٥٦ .**
(606) **لسان العرب وسع**

٣.انه واسع حجبمعنى ذو سعة . وصيغة (واسع) قد جمعت عدة معان كلها مرادة لا تؤدى في أي تعبير آخر))[٦٠٧].

ففي الوجه الاول اثبات صفة الغنى لله تعالى . وفي الوجه الثاني اثبات صفة الكرم ، وفي الوجه الثالث اثبات الكرم صفة ثابتة لله وانها ليست صفة متغيرة والسياق مبني على هذه المعاني المختلفة ، لان الغني قد يبخل لذلك جاءت صفة الكرم . وقد يكون مع الغنى والكرم في الناس قلة التدبير فيوضع الكرم في غير موضعه او في غير وقته لذلك حسن جمع هذه المعاني هنا على جهة التلازم لان بعضها يتمم بعضاً والله تعالى "علم" .

وذكر ابن القطاع (ت ٥١٥هـ) ((ان (وسع) الشيء (يسع) مثل (وطئ يطأ) شاذ ليس في هذه البنية غيرهما مما الواو في مستقبله وهو مفتوح العين))[٦٠٨] .

وقال الزبيدي (ت : ١٢٠٥هـ) ان "التوسعة" والسعة بمعنى واحد وسمى ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) كتابه "التوسعة"[٦٠٩] .

---

(607) **التوسع في كتاب الاصول في النحو ، ١٠ .**

(608) **كتاب الافعال ٣ : ٢٨٤ .**

(609) **ينظر تاج العروس مادة (وسع) ، كتاب التوسعة لابن السكيت ذكره السيوطي ، ينظر : الاشباه والنظائر في النحو باب القلب ، ٣٢٧/١ للتفاصيل ، التوسع في كتاب سيبويه ٨ .**

التوسع اصطلاحاً :

عرف القدماء التوسع وتحدثوا عنه في كتبهم ، قال ابن رشيق : ((هو ان يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل فيأتي كل واحد بمعنى ، وانما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته واتساع المعنى))[٦١٠] وعرفه السبكي بانه ((كل كلام تتسع تأويلاته فتتفاوت العقول فيها لكثرة احتمالاته لنكتة ما كفواتح السور))[٦١١] .

وهناك تعريفات اخرى ذكرها بعض العلماء والادباء كالحموي والسيوطي والمدني ، ولا تخرج هذه التعريفات[٦١٢] في مضمونها عما ذكره ابن رشيق ، وهي تشير الى ان الاتساع يقع في الشعر والنثر .

لم يضع القدماء حداً لمصطلح (التوسع) ولم يوضحوا بصورة دقيقة مفصلة حقيقة هذا المصطلح بل بقي عائماً على الرغم من وجود اشارات مبثوثة له في بطون الكتب ، وعلى الرغم من ان لهم قصب السبق في معرفته ودراسته . فيصرحون احياناً ان في هذا الكلام توسعاً ، ويلمحون في بعض الاحايين ويسكتون في كثير من الاحيان ، على انهم يصرحون مراراً ان مثل هذا التصرف في الكلام وهذا التوسع فيه هو ((في اللغة اوسع من ان يحاط به))[٦١٣] ، الا ان ابن رشيق٦١٤ وكما تقدم قد حدد التوسع وكذلك فعل السبكي[٦١٥] بصورة اوضح من غيرهم مما حدا بالذين جاءوا بعدهم من العلماء بان يحذوا حذوهم ، ويردد

معظم العلماء المتأخرون عن ابن رشيق قوله[٦١٦] ويعتمدون تفسيره ، على الرغم مما يحمله هذا التفسير من وصف للتوسع بانه تأويل ، والتوسع ليس تأويلاً في الاصل ولكنه يمكن ان يؤدي اليه[٦١٧].

ان عدم وضع القدماء حداً ضابطاً للتوسع لا يعني انهم لا يعرفونه ، ولا يعبر عن قصور في الفهم والادراك ، لان الذي يقلب مؤلفاتهم لا يعدم ان يجد مباحث ونصوصاً صرحوا بذكر التوسع فيها تارة ، ولمحوا اليه في اخرى كما اسلفنا.

ومن هنا يتبين ان من اقوى التصريحات واكثرها دقة وضبطاً تلك التي نادى بها سيبويه وابن السراج اللذان قررا بان التوسع في اللغة اكثر من ان يحصى[٦١٨]. واوسع من ان يحاط به ، لانه اسلوب ابداعي ، وكل ابداع يصعب ان يحاط به ، لانه في تدفق دائم وعطاء مستمر . وتقييده بالضوابط والاغلال يفسده ، ويخرجه من دائرة النماء والتجدد .

---

(610) **العمدة ٢ : ٩٣ .**
(611) **عروس الافراح ٤/٤٦٩ ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ١ : ٤٢ .**
(612) **للتفاصيل ينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٤٢/١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ .**
(613) **الخصائص ، ٢ : ٣١٠ .**
614 **العمدة ٢ : ٩٣ .**
(615) **عروس الافراح ٤ : ٤٦٩ .**
(616) **ينظر : معجم المصطلحات البلاغية : ١ : ٤٢ .**
(617) **ينظر : التوسع في كتاب الاصول في النحو ، ١٢ .**
(618) **ينظر : الكتاب ، ١١٠/٨ والاصول في النحو ٥٥/٢ .**

((وفي هذا دليل على ثراء اللغة العربية وسعتها ، فليس لها صورة واحدة في التعبير ، بل لها ضروب مختلفة في الكلام))[٦١٩] .

وكان تطور استعمال افعال الجوارح وتغلغلها في تحولات مجازية سبباً مهماً في كثرة هذه المعاني وتطورها .

وبالرجوع الى تعريف السبكي السابق للتوسع الذي نص فيه على انه "كل كلام تتسع تأويلاته فتتفاوت العقول فيها لكثرة احتمالاته ..." نلحظ صحة قوله : "فتتفاوت العقول فيها" وذلك من خلال تفاوت عقول واذواق المحدثين في النظر الى هذا المصطلح ، الذي يعبر عنه كل باحث من وجهة نظره ، وما ينفثه هذا المصطلح في روع الاديب والكاتب والشاعر .

واذا اضفنا الى كلام السبكي مقولة ابن جني من ((ان التوسع في اللغة اوسع من ان يحاط به))[٦٢٠] عرفنا سبب ((قلة من عقد له باباً من النحاة))[٦٢١] .

ولما كانت اللغة العربية لغة المجاز ، فالتوسع اذا ضرب من ضروب المجاز ، ولون من الوان التصرف في التعبير وجنس من اجناس شجاعة اللغة ، وفي ركوب هذا الاسلوب من اساليب التعبير تتجلى شجاعة العربي وجرأته واقدامه على اقتحام ابواب القول وتشقيقه ، ومن ثم التلاعب بالالفاظ تقديماً وتأخيراً وحذفاً وتقديراً وايجازاً واختصاراً ، ومثلها الزيادة والحمل على المعنى والتحريف وتلك هي اجناس الشجاعة المجازية التي ذكرها ابن جني على انها ((من باب الشجاعة في اللغة))[٦٢٢] ، وكان مما ذكره ابن جني تحت باب عقده في الخصائص ليفرق به بين الحقيقة والمجاز ، ان المجاز يعدل اليه لمعان وعلى رأسها الاتساع ، فبعد ان عرف الحقيقة بانها ((ما اقر في الاستعمال على اصل وضعه في اللغة))[٦٢٣] ، ذكر ((المجاز : ما كان بضد ذلك))[٦٢٤] .

ثم قال : ((وانما يقع المجاز ويعدل اليه عن الحقيقة لمعان ثلاث وهي : الاتساع ، والتوكيد ، والتشبيه ، فان عَدم هذه الاوصاف كانت الحقيقة البتة))[٦٢٥].

ومما لاشك فيه ان العرب كانوا يدركون مدى تأثير هذه الاساليب عندما تخرج الى معان أُخَر ، ومدى وقوعها موقع الاعجاب في قلوب السامعين وآذان المتلقين .

وفي التوسع في التعبير تخرج الكلمة احياناً الى غير ما وضعت له في اصل اللغة الى شيء آخر توسعاً في القول ومجازاً في التعبير نحو قول الشاعر[٦٢٦]:

---

(619) **التوسع في المعنى في التعبير القرآني عند الرازي في التفسير الكبير / سوزان عبد الواحد عبد الجبار الهيتي / رسالة ماجستير / ٢٠٠٢ ص٦٥ .**

(620)**الاصول في النحو : ٢٦٦ ، وينظر : الخصائص ، ٢ : ٣١٠ .**

(621) **الاشباه والنظائر في النحو ، ١ : ٣٥ .**

(622) **الخصائص ، ٤٤٦/٢ .**

(623) **نفسه ٢ : ٤٤٦ .**

(624) **نفسه ٢ : ٤٤٦ .**

(625) **الخصائص ٢ : ٤٤٦ .**

شكوت اليها حبها المتغلغلا   فما زادها شكواي الا تدللا

قال ابن جني وهو يوجه هذا البيت ((ان وصف الحب بالمتغلغل ليس في اصل اللغة ، وانما ذلك وصف يخص الجواهر[٦٢٧] لا الأحداث[٦٢٨]، الا ترى ان المتغلغل في الشيء لابد ان يتجاوز مكاناً الى آخر ، وذلك تفريغ مكان وشغل مكان ... هذا وجه الاتساع))[٦٢٩] .

((فهذا الضرب من التوسع واقع في كلام العرب كثيراً ويشمل جميع مستويات اللغة صرفها ، ونحوها ، وبلاغتها ، وعروضها ، واصواتها اللغوية ، وذلك لمرونة العربية وسعة افقها ، وعلوها وكثرة توليدها ، فالتوسع في الكلام له جولان ودوران على السنتهم ، وفي مراسلاتهم ، ومخاطباتهم واشعارهم وحِكَمِهم ، وتعده العرب مفخرة من مفاخرها ، ذلك لان هذا اللون من المجاز هو الذي يكسو اللفظ سربالاً من الحسن ويثري اللغة ويزيدها تجدداً وتطوراً ونماء))[٦٣٠]

((وشهد القرن الثالث الهجري نشاطا واسعاً في الدرس اللغوي والنحوي لعله القمة فيما وصل اليه هذا النوع من الدراسات . فقد زخر هذا القرن بالدارسين والمصنفين بشكل لم يسبق له نظير ، كما توضحت فيه معالم بيئتين نحويتين كان بينهما خلاف وحجاج في مسائل متعددة من ابواب النحو المختلفة ، كما استجر فيه الصراع للهيمنة على بيئات هذا الدرس ومجالسه والتصدر لاملائه وتعليمه))[٦٣١] .

وقد شاع مصطلح (الاتساع) وانتشر في الدرس النحوي لانه نوع من التصرف واسلوب متميز من اساليب كلام العرب ، ولهذا النوع من التصرف في تأليف الكلام امثلة كثيرة وردت في كلام العرب ، وفي القرآن الكريم ، فضلاً عن ان التوسع فيه فسحة تساعد العربي على عدم التقييد .

وبناء على هذه النظرات المختلفة الى التوسع ، فقد عبر الدكتور موسى ربابعة عن (الانزياح) وهو يريد به التوسع بانه ((احتيال الانسان على لغته ونفسه ولسد قصوره وقصورها في التعبير))[٦٣٢] .

---

(626) **ينظر : امالي القالي ٢ : ٢٠ ، ١٥٩ ، والبيت في الخصائص ٢ : ٤٤٤ .**

(627) **الجوهر مصطلح فلسفي حده الامام الغزالي بانه : اسم مشترك ، يقال جوهر لذات كل ، كأنسان او كالبياض ، فيقال جوهر البياض وذاته ، ويقال جوهر لكل موجود ينظر : المصطلح الفلسفي عند العرب ٢٩٤ ، ٢٤٩ ، ٢١٧ .**

(628) **الاحداث مصطلح فلسفي وهو اسم مشترك يطلق على وجهين ، احدهما زماني ومعناه الايجاد للشيء بعد ان لم يكن له وجود في زمان سابق ، ومعنى الاحداث غير الزماني هو افادة الشيء وجوداً ، وذلك الشيء ليس له في ذاته ذلك الوجود ، لا بحسب زمان دون زمان ، بل بحسب كل زمان ، المصطلح الفلسفي ٢٨٩ .**

(629) **الخصائص ، ٢ : ٤٤٤ .**

(630) **التوسع في كتاب سيبويه ، ٨ .**

(631) **التوسع في كتاب الاصول في النحو ١٣ .**

(632) **الانحراف مصطلحاً نقدياً ، ١٥ .**

وذهب آخر الى ان التوسع ((ظاهرة تحويلية تؤدي المعنى الواحد باكثر من عبارة لفظية وانه شكل من اشكال الاستدراك الاسلوبي))[٦٣٣] .

(633) **اللغة العربية بين الثبوت والتحول ، ١٣ .**

وذهب ثالث الى ان التوسع هو الخروج من حدود العلاقات المنطقية العادية والتي هي قوام النحو[٦٣٤]، وهو ((نوع من التصرف في تأليف الكلام بالحذف والاختصار))[٦٣٥] وللاتساع في المعنى امثلة كثيرة منها :

وقوله تعالى : "**أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسلام فهو على نور من ربه...**" الزمر (٢٢) .

وحقيقة الشرح : انه بشق اللحم ، ومنه سمي علم مشاهدة باطن الاسباب وتركيبه ، علم التشريح لتوقفه على شق الجلد واللحم والاطلاع على ما تحت ذلك .

وشرح الصدر للاسلام استعارة لقبول العقل هدي الاسلام ومحبته ، ولما كان الانسان اذا تحير وتردد في امر يجد في نفسه غماً يتأثر منه جهازه العصبي فيظهر تأثره في انضغاط نفسه حتى يصير تنفسه عسيراً ويكثر تنهده وكان عضو التنفس في الصدر ، شبه ذلك الانضغاط بالضيق والانطباق ، فقالوا : ضاق صدره ، قال تعالى : عن موسى : (ويضيق صدري) الشعراء (١٣) ، وقالوا : انطبق صدره وانطبقت اضلاعه وقالوا في ضد ذلك : شرح الله صدره[٦٣٦] ، وجمع بينهما قوله تعالى : "**فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء**" الانعام (١٢٥) .

وهكذا فان الدلالة الاولية لفعل الجارحة (شرح) كما يظهر من معناه اللغوي هي شق اللحم ، والاطلاع على ما في باطن الكائنات . ولكن الاستعمال القرآني وضف هذا الفعل لاداء معنى آخر ، بل معانٍ كثيرة فقد اطلقها على انفعال المسلم بهدي الاسلام ، وقبوله تعاليمه والعمل بتلك التعاليم ثم انعكاسها على اخلاقه وتصرفاته .

ومن رشاقة الفاظ القرآن ايثار كلمة (الشرح) للدلالة على قبول الاسلام لان تعاليم الاسلام واخلاقه وآدابه تكسب المسلم فرحاً بحاله ومسرة برضى ربه واستخفافاً للمصائب والكوارث لجزمه بانه على حق في امره وانه مثاب على ضره وانه راجٍ رحمة ربه في الدنيا والآخرة ولعدم مخالطة الشك والحيرة ضميره[٦٣٧].

((فمن عرف الله انه من اهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للاسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب ، ونور الله هو لطفه ، وقرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذه الآية فقيل : يا رسول الله كيف انشراح الصدر قال :

---

(634) **ينظر : اللغة والابداع ، ١١ .**

(635) **منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي ٢٣٢ ، وينظر : دليل القاعدة النحوية عند سيبويه ، ٩٠ والمصطلح النحوي في كتاب سيبويه ٣٠٩ .**

(636) ينظر: التحرير والتنوير، ٩٨/٢٢.

(637) **ينظر : جوامع الجامع ، ٤٠٨/١.**

اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل : يا رسول الله فما علامة ذلك قال : الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت))(٦٣٨) .

وهكذا فقد حمل لفظ (شرح) اكثر من معنى وهي : قبول المسلم هدي الاسلام ومحبته والتزام تعليماته ، وانعكاس التعليمات على اخلاقه وآدابه وثقته بربه ، وكذلك تأكيد رسول الله (صلى الله عليه وآله) على ان المسلم اذا انشرح قلبه اناب الى دار الخلود وتجافى عن دار الغرور واستعد للموت قبل حلوله وبهذا فقد توسع معناه لدلالته على اكثر من معنى في وقت واحد .

وكذلك قوله تعالى :"**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ**" الدخان (٢٩) .

اذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه : بكت عليه السماء وبكته الريح واظلمت له الشمس ، وفي حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض . وكذلك ما يروى عن ابن عباس (رضي الله عنهما) من بكاء مصلى المؤمن وآثاره في الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء ، تمثيل ، ونُفي ذلك عنهم في قوله تعالى : "**فما بكت عليهم السماء والارض**" فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه : بكت عليه السماء والارض ، وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني : فما بكى عليهم اهل السماء واهل الارض(٦٣٩).

وهو تفريع على قوله : "**كم تركوا من جنات وعيون**"الى "**قوم آخرين**" الدخان (٢٥-٢٨) فان ذلك كله يتضمن انهم هلكوا وانقرضوا ، أي فما كان مهلكهم الا كمهلك غيرهم ولم يكن حدثاً عظيماً كما كانوا يحسبون ويحسب قومهم ، وكان من كلام العرب اذا هلك عظيم ان يهولوا امر موته بنحو : بكت عليه السماء ، وبكته الريح ، وتزلزلت الجبال والكلام مسوق مساق التحقير لهم ، وقريب منه قوله تعالى "**وان كان مكرهم لتزول منه الجبال**" ابراهيم (٤٦)

وهو طريقة مسلوكة ، والمعنى : فما كان هلاكهم الا كهلاك غيرهم ولا أُنظروا بتأخير هلاكهم بل عجل لهم الاستئصال(٦٤٠).

---

(638) **الكشاف ، ٩٣٨/٢٣ .**

(639) ينظر: الكشاف ، ١٠٠١/٢٥ .

(640) **ينظر : الكاشف ، ١١/٧ .**

وهنا استعارة ، وقد قيل في معناها اقوال : احدها : ان البكاء ههنا بمعنى الحزن فكأنه قال : فلم تحزن عليهم السماء والارض بعد هلاكهم وانقطاع آثارهم ، وانما عبر سبحانه عن الحزن بالبكاء لان البكاء يصدر عن الحزن في اكثر الاحوال ومن عادة العرب ان يصفوا الدار اذا بعد عنها سكانها وفارقها قطانها بانها باكية عليهم ومتوجعة لهم على طريق المجاز والاتساع بمعنى ظهور علامات الخشوع والوحشة عليها وانقطاع اسباب النعمة والانسة منها .

ووجه آخر : وهو ان يكون المعنى : لو كانت السماوات والارض من الجنس الذي يصح منه البكاء لم تبكيا عليهم ولم تتوجعا لهم اذا كان الله سبحانه عليهم ساخطاً ولهم ماقتاً .

ووجه آخر : قيل : معنى ذلك ما بكى عليهم من السموات والارض ما يبكي على المؤمن عند وفاته من مواضع صلواته ومصاعد اعماله على ما ورد به الخبر .

وفي ذلك وجهان آخران يخرج بهما الكلام عن طريق الاستعارة : فاحدهما ان يكون المعنى فما بكى عليهم اهل السماء والارض ونظائر ذلك في القرآن كثيرة.

والآخر ان يكون المعنى انه لم ينتصر لهم ولم يطلب طالب بثارهم ، ويعني في اشعار العرب (بكينا فلاناً باطراف الرماح وبمضارب الصفاح) أي : طلبنا دمه وادركنا ثاره(٦٤١).

فبكى فعل الجارحة (العين) بدموع ، وهي بداية دلالة الفعل ، وعند اسناده الى السماء اكتسب دلالة اخرى وهي هوان شأن الكفار عند اهلاكهم فلا يشكلون سبب للحزن وما يتبعه من بكاء ولكون السماء والارض ممن لا يصلح منهما البكاء لان ليس من شأنهما ولا من طبيعتهما ذلك ففي هذا دلالة على ارادة الاستعمال المجازي ، ووصف السماء والارض بانهما يبكيان ، او نفي بكائهما كما في الآية ، يقتضي ان هذا الاسناد ألصق في تصور الفجيعة ، وأبلغ في تصوير النازلة ، وذلك حينما أخذ هؤلاء على عجل دون أهبة او استعداد(٦٤٢)

فكل هذه المعاني المتقدمة التي تضمنها الفعل (بكت) توسع معنى الفعل المتقدم ، فيحتمل ان يكون المعنى هو تحقير هؤلاء المجرمين المهلكين والتقليل من شأنهم ويحتمل ان يكون المعنى الاستهزاء بهم والتهكم بحالهم المنافية لحال من يعظم فقده ، ويحتمل ان يكون المعنى انهم لم ينتصر لهم احد ولم يطلب بثأرهم ويحتمل ان يكون المعنى ان اهل السماء من الملائكة وغيرهم كانوا بهلاكهم مسرورين وانهم لم يُنظروا بتأخير هلاكهم بل اهلكوا كما اهلك الذين من قبلهم.

---

(641) **ينظر: تلخيص البيان ، ٢٢١ .**
(642) **ينظر : مجاز القرآن ، ١٢٧ .**

وكذلك في قوله تعالى : "**فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ او يجعل الله لهن سبيلا**" النساء (١٥).

((ومعنى (يتوفاهن الموت) يتقاضاهن . يقال : توفي فلان حقه من فلان واستوفاه حقه والعرب تتخيل العمر مجزءاً . فالايام والزمان والموت يستخلصه من صاحبه منجماً الى ان تتوفاه ولذلك يقولون تُوفي فلان بالبناء للمجهول أي توفى عمره فجعل الله الموت هو المتقاضي لاعمار الناس على استعمالهم في التعبير ، وان كان الموت هو اثر آخر انفاس المرء ، فالتوفي في هذه الآية وارد على اصل معناه الحقيقي في اللغة))[٦٤٣] .

وقيل ان معنى يتوفاهن الموت ، أي : ((يميتهن الموت ويجوز ان يراد يتوفاهن ملائكة الموت ، او حتى يأخذهن الموت ويستوفي ارواحهن))[٦٤٤] .

ان نسبة فعل الجوارح التوفي وهو قبض الارواح الى الموت نفسه هو بالتأكيد من قبل المجاز المؤدي الى الاتساع لان المتوفي هو ملك الموت ، وقد ادى استعمال هذه الاستعارة الى ان هناك اكثر من معنى وهو ان المحبوس يعد ايام حبسه عداً ، وقطعاً فان ايام الحبس هي اطول الايام على الانسان فيتصور ان الموت يستخلص ويتوفى عمره يوماً بعد آخر وهو في طريقه الى نهاية عمره .

وكذلك قوله تعالى "**فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ**" الكهف (٧٧) .

الجدار : الحائط .

وانقض : اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطائر .

ومعنى (يريد ان ينقض) اشرف على الانقضاض ، أي السقوط ، أي يكاد يسقط وذلك بان مال ، فعبر عن اشرافه على الانقضاض بارادة الانقضاض على طريقة الاستعارة المصرحة التبعية بتشبيه قرب انقضاضه بارادة من يعقل فعل شيء فهو يوشك ان يفعله حيث اراده ، لان الارادة طلب النفس حصول شيء وميل القلب اليه[٦٤٥].

واطلق على فعل الجوارح (يريد) على مشارفة الوقوع ، على طريق الاتساع ، وللدلالة على المبالغة في ذلك فشبه مشارفة الجدار الى الانقضاض ، بارادة القاصد لفعل محدد (بجامع الميلان بينهما)[٦٤٦] .

((وتفسير هذه الاستعارة هو ان الارادة على حقيقتها لا تصح على الجماد والمعنى يكاد ان ينقض على التشبيه بحال من يريد ان يفعل في المباني لانه لما ظهرت فيه امارات

---

(643) **التحرير والتنوير ، ٥٧/٤-٥٨ .**
(644) **الكشاف ، ٢٢٦/٤ .**
(645) **ينظر: الكاشف ، ١٤٧/٥ .**
(646) **ينظر : اساليب البيان في القرآن ، ٦٧٥ بتصرف .**

الانقضاض من ميل بعد انتصاب واضطراب بعد ثبات حسن ان يطلق عليه ارادة الوقوع ويرد في كلامهم كاد بمعنى (اراد واراد بمعنى كاد) وجاء في القرآن قوله سبحانه: "**كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ**" (يوسف : ٢٧٦) أي اردنا ليوسف . وقوله تعالى : "**ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى**" (طه : ١٥) معناه على احد الاقوال : اريد اخفيها))[٦٤٧] .

واقامة الجدار : تسوية ميله ، وكانت اقامته بفعل خارق للعادة بان اشار اليه بيده كالذي يسوي شيئاً ليناً كما ورد في بعض الآثار[٦٤٨].

وقيل مسحة بيده فقام واستوى ، وقيل : اقامه بعمود بيده ، وقيل نقضه وبناه[٦٤٩].

فنسبة ارادة السقوط والانقضاض الى الجدار توسع بالتأكيد لمعنى الفعل ، يريد ، بعد ان اضفى على الحائط (الجامد) صفة الحياة والحركة واختيار الافعال فكأنه قام بفعل الميلان الدال على سقوطه فيما بعد أي انه يوشك ان يفعل السقوط.

وهنا ((يتجلى المجاز العقلي مستشرفاً اذ الجدار ليس كائناً ذا ارادة ، ولا هو بمريد شأن من يريد في الفعل او الترك ، ولكنه البعد المجازي الذي وهب الحياة للجماد ، واشاع الحسّ بالكائنات ، وكذلك التعبير الموحي الذي اضفى صفة من يصدر عنه الفعل على من لا يصدر عنه الفعل وحقيقة من يريد على من لا يريد في الاصل . وكانت قرينة هذا المجاز ارادة هذا الجماد وهو لا يريد))[٦٥٠] .

وقوله تعالى : "**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ والله لا يهدي القوم الفاسقين**" الصف (٥) .

((الزيغ : الميل عن الحق ، أي لما خالفوا ما امرهم رسولهم جعل الله في قلويهم زيغاً ، أي تمكن الزيغ من نفوسهم فلم ينفكوا عن الضلال))[٦٥١] .

(زاغ) عن الحق واحد من افعال الجوارح التي من نتائجها مخالفة اوامر الله ورسوله ، وهي دلالة اولية للفعل ، اما نسبته الى الله سبحانه فهي دلالة اخرى تضيف له معنى آخر وهو حكم الله سبحانه على هؤلاء الكفار بأنهم مخالفين ومستحقين للعقاب .

((أي فلما زاغوا عن الحق (**ازاغ الله قلوبهم**) بان منعهم ألطافه))[٦٥٢] .

---

(647) **تلخيص البيان ، ١٣٠ .**
(648) **ينظر : جوامع الجامع ، ٣٧٥/٢ .**
(649) **ينظر : الكشاف ، ٦٢٧/١٦ .**
(650) **مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية ، ١٢٢ .**
(651) **التحرير والتنوير ، ١٦٠/١٨ .**
(652) **الكشاف ، ١١٠٣/٢٨ .**

((وهذه استعارة ، لانه سبحانه لما زاغوا عن الحق حكم عليهم بالزيغ عنه ، وحكم بذلك ان يأمر اولياءه بذمهم ولعنهم والبراءة منهم عقوبة لهم على ذميم فعلهم وقد يجوز ان يكون معنى ذلك انهم لما زاغوا عن الحق خذلهم وابعدهم وخلاهم واختيارهم واضاف سبحانه الفعل الى نفسه على طريق الاتساع لما كان وقوع الزيغ منهم مقابلاً لامره لهم باتباع الحق وسلوك الطريق النهج كما قال تعالى : "**فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أنسَوْكُمْ ذِكْرِي وكنتم منهم تضحكون**" المؤمنون : ١١٠"))[٦٥٣] .

لو تدبرنا معنى الفعل (ازاغ) في هذه الآية لوجدناه يدل على اكثر من معنى منها : انه يدل على الميل عن حكم الله ، ومنها / انه يدل على امر الله لاوليائه بذم الكفار ولعنهم والبراءة منهم عقوبة لهم على ذميم فعلهم ، ومنها : انه يدل على بعدهم عن رحمة الله وعن الطافه ، ومنها ان الضلال قد تمكن من قلوبهم فصار كأن قلوبهم مخلوقة هكذا لاسيما مع اضافة هذا الفعل الى الله سبحانه وتعالى .

فهذا كله يقودنا الى تلمس التوسع الحاصل في معنى الفعل (ازاغ) .

قوله تعالى : "**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يحبون من هاجر اليهم**" الحشر (٩) .

التبوء : اتخاذ المباءة : وهي البقعة التي يبوء اليها صاحبها ، أي : يرجع اليها بعد انتشاره من اعماله . وفي موقع قوله (والايمان) غموض اذ لا يصح ان يكون مفعولاً لفعل الجوارح تبوءوا فتأوله المفسرون / ان يجعل الكلام استعارة مكنية بتشبيه الايمان بالمنزل وجعل اثبات التبوء تخييلاً فيكون فعل تبوأوا مستعملاً في حقيقته ومجازه .

وجمهور المفسرين جعلوا المعطوف عاملاً مقدراً يدل عليه الكلام ، تقديره : واخلصوا الايمان[٦٥٤].

((ونسبة التبوء الى الايمان – باعتبار جعله مستقراً ومتوطناً – على سبيل الاستعارة المكنية التخيلية .

اذ انتقل معنى فعل الجارحة (تبوّءُوا) من معناه الحقيقي بحسب دلالته الاولى الى معنى مجازي هو استقرار الايمان في قلب المسلم بعد ان ايقن به .

ومعناه تبوؤا الدار ، واخلصوا الايمان كقوله : علفتها تبناً وماءً بارداً ، او جعلوا الايمان مستقراً ومتوطناً لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه .

---

(653) **تلخيص البيان ، ٢٤٧-٢٤٨ .**
(654) **ينظر : جوامع الجامع ، ٦٧٤/٤ .**

وتفسير الاستعارة في هذا الفعل هو : لان تبوء الدار هو استيطانها والتمكن فيها ولا يصح حمل ذلك على حقيقته ، فلابد اذن من حمله على المجاز والاتساع فيكون انهم استقروا في الايمان كاستقرارهم في الاوطان ، وهذا من صميم البلاغة ولباب الفصاحة وقد زاد اللفظ المستعار ههنا معنى الكلام رونقاً ، الا ترى كم من الفرق بين قولنا استقروا في الايمان وبين قولنا تبوؤا الايمان))[٦٥٥] .

وهكذا فقد حدث اتساع في معنى الفعل تبوء حيث دل على ثبوت الايمان وتمكنه في نفس المؤمن فهو في رسوخه في قلب المؤمن كالساكن والمستقر في وطنه ، وبهذا فقد اضاف الى الاستقرار معنى آخر وهو الثبات وعدم المغادرة لان هذا الايمان ليس ايماناً اعتيادياً بل هو ايمان مخلص حقيقي .

قوله تعالى : "**مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى**" النجم (١٧) .

((الزيغ : الميل عن القصد ، أي مال بصره الى مرئي آخر غير ما ذكر ، والطغيان: تجاوز الحد))[٦٥٦] .

فاستعمال الفعل (زاغ) مع جارحة البصر في هذا التعبير هو بالتأكيد دلالة اخرى مضافة الى دلالته الاولية وهي الميل عن القصد .

((ما زاغ البصر) بصر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و(ما طغى) أي: اثبت ما رآه اثباتاً مستيقناً صحيحاً من غير ان يزيغ بصره عنه او يتجاوزا ، او عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها ومكن منها ، وما طغى ، وما جاوز ما امر برؤيته))[٦٥٧] .

((وهذه استعارة والمراد بذلك – والله اعلم – ان البصر لم يمل عن جهة المبصر الى غيره ميلاً يدخل عليه به الاشتباه حتى يشك فيما رآه ولا طغى أي لم يتجاوز البصر ويرتفع عنه فيكون مخطئاً لادراكه ومتجاوزاً لمحاذاته ، فكان تلخيص المعنى ان البصر لم يقصر عن المرئي فيقع دونه ولم يزد عليه فيقع وراءه بل وافق موضعه ولم يتجاوز موقعه واصل الطغيان : طلب العلو والارتفاع من طريق الظلم والعدوان وهو في صفة البصر خارج على المجاز والاتساع))[٦٥٨] .

فعدم الطغيان هو اثبات لعصمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من انه لم يتجاوز الحد فيما رأى من جهة ، وانه اثبت ما رآه مستيقناً صحيحاً من جهة اخرى ، فضلاً عن انه لم يتجاوز ما امر برؤيته هناك .

---

(655) أساليب البيان في القرآن، ٤٨٥.
(656) **التبيان ، ٤٥٦/٩ .**
(657) **الكشاف ، ١٠٦٠/٢٧ .**
(658) **تلخيص البيان ، ٢٣٣ .**

وقوله تعالى : "**حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ**" التوبة (١١٨) .

((ضيق الارض : استعارة ، أي حتى كانت الارض كالضيقة عليهم ، أي عندهم . وذلك التشبيه كناية عن غمهم وتنكر المسلمين لهم . فالمعنى انهم تخيلوا الارض في اعينهم كالضيقة كما قال الطرماح* :

مَلأتُ عليه الارضَ حتى كأنّها   من الضيق في عَيْنَيه كِفَّةُ حَابلِ

وقوله (ما رحبت) حال من الارض أي : برحبها))(٦٥٩) ، ((أي : مع سعتها ، وهو مثل للحيرة في امرهم ، كأنهم لا يجدون فيها مكاناً يقرون فيه قلقاً وجزعاً مما هم فيه))(٦٦٠) ، ((والباء للملابسة ، أي الارض الملابسة لسعتها المعروفة))(٦٦١) .

(ضاقت عليهم انفسهم) استعارة للغم والحزن لان النفس على الحقيقة لا توصف بالضيق والاتساع وانما المراد بذلك انضغاط القلوب بشدة الكرب وبلوغها منقطع الصبر ، أي ان الغم يكون في النفس بمنزلة الضيق ، ولذلك يقال للمحزون: ضاق صدره ، وللمسرور : شرح صدره(٦٦٢).

وقيل : ضاقت عليهم انفسهم ، أي : قلوبهم او صدورهم مجازاً ، كأنها لا تسع السرور لضيقها . فهو استعارة في الضيق مع التجوز . وفيه ترقٍ من ضيق الارض الى ضيقهم في انفسهم وهو في غاية البلاغة(٦٦٣).

فهذا التعبير المتضمن الفعل (ضاق) مع (الارض + انفسهم) قد دل على عدة معانٍ منها : حيرة المتخلفين عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وشدة كربهم وتنكر المسلمين لهم ، وضيق الارض بما رحبت في اعينهم ، وبهذا فقد حدث اتساع في معنى الفعل .

وقوله تعالى : "**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ**" هود (٤٤) .

((وهذه استعارة لان الارض والسماء لا يصح ان تؤمرا او تخاطبا لان الامر والخطاب لا يكونان الا لمن يعقل ، ولا يتوجهان الا لمن يعي ويفهم . فالمراد اذاً بذلك الاخبار عن عظيم قدرة الله وسرعة مضي امره ونفاذ تدبيره ، نحو قوله سبحانه : "**إِنَّمَا**

---

* **ديوان الطرماح : ٣٤٧ ، د.عزة حسن ، دمشق ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م .**

(659) **ينظر : جوامع لجامع ، ٤٦/٢ .**

(660) **الكشاف ، ٤٥٢/١١ .**

(661) **التحرير والتنوير ، ٢٢٢/١٠ .**

(662) **ينظر تلخيص البيان في مجاز القرآن ، ٦٥٧ . وينظر التحرير والتنوير ، ٢٢٢/١٠ .**

(663) **ينظر : اساليب البيان ، ٥٢٩ .**

قوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (النحل : ٤٠).

وهذا اخبار عن وقوع اوامره سبحانه من غير معاناة ولا كلفة ولا لغوب ولا مشقة ، وفي هذا الكلام ايضاً فائدة لطيفة : وهو ان قوله تعالى : "يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي" . ابلغ من قوله يا ارض اذهبي بمائك ، لان في الابتلاع دليلاً على إذهاب الماء بسرعة ، الا ترى ان قولك لغيرك ابلع هذا الطعام ابلغ من قولك له كل هذا الطعام اذا اردت منه ايصاله الى جوفه بسرعة ، وكذلك الكلام في قوله تعالى : "**ويا سماء اقلعي**" لان لفظ الاقلاع ههنا ابلغ من لفظ الانجلاء لان في الاقلاع ايضاً معنى الاسراع بازالة السحاب كما قلنا في الابتلاع وذلك ادل على نفاذ القدرة وطواعية الامور من غير وقفة ولا لبثة . هذا الى ما في المزاوجة بين اللفظتين من البلاغة العجيبة والفصاحة الشريفة اذ يقول يا ارض ابلعي ويا سماء اقلعي))(٦٦٤) .

وبناء قِيلَ للمفعول هنا اختصار لظهور فاعل القول ، لان مثله لا يصدر الا من الله والقول هنا : أمر التكوين . وخطاب الارض والسماء بطريقة النداء وبالامر استعارة لتعلق أمر التكوين بكيفيات افعال في ذاتيهما وانفعالهما بذلك كما يخاطب العاقل بعمل يعمله فيقبله امتثالاً وخشية .

((لقد عبر سبحانه وتعالى عن ارادته في الكينونة المطلقة ، على سبيل المجاز بـ(قيل) وانما هي امر كائن لا محالة ، وكانت قرينة هذا المجاز خطاب من لا يعقل وهو الجماد الذي لا يخاطب (يا ارض) و(يا سماء) اذ هو ليس مما يعي الخطاب ، او يدرك الاقبال ، فكان ذلك قرينة لفظية في دلالة هذا المجاز العقلي))(٦٦٥).

والبلع حقيقته : اجتياز الطعام والشراب الى الحلق بدون استقرار في الفم . وهو هنا استعارة لادخال الشيء في باطن شيء بسرعة ، ومعناه هنا النشف ومعنى بلع الارض ماءها : دخوله في باطنها بسرعة كسرعة ازدراد البالع بحيث لم يكن جفاف الارض بحرارة شمس او رياح بل كان بعمل ارضي عاجل ، وقد يكون باحداث الله زلزالاً وخسفاً انشقت به طبقة الارض في مواضع كثيرة حتى غارت المياه التي كانت على سطح الارض واضافة (الماء) الى (الارض) لادنى ملابسة تكون في وجهها(٦٦٦) .

---

(664) **تلخيص البيان ، ٧٥-٧٦ .**

(665) **مجاز القرآن ، خصائصه الفنية وبلاغته العربية ، ١٢١ .**

(666) التحرير والتنوير، ٢١ / ١١٠.

والاقلاع : الامساك(٦٦٧).

واقلاع السماء مستعار لكف نزول المطر منها لانه اذا كف نزول المطر لم يخلف الماء الذي غار في الارض ، ولذلك قدم الامر بالبلع لانه السبب الاعظم لغيض الماء . وفي قران الارض والسماء محسن الطباق ، وفي مقابلة (ابلعي) بـ(اقلعي) محسن الجناس٦٦٨ .

((وان نداء الله تعالى الارض ثم امرها ، وكذلك نداء السماء ثم امرها دليل على عظمة خالق الكون وآمر كل شيء فيه ومسيره ، وقد كان النداء بـ(يا) دون (أي) للدلالة على قرب الله تعالى من كل شيء ، فهذه الاداة تعني عدم وجود مسافة بين المنادى والمنادي ، وكذلك فهي اقرب الى طبيعة الموقف الذي يقتضي السرعة والحسم في التنفيذ))(٦٦٩) .

وفيه دليل على ان هذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور ، وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له ، وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث ، فكما يرد عليهم امره كان المأمور به مفعولاً لا حبس ولا ابطاء(٦٧٠).

ولا يخفى اختصاص الفعلين (ابلعي واقلعي) بالجوارح ، الا ان القرآن وظفهما وفي استعمال فني بليغ للتعبير عن ما اراده الله سبحانه من سرعة ودقة ذهاب الماء في الارض وانقطاع المطر من السماء .

فبكل هذه الدلالات المجتمعة اتسع معنى الفعلين (ابلعي ، اقلعي) خاصة وهي صادرة من الله سبحانه ومتوجهة الى جمادات (الارض والسماء) فقد اضفت هحذه الاستعارة اليها طابع الحيوية ، وخلعت عليها صفة الانسانية ، فسمعت واستجابت وتأثرت ونفذت ما امرت به .

---

(667) **الكشاف ، ٤٨٥/١٢ .**
668 **ينظر : التبيان ، ٤٩١/٥ .**
(669) **اساليب البيان في القرآن ١٧٥-١٧٦ .**
(670) **ينظر : الكشاف ، ٤٨٥/١٢ .**

الخاتمة

الخاتمة ونتائج البحث والتوصيات :

بعون الله وتوفيقه وتسديده ، وعلى ضوء ما تم الحصول عليه من المصادر والدراسات السابقة انجزت هذه الرسالة ، وبعد ان انتهينا من الحديث عن افعال الجوارح واثرها في تطوير المنهج الدلالي للعربية فقد اسفرت عن النتائج الآتية :

- ان موضوع افعال الجوارح من الموضوعات ذات الانتشار الواسع في كل النصوص اللغوية العربية والقرآن .
- ان استعمال افعال الجوارح ذو تأثير هام ومباشر في التطور الدلالي للغة العربية.
- ان انتشار استعمال افعال الجوارح قد غطى كل مجالات ونظريات وظواهر التطور الدلالي ، الا اننا آثرنا بعض تلك المجالات لئلا يخرج البحث عن اطاره الاكاديمي .
- لقد اطلعنا ومن خلال الدراسة والتتبع ان هناك الكثير من افعال الجوارح قد ضاقت دلالتها من خلال استعمالها اللغوي والدلالي .
- وكذلك فقد بينت ان هناك الكثير من افعال الجوارح قد توسعت دلالتها ووصل قسم منها الى حد التعميم ، حيث اختفى تدريجياً استعمالها اللغوي ليحل محله الاستعمال المجازي ، فصار كأنه الاستعمال الحقيقي للفعل كما لاحظنا ذلك في الفعل (قسا) في تعبير (ثم قست قلوبكم)
- وقد اوضحت الدراسة ايضاً ان هناك الكثير من افعال الجوارح وقد حدث فيها تبدل وانتقال دلالي كما حدث للفعل (نظر) فقد انتقل معناه من مجرد توجيه حاسة البصر الى الاشياء الى معنى الرحمة والعطف . والاهتمام والاعتبار .
- لقد بينت الدراسة ان استعمال افعال الجوارح يتأثر وبصورة مباشرة بالسياقات التي ترد فيها تلك الافعال فقد يتغير معنى الفعل ذاته بالسياقات التي تحكمه كما لاحظنا ذلك في الفعل (ضرب) والفعل (اتبع) والفعل (مسك) وغيرها .
- وقد اثبتت الدراسة ان هناك امكانية كبيرة في امتزاج واختلاط الحقول الدلالية ، ومن الممكن ان يحدث انتقال بين مفردات تلك الحقول المختلفة والبعيدة بعضها عن البعض بحيث بينت الدراسة ان لهذه الخاصية في اللغة تأثير كبير على منهج التطور الدلالي في اللغة العربية ، حيث ان أهم التبدلات الدلالية ناشئة في اضفاء صفات الاجسام المادية على الأمور المعنوية والاعتيادية أي تجسيد تلك المعنويات على شكل محسوسات ملموسة فالغضب يسكت والصبح يتنفس والإنسان ينبت وهكذا .

- ان الدراسة الدلالية قد أسهمت وبشكل فاعل في تسليط الضوء على بعض الظواهر الدلالية كظاهرة التراكم الدلالي ، فجاءت مؤكدة ومعضدة للآراء التي قيلت فيها ودرستها .
- وقد ثبت ومن خلال دراستنا لظاهرة الاتساع في اللغة انه أسلوب إبداعي في لغتنا ولذا فقد بدا من الصعب الاحاطة به ، ولقد انتشرت هذه الظاهرة وبكثرة في القرآن الكريم ، وقد أثبتت الدراسة العمق الدلالي لاستعمال الاتساع في المعنى في القرآن .
- توصي الدراسة بتتبع أفعال الجوارح ودراستها في مختلف فنون التعبير العربية الشعرية والنثرية على اختلاف أنواعها وعصورها وذلك لأهمية الموضوع وأثره المباشر في تطور منهج العربية الدلالي ولاضافته النوعية المتميزة لذلك التطور .

هذه هي اهم نتائج الرسالة وقد اجملتها وعرضتها بايجاز تاركة التفاصيل الى ما ذكر اثناء الدراسة والبحث .

فان وفقت في ذلك فلله وحده الشكر والحمد والثناء وهو غاية ما أتمنى وان حدث تقصير او خلل فله وحده الكمال والعصمة .

واخيراً اسأل الله العزيز القدير ان يوفقنا لمرضاته وخدمة كتابه المعجز فهو نعم المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين .

المصادر والمراجع

- خير ما نبتدأ به القرآن الكريم .

المصادر :

- الآلوسي ، البغدادي ، ابو الفضل ، شهاب الدين السيد محمود (ت١٢٧٠هـ) .
  روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .
  دار الفكر – بيروت ١٩٧٨م .
- ابن الاثير ، ابو الفتح ، نصر الله بن محمد (ت٦٣٧هـ) .
  المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر .
  تحقيق : الدكتور احمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها القاهرة الطبعة الاولى ١٩٥٩م .
- الاسد آبادي ، عبد الجبار ، احمد (ت٤١٥هـ) .
  متشابه القرآن .
  تحقيق : عدنان محمد زرزور ، دار التراث مصر ، الطبعة الاولى ١٩٦٩م .
- الاسد الآبادي .
  المختصر في اصول الدين (ضمن رسائل العدل والتوحيد) .
  تحقيق : محمد عمارة ، دار الهلال ، مصر ، ١٩٧١م .
- الاشعري ، ابو الحسن ، علي بن اسماعيل (ت٣٣٠هـ) .
  مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين .
  مطبعة النهضة المصرية ، الطبعة الاولى ١٩٥٥م .
- الاصمعي ، عبد الملك بن طريف (ت٢١٦هـ) .
  كتاب الشجر والنبات .
  تحقيق : الدكتور عبد الله يوسف الغنيم ، الطبعة الاولى ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٧٢ .
- الانباري ، ابو بكر ، محمد بن القاسم ، (ت٣٢٨) .
  الزاهر في معاني كلمات الناس .
  تحقيق : الدكتور حاتم صالح الضامن .
  بغداد ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧م .
- الانصاري ، ابو زيد ، ثابت بن قيس (ت٢١٥هـ) .
  اللبأ واللبن .

ضمن البلغة في شذور اللغة (وهي مجموع مقالات لغوية لأئمة كتبة العرب ، نشرها الدكتور اوغس هفنر والاب لـ.شيخو اليسوعي ، دار الكتب العلمية . بيروت – الطبعة الاولى .

- البغدادي ، عبد القادر بن عمر (ت١٠٩٣) .
خزانة الادب ولب لباب لسان العرب .
تحقيق وشرح : عبد السلام هارون الطبعة الاولى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الاولى ،دار الرفاعي بالرياض ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- البغوي ، ابو محمد الحسين بن مسعود الفراء (ت٥١٦هـ)
تفسير البغوي (معالم التنزيل) .
تحقيق : خالد الحك ومروان سوار .
دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧م .
- البيضاوي ، ابو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد ناصر الدين الشيرازي (ت٧٩١هـ) .
تفسير البيضاوي (انوار التنزيل واسرار التأويل) .
تحقيق : عبد القادر عرفات العشا حسونة .
دار الفكر ،بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٦ .
- التوحيدي ، ابو حيان ، علي بن محمد بان العباس (ت٤١٤هـ) .
البصائر والذخائر .
تحقيق ابراهيم كيلاني – مطبعة انشاء ، دمشق– ١٩٦٤ .
- التهانوي ، محمد علي الفاروق (ت في القرن الثاني عشر الهجري) .
كشاف اصطلاحات الفنون .
تحقيق : الدكتور لطفي عبد البديع ، ترجمة النصوص الفارسية : د.عبد النعيم محمد حسين ، راجعه : الاستاذ امين الخولي ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، دار الكاتب العربي : القاهرة ١٩٧٢ .
- الثعالبي ، ابو منصور ، عبد الملك ، بن محمد النيسابوري (ت٤٢٩هـ) .
يتيمة الدهر .
مطبعة النصارى ، الطبعة الاولى ، ١٣٥٣هـ-١٩٣٤م .
- الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١هـ) .
اسرار البلاغة .
تصحيح وتعليق السيد محمد رشيد رضا ، بيروت لبنان – الطبعة الثانية - ١٩٧٨ .
- الجرجاني .
دلائل الاعجاز في علم المعاني .

صححه : محمد رشيد رضا ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان – ١٩٧٨م .
- الجاحظ ، ابو عثمان ، عمر بن بحر (ت ٢٥٥هـ) .
البيان والتبيين .
تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الخامسة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

- الجاحظ .
الحيوان .
تحقيق : عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٩م .
- ابن جني ، ابو الفتح عثمان ابن جني النحوي (ت٣٩٢هـ) .
الخصائص .
تحقيق : محمد علي النجار . دار الهدى للطباعة والنشر : بيروت (د.ت) .
- ابن جني .
اللمع في العربية .
تحقيق : فائز فارس ، الطبعة الثانية ، دار الامل للنشر والتوزيع اربد : الاردن ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- الجوهري ، اسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ) .
الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) .
تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- الخطيب الاسكافي ، ابو عبد الله بن محمد بن عبد الله (٤٣١هـ) .
مبادئ اللغة .
مخطوط بمكتبة المتحف العراقي ببغداد برقم ١٧٦٣ .
- الخطيب القزويني ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٧٣٩هـ) .
الايضاح في علوم البلاغة .
شرح وتعليق د.محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨٣م .
- الخفاجي ، ابن سنان ، محمد عبد الله بن محمد سعيد الحلبي (ت ٤٦٦هـ) .
سر الفصاحة .
صححه وعلق عليه عبد المتعال الصعيدي ، مصر ، ١٩٥٣م.

- الدامغاني ، الحسن بن محمد .
اصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم .
حققه ورتبه واكمله واصلحه : عبد العزيز سيد الاهل ، الطبعة الاولى ، دار العلم للملايين – بيروت – لبنان .
- الرازي ، ابو حاتم ، احمد بن حمدان (ت٣٢٢هـ) .
الزينة في الكلمات الاسلامية .
عارضه باصوله وعلق عليه : حسين بن فيض الله الهمداني .
القاهرة ١٩٥٨م .
- الرازي ، محمد بن ابي بكر (ت٦٦٦هـ) .

مختار الصحاح .
دار الكتاب العربي ، بيروت – ١٤٠١هـ-١٩٨١م .
- الرازي ، محمد بن عمر ، فخر الدين (ت٦٠٦هـ) .
نهاية الايجاز في دراية الاعجاز .
تحقيق : الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور محمد بركات حمدي .
دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ١٩٨٥م .
- الراغب الاصفهاني ، الحسين بن علي المفضل (٥٠٢هـ) .
المفردات في غريب القرآن
تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت د.ت .
- ابن رشيق ، الحسن بن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) .
العمدة في محاسن الشعر وادبه ونقده .
تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع ، بيروت – الطبعة الرابعة – ١٩٧٢م.
- الزبيدي ، محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ) .
تاج العروس من جواهر شرح القاموس .
مطبعة دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦م .
- الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ) .
البرهان في علوم القرآن .
تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، ١٩٥٧م .
- الزجاج ، ابو اسحق ، ابراهيم بن السري (ت٣١١هـ) .
اعراب القرآن المنسوب الى الزجاج .
تحقيق ودراسة ابراهيم الابياري – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٩٨٦م .
- الزجاج.
معاني القرآن واعرابه .
تحقيق : الدكتور عبد الجليل عبدة شلبي ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٨٨م .
- الزمخشري ، ابو القاسم ، جار الله ، محمود بن عمر الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ) .
اساس البلاغة .
تحقيق : عبد الرحيم محمود ، القاهرة ١٩٥٣ .
- الزمخشري .

المفصل في صنعة العرب .
قدم له وبوبه : الدكتور علي بو ملحم : دار مكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الاولى ،١٩٩٣ .

- الزمخشري .
الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجه التأويل .
اعتنى به وخرج احاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيحة ، دار المعرفة بيروت لبنان ، الطبعة الاولى ٢٠٠٢ .
- السبكي ، شيخ الاسلام علي بن عبد الكافي (ت٧٥٦هـ) وولده تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ) .
الابهاج في شرح المنهاج ، على منهج الوصول الى علم الاصول للقاضي البيضاوي) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٤ .
- السبكي ، بهاء الدين .
عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح .
ضمن شروح التلخيص القزويني وفيه مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي ، والايضاح للقزويني ، وحاشية الدسوقي والمختصر على شروح التلخيص للتفتازاني . (نشر آداب الحوزة د.ت) .
- ابن السراج .
الاصول في النحو .
تحقيق د.عبد الحسين الفتلي ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، ١٩٧٣ .
- سيبويه ، ابو بشر ، عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ) .
كتاب سيبويه .
تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ١٩٨٣ .
- السيد هاشم الحسيني البحراني.
البرهان في تفسير القرآن.
مؤسسة البعثة ، طهران ، الطبعة الاولى ، د.ت .

- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت٩١١) .
الاتقان في علوم القرآن وبالهامش اعجاز القرآن للباقلاني .
عالم الكتب ، بيروت (د.ت).
- السيوطي .
الاشباه والنظائر في النحو .
تحقيق عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الازهرية ـ ١٩٧٥ .
- السيوطي ، جلال الدين (ت٩١١هـ) والمحلى ، جلال الدين .

تفسير الجلالين .
مطبوع ضمن حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، دار الجيل ، بيروت ، د.ت

- السيوطي .
معترك الاقتران في اعجاز القرآن .
تحقيق : علي محمد البجاوي القسم الاول مطبعة دار الثقافة العربية مصر – ١٩٦٦م .
- الشريف الجرجاني .
التعريفات .
مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٣٨ .
- الشريف الرضي ، ابو الحسن ، محمد بن ابي احمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن الامام موسى الكاظم (عليه السلام) (ت٤٠٦هـ) .
تلخيص البيان في مجازات القرآن .
حققه وقدم له وصنع فهارسه : محمد عبد الغني حسن ، الطبعة الاولى ، دار احياء الكتب العربية : القاهرة ١٣٧٤هـ : ١٩٥٥م .

- الشوكاني ، محمد بن علي (ت ١٢٥٥هـ) .
فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير .
مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٣٥٠هـ.
- الطبرسي ، امين الدين ، ابو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ) .
جوامع الجامع .
مؤسسة النشر والطبع ، جامعة طهران ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٢هـ.ش.
- الطبرسي .
مجمع البيان في تفسير القرآن .
دار احياء التراث ، بيروت ١٣٣٩هـ .
- الطريحي ، الشيخ فخر الدين (ت١٠٨٥هـ) .
مجمع البحرين .
تحقيق : السيد احمد الحسيني .
طهران ١٣٩٥هـ.ش .
- عبد الله شبر (ت١٢٤٢هـ) .
تفسير القرآن الكريم .
راجعه د.حامد حفني داود ، راجعه وعلق عليه السيد مرتضى رضوي ، مؤسسة دار الهجرة الطبعة الخامسة ٢٠٠١م .

- ابن عاشور ، محمد الفاضل بن محمد الطاهر (ت ١٣٩٠هـ) .
التحرير والتنوير .
الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٨٤ .
- العسكري ، ابو هلال ، الحسن بن عبد الله (ت بعد سنة ٤٠٠هـ) .
كتاب الصناعتين - الكتابة والشعر .
تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، ١٣٧١هـ ١٩٥٢م .
- العسكري .
جمهرة الامثال.
دار الجيل ،بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- العسكري .
الفروق اللغوية .
ضبطه وحققه : حسام الدين القدسي .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م .
- العسكري .
المعجم في بقية الاشياء .
اكمله وعلق عليه وضبطه : ابراهيم الابياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ-١٩٣٤م .
- ابن فارس ، ابو الحسن ، احمد بن زكريا بن حبيب الرازي (ت٣٩٥هـ).
الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها .
حققه وقدم له : مصطفى الشويمي – بيروت – ١٩٦٤م .
- الفراهيدي ، ابو عبد الرحمن ، الخليل بن احمد (ت١٧٥هـ) .
كتاب العين .
تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي – منشورات وزارة الثقافة والاعلام – الجمهورية العراقية : ١٩٨٠-١٩٨٥ .
- الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ) .
بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز .
تحقيق : الاستاذ محمد علي البخاد – القاهرة – ١٩٦٣-١٩٦٩ .
- الفيروز آبادي .
القاموس المحيط .
دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٨ .
- ابن قتيبة ، ابو محمد ، عبد بن مسلم (ت٢٧٦هـ) .
تأويل مشكل القرآن .
تحقيق احمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

- قدامة ،ابو الفرج ، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد (ت٣٢٠هـ) .
جواهر الالفاظ .
تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، (بيروت – لبنان ١٣٩٩) .
- القرطبي ، ابو عبد الله ، محمد بن احمد الانصاري (ت٦٧١هـ).
الجامع لاحكام القرآن (تفسير القرطبي) .
دار الفكر : بيروت ،الطبعة الاولى ، ١٩٨٧ .
- ابن القطاع ، ابو القاسم علي بن جعفر السعدي (ت٥١٥هـ) .
كتاب الافعال .
بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٨٣ .
- ابن كثير ، عماد الدين اسماعيل (ت٧٧٤هـ) .
تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) .
دار احياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى الباب الجلبي ، د.ت .
- الكفوي ، ابو البقاء ، ايوب بن موسى الحسيني (ت١٠٩٤هـ) .
الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) .
اعده للطبع ووضع فهارسه : د.عدنان درويش ومحمد المصري ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دار الكتب الثقافية ، دمشق ، ١٩٧٥ .
- المفيد ، محمد بن النعمان (ت٤١٣هـ) .
اوائل المقالات في المذاهب والمختارات .
مقدمة وتعليق الشيخ فضل الله الزنجاني مطبعة ضائي – تبريز ، ١٣٧١هـ .

- مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ) .
الاشباه والنظائر في القرآن الكريم .
تحقيق عبد الله محمود شحاتة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٣٩٥-١٩٧٥ .
- المناوي ، محمد عبد الرؤوف (١٠٣٦هـ) .
التعاريف (التوفيق على مهارات التعاريف) .
تحقيق : محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤١٠هـ.
- ابن منظور ، ابو الفضل ، جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت٧١١هـ) .
لسان العرب .
مراجعة وتدقيق : الدكتور يوسف البقاعي وآخرون منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥م .
- النحاس ، ابو جعفر ، احمد بن محمد بن اسماعيل (ت ٣٣٨هـ) .
اعراب القرآن .

القاهرة ، ١٩٦٢م .
- النحوي ، ابن يعيش ، موفق الدين (٦٤٣هـ) .
شرح المفصل .
عالم الكتب – بيروت .
- النويري ، شهاب الدين ، احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ) .
نهاية الارب في فنون الادب .
دار الكتب المصرية ، القاهرة (د.ت) .
- هارون بن موسى .
الوجوه والنظائر في القرآن الكريم .
تحقيق : الدكتور حاتم صالح الضامن ، وزارة الثقافة والاعلام ١٩٨٨م .

المراجع

- ابراهيم انيس (الدكتور) .
دلالة الالفاظ .
دار المعارف بمصر الطبعة السادسة – ١٩٨٦م .
- ابراهيم انيس وآخرون .
المعجم الوسيط .
بيروت ، دار الامواج ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .
- ابراهيم السامرائي (الدكتور) .
سؤالات نافع بن الازرق الى عبد الله بن عباس .
مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٨ .
- احمد امين .
ضحى الاسلام .
مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة (د.ت) .
- احمد خليل .
دراسات في القرآن .
ديوان المطبوعات الجامعية ، الطبعة الاولى ١٩٩٣ .
- احمد ابو الفرج (الدكتور) .
المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث .
دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٦م .
- احمد محمد قدور .
مبادئ اللسانيات .

دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٤ .
- احمد مختار عمر (الدكتور) .
علم الدلالة.
مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، الكويت الطبعة الاولى ، ١٩٨٢ .
- احمد مطلوب (الدكتور) .
معجم المصطلحات البلاغية وتطورها .
مطبعة المجمع العلم العراقي ، بغداد ، ١٩٨٣ .
- اسماعيل عز الدين .
المصادر الادبية واللغوية في التراث العربي .
دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت (د.ت) .
- بكري شيخ امين (الدكتور) .
التعبير الفني في القران .
دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٩٤
- بلعيد صالح .
مصادر اللغة .
ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر – ١٩٨٤م .
- تمام حسان (الدكتور) .
اللغة العربية معناها ومبناها .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣.
- تمام حسان .
مقالات في اللغة والادب .
معهد اللغة العربية ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ١٩٨٥م .

- توفيق محمد شاهين (الدكتور) .
علم اللغة العام .
دار التضامن للطباعة ، القاهرة . الطبعة الاولى – ١٩٨٠م .
- ج.فندريس .
اللغة .
ترجمة عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصاص ، مكتبة الانجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي : ١٩٥٠ .
- حسن عون .
دراسات في اللغة والنحو العربي .
معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية : ١٩٦٩ .
- الحسيني ، سيد جعفر .
اساليب البيان في القرآن .
مؤسسة الطباعة والنشر – وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي – الطبعة الاولى ١٤١٣هـ .
- حلمي خليل (الدكتور) .
الفكر والتجريد الذهني في الدلالة اللغوية.
ضمن كتاب اللسانيات من خلال النصوص ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١م .
- داود عبدة (الدكتور) .
دراسات في علم اللغة النفسي .
مطبوعات جامعة الكويت ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٤م .

- رشيد عبد الرحمن العبيدي .
مباحث في علم اللغة.
دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢ م.
- رمضان عبد التواب (الدكتور) .
التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه .
مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة العشرون ، ١٩٩٠ .
- ريمون طحان .
الالسنية العربية .
دار الكتاب اللبناني – بيروت – الطبعة الاولى – ١٩٧٢ .
- ريمون طحان ودينز بيطار طحان .
فنون التعقيد وعلوم الالسنية .
دار الكتاب للبناني الطبعة الاولى ١٩٨٣ .
- زكي كريم حسام الدين .
اصول تراثية في علم اللغة .
مكتبة الانجلو المصرية – الطبعة الثانية – القاهرة – ١٩٨٥ .
- سالم شاكر .
مدخل الى علم الدلالة .
ترجمة محمد بحياتين ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ١٩٩٢ .
- ستيفن اولمان .
دور الكلمة في اللغة .
ترجمه وقدم له وعلق عليه : د.كمال محمد بشر ، مكتبة الشباب ، المنيرة الطبعة العاشرة ١٩٨٦م .
- السيد احمد عبد الغفار (الدكتور) .
التصور اللغوي عند الاصوليين .
الطبعة الاولى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨١م .
- سيد قطب ، أبن ابراهيم (ت١٣٨٧هـ) .
في ظلال القرآن الكريم .
دار احياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م .
- السيد علي حسين مطر .
الخلاصة الفلسفية .
مطبعة سارة ، قم المقدسة ، ٢٠٠٥م .

- شكري محمد عياد .
اللغة والابداع : مبادئ علم الاسلوب العربي .
الطبعة الاولى – ١٩٨٨ .
- صدام الزيادي .
المدخل الى الفلسفة : دراسة موجزة ومبسطة لتأريخ وتطور الفلسفة ، ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٤١٠هـ-١٩٨٩م .
- صلاح فضل (الدكتور) .
علم الاسلوب مبادئه واجراءاته.
منشورات دار الآفاق الجديدة الطبعة الاولى - بيروت ١٩٨٥ .
- عادل الفاخوري .
علم الدلالة عند العرب .
دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٨٥ .

- عباس محمود العقاد .
اللغة الشاعرة مزايا الفن والتعبير في العربية .
بيروت ١٩٧٣ .
- عبد الرحمن البرقوقي .
شرح ديوان المتنبي .
مطبعة السعادة – مصر ١٩٣٠م .
- عبد السلام المسدي (الدكتور) .
اللسانيات واسسها المعرفية .
المطبعة العربية ، تونس ، الطبعة الاولى ١٩٨٦م .
- عبد الصبور شاهين (الدكتور) .
في علم اللغة .
مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٨م .
- عبد العزيز عتيق (الدكتور) .
علم المعاني .
دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت ١٩٨٥م .
- عبد القادر حسن .
القرآن والصور البيانية .
بيروت ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
- عبد القادر الفاسي الفهري (الدكتور) .
اللسانيات واللغة العربية .
منشورات عويدات ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٨٦م .

- عزمي اسلام (الدكتور) .
لدفيج : فنجشتين .
دار المعارف بمصر (د.ت) .
- علي زوين (الدكتور) .
منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث .
بغداد ، ط١ ، ١٩٨٦م .
- علي عبد الواحد وافي (الدكتور) .
علم اللغة .

مطبعة نهضة مصر – ١٩٤٥ .
- علية عزة (الدكتورة) .
معجم المصطلحات اللغوية والادبية .
دار المريخ للنشر الرياض ١٩٨٤م .
- عودة خليل ابو عودة .
التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم ، دراسة دلالية مقارنة ، الاردن ، الطبعة الاولى ١٩٨٥ .
- فاضل السامرائي (الدكتور) .
معاني النحو .
جامعة بغداد ، بيت الحكمة ١٩٨٩ .
- فاضل مصطفى الساقي (الدكتور) .
اقسام الكلام من حيث الشكل والوظيفة .
مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

- فايز الداية (الدكتور) .
علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق .
دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الاولى ١٩٨٥ .
- قسم القرآن بمجمع البحوث الاسلامية .
المعجم في فقه لغة القرآن .
مطبعة الاستانة الرضوية ، مشهد ، د.ت .
- كامل حسن البصير (الدكتور) .
بناء الصورة الفنية في البيان العربي موازنة وتطبيق .
مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٧هـ-١٩٨٧ .
- كامل مراد (الدكتور) .
دلالة الالفاظ العربية وتطورها .
القاهرة ، ١٩٦٣م .
- كمال محمد بشر (الدكتور) .
دراسات في علم اللغة (القسم الثاني) .
مطابع دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧١م .
- لطفي عبد البديع .

التركيب اللغوي للادب .
مطبعة السنة المحمدية ، مصر ، ١٩٧٠ .
- ماريوباي .
اسس علم اللغة .
ترجمة د.احمد مختار عمر – منشورات جامعة طرابلس – كلية التربية – ١٩٧٢ .
- مجدي وهبة .
معجم مصطلحات الادب .
مكتبة لبنان ، بيروت (د.ت) .
- مجدي وهبة وكامل المهندس .
معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب .
مكتبة لبنان ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٤م .
- المجمع العلمي العربي .
المعاجم اللغوية بين ماضيها وحاضرها .
سوريا ١٩٦٥ .
- محمد جواد مغنية .
تفسير الكاشف (الكاشف) .
دار العلم للملايين – بيروت الطبعة الثانية – ١٩٧٨ .
- محمد حسين علي الصغير (الاستاذ الاول المتمرس الدكتور) .
تطور البحث الدلالي ، دراسة في النقد البلاغي واللغوي .
بغداد ، مطبعة العاني ، الطبعة الاولى ١٩٨٨ .
- محمد حسين علي الصغير .
مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية .
دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الاولى ١٩٩٤م .
- محمد حماسة عبد اللطيف (الدكتور) .
النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي) .
مطبعة المدينة ، الطبعة الاولى ١٩٨٣م .

- محمد رشيد رضا .
تفسير القرآن الحكيم المعروف (بتفسير المنار) .

دار المنار ، مطبعة محمد علي صبيح ، مصر ١٣٦٢هـ - ١٣٦٧هـ .
- محمد عبد المطلب (الدكتور) .
البلاغة والاسلوبية .
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤م .
- محمد فؤاد عبد الباقي .
المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم .
دار الحديث ١٩٨٨م .
- محمد المبارك .
فقه اللغة وخصائص العربية .
دار الفكر الحديث ، الطبعة الثانية ، لبنان ، ١٩٦٤ .
- محمود البستاني (الدكتور) .
دراسات فنية في صور القرآن .
مؤسسة الطبع التابعة للاستانة الرضوية المقدسة : مشهد ، مجمع البحوث الاسلامية الطبعة الاولى ١٤٢١هـ.
- محمود السعران (الدكتور) .
علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي .
دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٦٢ .
- محمود شلتوت .
من هدي القرآن .
القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٨ .
- محمود فهمي حجازي (الدكتور) .
مدخل الى علم اللغة .
دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٨م .
- مصطفى ابراهيم الزاملي (الدكتور) .
دلالات النصوص وطرق استنباط الاحكام في ضوء اصول الفقه الاسلامي دراسة تحليلية وتطبيقية .
بغداد ، ١٩٨١م .
- منذر عياشي .
علم الدلالة .
دار طلاس ، دمشق ، الطبعة الاولى ١٩٨٨م.
- ناصر حلاوي (الدكتور) وطالب محمد الزوبعي (الدكتور) .
البلاغة العربية (البيان والبديع) .

جامعة بغداد / كلية التربية الاولى ١٤١١هـ-١٩٩١م .
- ناصر مكارم الشيرازي .
الامثل في تفسير كتاب الله المنزل .
مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى ، بيروت ، د.ت.
- هدسن (الدكتور) .
علم اللغة الاجتماعي .
ترجمة : د.محمود عبد الغني عياد – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – الطبعة الاولى ١٩٨٧ .
- يوجين أ.نيدا .
نحو علم الترجمة .
ترجمة : ماجد النجار ، مطبوعات وزارة الاعلام ، العراق ١٩٧٦م .

الرسائل الجامعية :

- حسين حامد الصالح .
التأويل اللغوي في القرآن الكريم ، دراسة دلالية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٥م .
- روعة محمود الذرري .
الالفاظ العقلية في القرآن الكريم – دراسة دلالية .
رسالة ماجستير –جامعة الموصل – ١٩٩٦ .
- ستار جبر حمود الاعرجي .
منهج المتكلمين في فهم النص القرآني .
رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٠ .
- سوزان عبد الواحد عبد الجبار الهيتي .
التوسع في المعنى في التعبير القلآني عند الرازي في التفسير الكبير .
رسالة ماجستير كلية التربية للبنات جامعة الانبار ٢٠٠٢.
- صادق فوزي عباس النجادي .
التوسع في المعنى في كتاب الاصول في النحو لابي بكر بن السراج المتوفى ٣١٦هـ .
رسالة ماجستير كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٣م .
- عادل هادي .
التوسع في كتاب سيبويه ، رسالة ماجستير ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٨م .
- عبد الزهرة اسماعيل سالم .
الفاظ الاقامة والترحال في القرآن الكريم – تحليل دلالي .
رسالة ماجستير – الجامعة المستنصرية – ٢٠٠١ .
- عمار شلواي .
درعيات ابي العلاء ، دراسة دلالية ، الالفاظ الخاصية بالانسان وحياته الاجتماعية والاقتصادية .
رسالة ماجستير معهد اللغة العربية وآدابها جامعة قسنطينة – ١٩٩٥ .
- عواطف كنوش .
الدلالة السياقية عند اللغويين ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٩٩٢م .
- فاضل عواد محمد .

القيم الخلقية والاجتماعية في الشعر العربي ، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية التربية ، ١٩٨٩م .

- مجيد طارش عبد .
التراكم الدلالي في النص القرآني ، رسالة دكتوراه ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٠ .
- نوال كريم زرزور .
الفاظ القيم الاخلاقية وتطورها الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم ، رسالة دكتوراه ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٦م .
- نور الهدى لوشن .
الياذة الجزائر لمفدي زكريا ، رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، ١٩٩٠م .
- يعرب مجيد مطشر .
الالفاظ الاسلامية وتطور دلالاتها الى نهاية القرن الثالث الهجري ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، ١٩٩٣م (على الآلة الكاتبة).

البحوث والدراسات والمقالات :

- احمد عزوز (الدكتور) .
اصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية ، دراسة ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٢م .
- دريد احمد حسين (الدكتور) .
التوسع في المعنى في التعبير القرآني ، مقال ، مجلة جامعة صدام (سابقاً) للعلوم الاسلامية ، العدد الثالث ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .
- عبد الباقي الصافي .
دراسات مقارنة للكلمة ، مقال ، مجلة كلية الآداب ، جامعة البصرة ، العدد ٤-٥ .
- عبد الكريم راضي جعفر (الدكتور) .
تكرار التراكم وتكرار التلاشي.
بحث منشور في مجلة المربد من بحوث المربد الخامس عشر ١٩٩٩ .
- علي زوين (الدكتور) .
ظلال المعنى بين التراث وعلم اللغة الحديث .
مقال ، مجلة آفاق عربية ، بغداد ، السنة ١٥ ، العدد ٥ ، ٥ آيار ١٩٩٠م.
- منقور عبد الجليل .
علم الدلالة اصوله ومباحثه في التراث العربي .
(دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العربي – دمشق – ٢٠٠١م) .
- موسى ربايعة (الدكتور) .
الانحراف مصطلحاً نقدياً .
بحث مقدم الى مؤتمر النقد الادبي الخامس – جامعة اليرموك – اربد ، ١٩٩٤م .
- نهاد الموس (الدكتور) .
اللغة العربية بين الثبوت والتحول .
حوليات الجامعة التونسية ، العدد ١٣ – ١٩٧٦ .